الإنسان يموت كثيرا

اسم الكتاب: الإنسان يموت كثيرًا
اسم المؤلف: حمدي السراج
تدقيق لغوي هاجر علي
تصميم الغلاف محمد دربالة
تنسيق داخلي: أسماء عطا
رقم الإيداع: ٢٣٢٩
الترقيم الدولي ٩٧٨-٩٧٧-٨٤٤-١١٠-٩

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية والآراء والمادة الواردة .وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير

إبهار للنشر والتوزيع
E.mail:EBHARPUPLISHING@GMAIL.COM
MOBILE:01060267401

حمدي السرّاج

الإنسان يموت كثيرا

(٣٣ حكاية وحكاية)

إهـــــــداء

إلـــى :

- روح والدي رحمه الله ووالدتي أطال الله عمرها

- شقيقتي الراحلة رحمها الله والباقيتين حفظهما الله

- ابنتي وقُرة عيني رانيا أدام الله ضحكاتها

- الرائعة ابنة شقيقتي حياة الداعم الرئيسي لإصدار هذا الكتاب

أهديكم جميعًا مولودي الأدبي الأول ..

حـــمـــدي الـــســـرّاج

مـــقـــدمـــة

يَخطئ من يظن أن الإنسان يموت مرة واحدة والتي تحدث فقط عندما تُفارق الروحُ الجسدَ، فالإنسان طوال عمره يموت مرات ومرات ..

فمن فارقه أحبابَه يموت كلما تذكّرهم واشتاق لهم ولم يستطع رؤيتهم

ومن تبدد حلمه يموت كلما تذكر عجزه عن تحقيق ما كان يتمنى

ومن سُلب حقه يموت كلما نظر بقهر إلى من ظلموه دون أن يستطيع استرداد حقه

و.....و.....و.....

وهكذا يظل الإنسان على وجه الأرض يموت كثيراً حتى يدخل القبر، وهذه تكون آخر مرة يموت فيها.

١- اللقاء هناك

سارت إلى جواره وهي غاضبة بسبب رفضه لفستان الزفاف الذي اختارته بحجة أنه يُظهر جزءا بسيطًا من عُنقها .

وطوال الطريق استمر هو في محاولة إخراجها من هذا الغضب مبررًا لها رفضه هذا بسبب غيرته عليها، فهو يحبها ولا يُرضيه أن يرى جمالها الفاتن سواه .

ومازال كذلك يُطربها بمعسول كلامه حتى لانت وابتسمت له في رضا بعد أن دغدغ صدقُه وهو يتحدث مشاعرها التي ليس لها قِبلة إلاّه .

وفي يوم عقد قرانهما وبمجرد أن انتهى المأذون من العقد والدعاء لهما قام إليها واحتضنها بكل الشوق الذي يتملكه منذ ثلاث سنوات وذلك عمر قصة الحب التي جمعتهما، تلك القصة التي كان الجميع يتعجب منها ومن صمودها أمام هذا الكم من الصعوبات التي مرّت بها .

وبعد انتهاء هذا الحفل البسيط الذي تلى عقد القران تركا خلفهما الجميع وانطلقا وحدهما لقضاء سهرتهما على إحدى البواخر السياحية، وهناك على هذه الطاولة التي أُعدت لهما خصيصًا بعد اتفاقه مع العاملين عليها جلسا يتهامسان بأرق الكلمات وهما لا يشعران بضجيج الفقرات الفنية التي يتم تقديمها على الباخرة بغرض الترفيه .

وكانت الابتسامة تُزين عيونهم قبل شفاههم وهما يستعيدان ذكريات السنوات الماضية وكيف التقيا وتعارفا وكيف تحول التعارف تدريجيًا إلى

إعجاب صامت متبادل بينهما سُرعان ما أصبح حُبًا يرفض الصمت وفاض بقلبيهما فاخترق كل حواجز الكتمان داخلهما مُعلنًا عن نفسه .

كانت البداية في ذلك اليوم الذي جاء فيه من المقر الرئيسي للشركة التي يعمل فيها إلى إحدى فروعها لأداء بعض المهام، وكانت هي قد تسلمت وظيفتها في هذا الفرع منذ عدة شهور، فرآها لأول مرة للحظات معدودة لتواجدها في نفس القسم الذي كان يقضي فيه مهامه .

وعلى الرغم من أنها كانت لحظات قليلة التي رآها فيها وهي منهمكة في عملها مرتدية نظارتها الطبية وتُسدل خصلات شعرها في هدوء على كتفيها، إلّا أن هذه اللحظات كانت كافية لأن تجذب انتباهه وتحتل مساحة من باله حتى بعد أن أنهى أعماله وغادر الفرع عائدًا إلى عمله في المقر الرئيسي .

وخلال يومين فقط وبحُكم مركزه في الشركة كان قد استطاع أن يعرف عنها كافة المعلومات والتي ساعدته في ابتكار وترتيب إحدى المهام داخل المقر الرئيسي والتي تستدعي حضورها ثلاث مرات أسبوعيًا إلى مكتبه في المقر الرئيسي ولمدة أربعة أشهر وذلك بحكم تخصصها، هذه المهمة التي أخبرها فيما بعد أنه كان من الممكن أن يُسندها لأحد العاملين في المقر الرئيسي ولكنه فعل ذلك خصيصًا حتى تأتي إليه ويتعامل معها للتعرف عليها عن قُرب .

وابتسمت وهي تُذكّره مُتعجبة من طريقة طلبه للزواج منها، وتُمسك بأحد خديه في رقة مُستفسرة عن جرأته التي جعلته في إحدى المرات وهُما يعملان داخل مكتبه وخلال شرحه لإحدى النقاط لها يطلبها للزواج في

وسط حديثه ببساطة مجنونة جعلتها للوهلة الأولى تظن أنها قد أخطأت السمع وحينما لاحظ هو ذلك أخبرها بأن ما سمعته كان حقيقياً، وللتأكيد أعاد حديثه ثانية لتسمعه جيدًا وهو يطلب الزواج منها .

ولا ينسى رد فعلها حينها وكيف تناثرت المياه التي كانت تشربها من فمها وأغرقت المكان حولها عندما سمعت كلماته، وتلك النظرة الهُلامية التي ملأت عينيها مع ذلك التلعثم المضحك فيما خرج من شفتيها من حروف مبعثرة لم يستطع عند سماعها تكوين جملة مفيدة.

ولمساعدتها على لملمة نفسها تحجج بالخروج لدقائق وعندما عاد إلى مكتبه كانت قد غادرت مقر الشركة كلها بعد أن تركت له ورقة على مكتبه تحتوي على كلمة واحدة " موافقة "

وعند تذكرهما ذلك الموقف ابتسم وتظاهر بالزهو وهو يُخبرها بأنها كانت مُغرمة به وتتلهف للزواج منه، فلكمته برقة في كتفه وعلى وجهها حمرة خجل تؤكد صحة كلامه .

وبتقديم الباخرة لطعام العشاء تذكرا أول مرة تناولا فيها الطعام سويًا، كان ذلك داخل مكتبه في أحد الأيام بعد غيابها لمدة أسبوعين في إجازة، حينها تعمّد أن يُطيل في مهام هذا اليوم حتى تجلس معه عددًا أكبر من الساعات تعويضًا لقلبه عن غيابها .

كما تذكرا فترة الخطوبة التي جمعتهما والتي تخللتها مواقف صعبة كثيرة رفضا تذكرها في هذا اليوم السعيد، واكتفيا بما مرّا به خلالها من أحداث جميلة بدأت في يوم الخطوبة عندما وقف أمام الجميع داخل منزلها قائلًا لها:

غرامك جاني بعد سنين تعبت وعشت فيها حزين
حباني ربنا بيكي كتبلي شفايا في عينيكي
أنا في صلاتي بدعيلك وبحمد ربنا عليكي
يا رزق وجاني من الرحمن يا جابرة خاطري بعد هوان
أنا وياكي بقدر أقول أنا عايش أنا إنسان
إيديكي تمسني برتاح عينيكي تضمني برتاح
ولو بالصوت تناديني بتاخديني لدنيا براح

وتذكّرا أول هدية أهداها إياها، وأول مرة خرجا فيها سويًا بعد خطوبتهما، أول مكان جمعهما وأول فيلم شاهداه في السينما .

وأثناء حديثهما الهامس هذا سمعا مطرب الباخرة يدعوهما للصعود إلى المسرح للرقص على أنغام إحدى الأغنيات العاطفية احتفالًا بهما مع هتافات ومباركات رقيقة من كل روّاد الباخرة .

وبعد انتهاء تلك السهرة القصيرة على الباخرة وأثناء خروجهما وقفت على باب الباخرة رافضة مغادرتها قبل أن يقول لها شعرًا من الذي يكتبه لها دائمًا ولكن بشرط أن يقوم بتأليفه حالًا ولا يكون من الشعر الذي سمعته منه قبل ذلك .

فوقف ينظر إليها والدهشة تعلو وجهه ثم طلب منها أن يغادرا الباخرة مع وعد منه بأن يكتب لها ما تريده في منزلهما ولكنها رفضت طلبه وما أتى بعده من محاولات قام بها لإقناعها .

ووقفت تدق الأرض بقدميها في غضب طفولي لم يستطع مقاومته خاصةً عندما مطت شفتها السفلى وضمت حاجبيها وهي تنظر إليه لتؤكد له حزنها من رفضه .

فابتسم ووضع يديه على كتفيها ليعلن لها أنه لا يقوى على رفض طلبها، وأغمض عينيه للحظات ثم نظر إلى عينيها مُتيمًا وهو يقول:

وحبيبتي لو تبتسم تضحكلي أيامي
ولو تقوللي بحبك أحلم بإيه تاني
دي لمّا بتقولها قلبي يدوب فيها دوب
وأنسى الكلام وأبتسم ولو قدرت يادوب
أنطق حروف إسمها وما أقولش شيء تاني

ابتسمت في ظفر ثم تأبطت ذراعه في دلال وغادرا الباخرة واتجها إلى منزلهما في أول ليلة من حياتهما الجديدة، والتي ظلّا على مدار ثلاث سنوات يُخططان لجعلها سعيدة وممتعة .

" نفسك في إيه قبل تنفيذ الحكم "

وجّه الشيخ إليه هذا السؤال وهو يرتدي هذا الرداء الأحمر في حجرة تنفيذ أحكام الإعدام ويقف فوق هذه الدائرة الخشبية التي بمجرد فتحها سينتهي عمره .

فرفع نظره إلى الشيخ وهو يتذكر السبب في وجوده في هذا الموقف الذي لم يخطر بباله أبدًا أن يكون فيه في يوم من الأيام ولكنه القدر أو إذا شئت قُل وحشية البشر، الذين فقدت قلوبهم كل معاني الرحمة والإنسانية هذا إذا اعتبرنا مجازًا أن لديهم قلوبًا.

وتذكّر وهو ينظر إلى الشيخ زوجته الحبيبة التي راحت منه ضحية لثلاثة من الكلاب يُشبهون البشر فقط في تكوينهم الجسدي .

هذه الكلاب التي انتشرت في أيامنا وأصبحت لها اليد العُليا في شوارعنا وانطلقت تبث الذعر والفزع في قلوب الجميع بعد أن أصبحت المخدرات هي المُتحكم الرئيسي والوحيد في أفعالهم، ومنها هؤلاء الثلاثة الذين اختطفوا زوجته أثناء عودتها من عملها في ذلك اليوم وتناوبوا الاعتداء عليها بمنتهى الهمجية، ولم تشفع لها صرخاتها وهي تتوسل إليهم أن يرحموها هي والجنين الذي في بطنها، ذلك الجنين الذي سكن أحشاءها بعد أربع سنوات من زواجهما .

وبعد أن انتهوا من جريمتهم تركوها وفرّوا هاربين ليجدها بعض المارة ويحملوها إلى المستشفى لتقضي فيها بضع ساعات ثم تلفظ هي وجنينها أنفاسهما الأخيرة بين يديه.

وحينها وعلى الرغم من تمكّن الشرطة من ضبط الجناة والحكم عليهم بالسجن سبع سنوات، إلّا أن هذا الحُكم لم يشف غليله بعد أن أبقاهم حُكم القضاء على قيد الحياة.

ولكنه منذ أن أغمض عيني زوجته بيديه بعد وفاتها على صدره كان قد أصدر حُكمه على هذه الكلاب الثلاثة الذين تعمّد ألّا يروه أو يعرفوه خلال جلسات محاكمتهم .

وبعد أن مضت السبع سنوات وخرج الثلاثة من السجن كانوا قد نسوا تلك المسكينة التي هتكوا عرضها وأزهقوا روحها ولكنه لم ينس، بل

وضع خطته ورسم خطواته وأعدّ كل شيء للإنتقام منهم ثم أمضى الأيام والسنين لا يفعل شيئا سوى انتظار خروجهم من السجن .

وبعد خروجهم انتحل شخصية وهمية غير حقيقته واستطاع التعرف عليهم وتوطيد علاقته بهم حتى أصبحوا أصدقاء .

وقد استغل خبرته في تخصص الكيمياء والأدوية بحُكم أنه مجال عمله وقام بصناعة تركيبة مُخدرة ليست موجودة في أي مكان آخر وقدّمها لهم بوصفها نوع جديد أفضل من المخدرات المعتادة التي يتعاطونها، وقد حازت هذه التركيبة على إعجابهم وأصبحوا مع مرور الوقت لا يستطيعون التخلي عنها، خاصةً مع هذه المقادير التي كان يقدمها لهم .

وبعد أن سيطر عليهم تمامًا دون أن يشعروا قام بدعوتهم لسهرة خاصة في منزله ووعدهم بأن تكون سهرة مميزة لم تمر عليهم أبدًا قبل ذلك .

وبعد أن حضروا إلى منزله جلسوا يتناولون تلك التركيبة المُخدرة التي اعتادوا عليها، ولكنه كان قد أضاف لها هذه المرة بعض المواد التي جعلتهم لا يستطيعون التحكم في أجسادهم وحركاتهم بشكل كامل وفي نفس الوقت لا يغيبون عن وعيهم .

وحينما تأكد من سريان مفعول تركيبته داخل أجسادهم وقف أمامهم ليُخبرهم بأنه سيعرض لهم مجموعة من الصور لامرأة جميلة جدًا ففرحوا بهذه الإضافة لسهرتهم، وعندما بدأ عرض الصور نظروا لبعضهم وهم يُبدون إعجابهم بتلك المرأة الجميلة ويُطلقون صيحات عشوائية وتتعالى ضحكاتهم مع تلك العبارات والألفاظ الخارجة التي يتبادلونها .

وبعد فترة أوقف العرض مؤقتاً ثم وقف أمامهم مرة ثانية ليُخبرهم بأنه سيعرض عليهم صورة أخرى أجمل من كل ما رأوه .

وعندما رأى تلك اللهفة الوحشية في عيونهم قام باستئناف العرض لتظهر أمامهم صورة تجمعه هو مع نفس المرأة التي شاهدوا صورها منذ لحظات ولكن وهي في فستان زفافها الأبيض .

ومع ذلك الذهول الذي ملأ عيونهم بدأ يتحرك أمامهم في خطوات بطيئة وهو يُعيد على أسماعهم أحداث جريمتهم في حق هذه المرأة التي لم تكن سوى زوجته، ويصف لهم كيف أنهم في سبيل إشباع غريزتهم الحيوانية قتلوها هي وابنه في أحشائها ودمّروا حياته فاستقال من عمله وتفرغ للترتيب للانتقام منهم .

وعند هذه النقطة استفاقوا من ذهولهم وحاولوا الانقضاض عليه ولكنهم فوجئوا بأنه قد كبّل أقدامهم دون أن ينتبهوا في ذلك السطح المعدني الذي يجلسون عليه ولم يكتشفوا أنه معدن إلّا عندما سحب هذا الغطاء الذي كان يُواريه من تحتهم، فنظروا له في محاولة لمعرفة ما ينوي فعله بهم، وأدرك هو ذلك فجلس أمامهم يُخبرهم بما يجول في خاطرهم، ثم خرج من الغرفة قبل أن يعود إليهم حاملًا إحدى المعدات التي يخرج منها سلك مكشوفة مُقدمته ثم أخبرهم بأن هذه الآلة تستطيع توليد طاقة كهربائية تكفي لإنارة بناية شاهقة بالكامل، ثم ابتسم وهو يخبرهم بأن هذا يفسر لهم لماذا أجلسهم على هذا السطح المعدني وكذلك لماذا أدخلهم إلى هذه الغرفة تحديدًا والتي انتبهوا في هذه اللحظة إلى أن جدرانها قد تم إضافة عوازل لها تمنع خروج الأصوات منها .

ومع ذلك الرعب الذي تملّكهم كان قد أدرك أنهم علموا المصير الذي أعدّه لهم فظلّوا يتوسلون إليه أن يرحمهم، حتى يئسوا بسبب نظرته الصامتة لهم فراحوا يصرخون بأعلى صوتهم رغم تأكدهم أن أحدًا لن يسمعهم، وعندما انهارت قواهم قام إلى أحد أركان الغرفة التي تحوي تلك الكاميرا الحديثة وضغط زر تشغيلها لتقوم بتسجيل ما يفعله، وبعد أن تحدث أمام الكاميرا لعدة دقائق شرح فيها ما ينوي فعله والسبب الذي دفعه لذلك، توجه إلى مصدر الكهرباء في أحد الجدران وأوصل به تلك الآلة ثم أمسك ذلك السلك من الجزء الآمن فيه مُلوحًا لهم بالجزء المكشوف ثم ثبته في تلك الفتحة داخل السطح المعدني الذي يجلسون عليه مقيدين، ثم وقف ينظر إليهم طويلًا وهم يتضرعون إليه ألّا يقتلهم ولكنه بصق على وجوههم ثم ضغط زر تشغيل الآلة فسرى ذلك التيار الكهربائي الشديد إلى السطح المعدني ومنه إلى أجسادهم فانطلقت من حناجرهم أقوى صرخات الألم وارتفعت رائحة الشواء من أجسادهم.

وبعد أن تأكد من موتهم أوقف تشغيل الآلة والكاميرا ثم وقف أمام صورة زوجته وأحنى رأسه أمامها وهو يتحدث إليها ليُخبرها أنه وإن لم يستطع حمايتها مما وقع لها فإنه اليوم قد ثأر لها ولابنهما بعد أن احتمى هؤلاء القتلة ومحاموهم بما يعرفوه من ثغرات في القانون .

وبعد أن أنهى حديثه معها فتح باب الغرفة ثم قام بالاتصال بالشرطة لتأتي فتتسلم جثث الثلاثة وتُلقي القبض عليه، وبعدها يحكم عليه القضاء بعقوبة الإعدام .

تذكر ذلك كله وهو ينظر إلى الشيخ في غرفة الإعدام قبل تنفيذ الحكم عليه بدقائق ثم رفع عينيه إلى أعلى الغرفة فرأى زوجته في ثوبها الأبيض مبتسمة

كعادتها وقد مدّت إليه يديها تُناديه ليأتي إليها فأومأ لها برأسه بعلامة القبول ثم أغمض عينيه فخرجت روحه لتذهب إليها دون الحاجة إلى تنفيذ حُكم القضاء .

٢- قطر الحياة

أكملت ارتداء ملابسها وهي تدندن إحدى الأغنيات العاطفية القديمة، ثم وقفت أمام المرآة لمراجعة هندامها وهي تمرر أصابع يديها بين خصلات شعرها، ثم التقطت حقيبة يدها في نشاط وخرجت من غرفتها وألقت تحية الصباح على والدتها التي خرجت للتو من غرفتها، فنظرت لها مبتسمة وهي ترد لها التحية ثم اقتربت منها وأحاطت كتفيها بيديها وهي تمدح أناقتها وتستخدم نبرة صوت حزينة وهي تُبدي تعجبها من رفضها الزواج حتى الآن على الرغم من جمالها وثقافتها، وكالعادة ابتسمت لوالدتها وهي تخبرها بأن حلقة اليوم من برنامجها التليفزيوني ستكون على الهواء مباشرة وستُحاور فيها ضيوفًا كبارًا تحتاج معهم لكل تركيزها، وطلبت منها تأجيل حديثهما المُتكرر عن الزواج لحين عودتها من عملها .

أمسكتها والدتها من أحد خديها في حنان وهي تنعتها بالمراوِغة ثم تتوعدها بأنها لن تملّ من محاصرتها والإلحاح عليها حتى تراها زوجة وأُمّا وتحمل أحفادها بين يديها.

ابتسمت لوالدتها ثم قبّلت كفها وهي تطلب منها الدعاء لها بالنجاح في حلقة اليوم من برنامجها ثم انصرفت .

وعلى الرغم من أن حديث والدتها لم يكن جديدًا ولطالما تكرر بينهما، إلّا أنها هذه المرة وطوال قيادتها لسيارتها أثناء الذهاب إلى المحطة الفضائية التي تعمل بها ظلّت كلمات والدتها تتردد في ذهنها على غير المعتاد، وقد أرجعت ذلك إلى أنه قد يكون بسبب تلك الكلمات التي سمعتها مصادفةً

بالأمس عندما كانت عائدة من عملها ووقفت أمام أحد المحال المتخصصة في عرض أجهزة التليفون الحديثة ووصل إلى مسامعها حديث هامس بين امرأتين عن حالها وعن السر وراء عدم زواجها حتى الآن وقد تجاوز عمرها الثلاثين بعدة سنوات، وتطوعت إحداهما في تفسير الأمر لرفيقتها بأن من المؤكد أن وراء عدم زواجها حتى الآن أمور غير منضبطة.

وصلت المحطة الفضائية قبل موعد برنامجها بوقتٍ كاف كما تفعل دائمًا واستقبلها فريق الإعداد وجلسوا يراجعون بعض تفاصيل حلقة اليوم، وقد بدا شرودها واضحًا للفريق الذي اقترح أحد أفراده عندما شعر بذلك أن يتركوها لدقائق تتناول فيها جرعة من القهوة تساعدها على تصفية ذهنها والتركيز في محاور الحلقة .

وبعد انتهاء الحلقة جاء إليها المخرج وهو يزُف لها خبر ترشيح برنامجها للحصول على أفضل برنامج ثقافي لهذا العام في استفتاء واحدة من أكبر المجلات في الوطن العربي، فغمرتها السعادة وأنستها كل أحداث اليوم وشكرت المخرج وفريق العمل كثيرًا على ما يبذلونه من مجهود معها في البرنامج .

عادت إلى المنزل وهي غارقة في تخيل لحظة فوزها بالجائزة وما قد يتبعه من خطوات في عالم النجاح والشهرة، وعندما دخلت إلى المنزل وقبل أن تخلع حذاءها كانت تخبر والديها بأمر الجائزة وتتلقى تهنئتهما ودعواتهما لها بالحصول عليها، ثم طلب منها والدها أن يتحدث إليها بعد أن تبدل ثيابها وتستريح لبعض الوقت، فأغمضت إحدى عينيها ومطت شفتيها إلى الأمام في مرح وهي تُشير إليه بسبابتها قائلة :

-" متهيألي كده يا حاج إني أنا عارفة إنت عاوز تقول إيه "

ثم أشارت إلى والدتها بكفها المفتوح وهي تقول

-" الست دي ما بتيأسش أبداً "

ثم ضحكت وهي تومئ له برأسها قائلة

-" حاضر يا حاج. أغير هدومي وأعمل واحد نسكافيه مظبوط وأجيلك"

بعد أن استراحت قليلًا بغرفتها خرجت إلى والدها وجلست بجواره مُعلنة استعدادها للاستماع إليه فربّت على ظهرها ونظر إليها في أُبوّة حنونة ثم قال :

-" بصي يا حبيبتي، انتِ بنتي الوحيدة وأغلى حاجة عندي، وأنا أكتر واحد فرحان بنجاحك وباللي انت بتحققيه، بس يا بنتي الدنيا مش شغل وبس، العمر بيجري، وقطر الحياة ما بيرجعش لحد إذا فاته ولا بيستناه علشان يلحقه تاني، وأنا وأُمّك ما يهمناش غير مصلحتك، نِفسنا نشوفك في بيتك مع جوزك متهنية وسعيدة، نِفسنا نشيل ولادك ونفرح بيهم، يعني أنا والست الغلبانة دي ما نستاهلش نسمع ابنك وهو بيقوللي يا جدو وبيقوللها يا تيتة، وأنزل كده أجيبله لبس العيد وهدوم المدرسة زي ما كنت بعمل وياكي .. علشان خاطري طمنينا عليكي قبل ما نموت "

دخلت إلى غرفتها متأثرة بكلمات والدها التي أكملت ما بدأته همسات السيدتين بالأمس وحديث والدتها في الصباح، وبعد أن جلست إلى مكتبها لمراجعة بعض الأمور الخاصة بعملها قامت ووقفت أمام المرآة وهي تتأمل ملامحها وتمرّ بأناملها فوق وجهها في بطء وتُمسك بأطراف

شعرها، ثم جالت ببصرها في أنحاء الغرفة تتأمل مكتبتها وما تحتويه من كتب وجوائز عديدة حصدتها خلال سنوات عملها، وهذا الجدار الذي تُزينه الكثير من صورها مع العديد من الشخصيات الهامة والبارزة في مختلف المجالات، ومرّت دقائق كثيرة وهي على هذا الحال حتى أنهكها هذا الصراع المُستعر داخلها فارتمت على سريرها تنشُد النوم هربًا منه، وقد استغرقت ما يزيد عن ساعتين حتى استطاعت أن تنام ولم تفارقها خلال الساعتين كلمات والدها ونظرات والدتها والتي شعرت فيهم بوجع لم تستطع تجاهله .

استيقظت في الصباح وهي تشعر بأنها مُجهدة ومازالت تحتاج لساعات من النوم، ولكنها لم تستسلم لهذا الإحساس ونهضت من فراشها وهي تحمد الله أن اليوم إجازة، فهي ليس لديها القدرة اليوم على العمل، وبعد أن توضأت وذهبت إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة مكثت في المسجد كعادتها كلما أهمّها أمر حتى تطمئن روحها .

وعندما عادت إلى المنزل جلست تتناول طعام الإفطار مع والديها وبعدها عاونت والدتها على رفع الأواني والأطباق وإعداد الشاي لهم، ثم جلست بينهما وأمسكت يد والدتها بيسراها ويد والدها بيمناها ثم قبلتهما معًا وهي تبتسم وتقول :

-" على فكرة أنا كمان معنديش أغلى منكم، وعمري ما يهون عليّ زعلكم أو حرمانكم من حاجة "

ثم بالغت في ابتسامتها وهي تحرك رأسها وتقول

-" أنا موافقة يا بابا على العريس اللي جه الأسبوع اللي فات .. باين عليه محترم وابن ناس ومتربي "

ابتسم الأب واحتضنتها والدتها طويلًا وهي تردد عبارات الحمد والشكر لله وتبتهل إليه أن يُتم زواجها على خير ويرزقها السعادة وراحة البال طوال حياتها .

-" صورتك دي حلوة أوي يا ماما "

قالت لها ابنتها ذلك وهي ترفع حقيبتها المدرسية استعدادًا للذهاب إلى المدرسة لأول مرة بعد أن أتمّت عامها السابع فانتبهت من ذكرياتها التي هامت فيها خلال الدقائق الماضية عندما رأت ابنتها تُمسك صورة لها في إحدى حلقات البرنامج الشهير الذي كانت تُقدمه سابقًا قبل زواجها، هذا الزواج الذي وافقت عليه إرضاءً لوالديها ودرءا لهمزات الناس، وتمت مراسمه في خلال خمسة أشهر فقط بعد أول لقاء لها مع العريس، وكما تم الزواج سريعًا فقد انهار سريعًا ولم يعِش أكثر من عام ونصف انفصلت بعده عن زوجها وعادت إلى بيت أبيها وهي تحمل في أحشائها تلك الطفلة التي تستعد الآن للذهاب إلى المدرسة، والتي بسببها توقفت عن تقديم برنامجها التليفزيوني حتى تتمكن من رعايتها .

ابتسمت لابنتها ثم احتضنتها وعاونتها على رفع حقيبتها وهي تطبع قبلة على خدها وتقول

-" انت اللي حلوة أوي يا قلب ماما من جوه "

وبعد أن تأكدت من وجود طعامها في المكان المخصص له بالحقيبة اصطحبتها إلى المدرسة وأدخلتها إلى الفصل ثم وقفت تتابعها لدقائق من

النافذة قبل أن تُلقي إليها ثلاث قُبلات في الهواء وتُشير لها بالسلام ثم تنصرف، وأثناء رجوعها إلى المنزل عادت إليها ذكرياتها وما حدث لها خلال العام ونصف الذي عاشته مع والد ابنتها الذي لم يكن هناك أي توافق بين شخصيتهما مما تسبب في نشوب الكثير من الخلافات بينهما انتهت بالطلاق، وفي طريقها اشترت بعض مستلزماتها هي وابنتها ثم صعدت إلى المنزل وجلست تتناول طعام الإفطار مع والديها اللذين سألاها عن رأيها فيما تحدثا معها حوله بالأمس بشأن زواجها مرة أخرى بعد أن كبرت ابنتها والتحقت بالمدرسة .

نظرت إليهما في صمت ثم وضعت كوب الشاي من يدها وقامت واتجهت إلى النافذة ووقفت تنظر إلى السماء طويلًا، ثم التفتت إليهما قائلة

-" يعني انتوا عاوزني أتجوز تاني، وطبعًا السبب معروف، علشان قطر الحياة ما يفوتنيش .. طيب زمان كان لازم أتجوز علشان تفرحوا بيّ وتشوفوني عروسة، وعلشان أخلف حفيد يقوللكم يا جدو ويا تيتة "

ثم فردت ذراعيها في أداء مسرحي ساخر وهي تُكمل حديثها قائلة

-" وكمان كان لازم أتجوز علشان كلام الناس "

ثم صمتت بُرهة مطت فيها شفتيها قبل أن تقول

-" وأديني اتجوزت .. عملت اللي يرضيكم، واللي يرضي الناس، وكمان اللي يرضي جوزي أو اللي كان جوزي يعني، والحمد لله لقاني بنت محترمة"

ثم ابتسمت في سخرية مريرة وهي تردف

-" آه والله محترمة، معدية التلاتين وبشتغل مذيعة بس محترمة . عادي يعني"

ثم رفعت سبابتها لأعلى وهي تقول

-" بس الغريبة إني معملتش أي حاجة ترضيني أنا .. وده مفرقش معاكم "

ثم تنهدت طويلاً في وجع صاحبَ تلك الآه التي خرجت منها قبل أن تُكمل حديثها لوالديها

-" أنا مش زعلانة منكم، لأني عمري ما شكّيت لحظة واحدة في حبكم ليّ وخوفكم عليّ، بس زي ما بيقولوا الطريق إلى جهنم مفروش بحُسن النوايا، وانتوا لمّا ضغطوا عليّ علشان أتجوز كنتم فاكرين إنكم بتساعدوني ألحق عمري وقطر الحياة ما يفوتنيش، وأديني ركبت قطر الحياة وبعد أول محطتين نزلّني، وكمان ما نزلّنيش لوحدي زي ما ركبته، إداني بنتي في إيدي وأنا نازلة .. بنتي اللي علشانها أنا ضحيت بنجاح تعبت فيه سنين كتيرة علشان أحققه، اتخليت عنه علشان أراعيها وأحافظ عليها، مينفعش تيجوا النهارده وتقولولي أتخلى عنها هي كمان علشان أركب قطر الحياة تاني "

صمتت وهي تمسح دموعها في وجع قبل أن يختنق صوتها وهي تقول

-" وعلى فكرة يا بابا .. مش لازم دايمًا علشان نعيش حياتنا نركب قطر، ممكن نكمّل حياتنا مشي طالما القطر مش رايح المكان اللي يناسبنا، وأنا قررت أكمّل طريقي مشي مع بنتي، ولمّا تكبر مش هضغط عليها علشان تركب أي قطر وخلاص، يا تركب قطر رايح المكان اللي هي عاوزاه .. يا توصل لوحدها لهدفها مشي "

٣- أول مرة توجعني يا صاحبي

وقف داخل المستشفى أمام غرفة العمليات التي يرقد فيها الآن صديقه الوحيد ليُجري عملية جراحية لأحد شرايين قلبه، وكانت عيناه تنظران لباب غرفة العمليات في جمود جعله لا يستمع لنحيب أسرة صديقه من حوله.

كان صديقه الوحيد والذي تمتد صداقتهما منذ أن كانا في السابعة من عمرهما، أي منذ عشرين عامًا، سنوات طويلة من الصُحبة جمعتهما وعاشا خلالها الكثير والكثير من المواقف والأحداث التي كانت تزيد من ترابطهما وقوة صداقتهما .

فهو مازال يذكر أول موقف جمعهما وكان السبب في معرفتهما ببعض حين كانا في الصف الأول الابتدائي وأثناء الاستراحة في منتصف أحد الأيام الدراسية كان هو يرسم في إحدى اللوحات حين اختطف لوحته أحد التلاميذ، وقبل أن يدرك هو ما حدث كان صديقه قد انقض على هذا التلميذ وانتزع منه اللوحة وأعادها إليه، ومنذ ذلك اليوم تعرّفا على بعضهما وأصبحا صديقين يذهبان معًا من وإلى المدرسة، وعندما كانا في إحدى الرحلات المدرسية وضاعت حقيبته وبها كل طعام اليوم وسخر منه زملاؤه كان صديقه بجواره وتقاسم معه طعامه واستمتعا بالرحلة سويا .

هذا صديقه الذي رزقه الله به وقدّر ألّا يفترقا بعد الثانوية فذهبت بهما درجاتهما إلى نفس الكلية، وكأن الله عوّض كلًا منهما بالآخر عن فقدانه لشعور الأخوة إذ كان كل منهما وحيد والديه .

كان صديقه طيب القلب ودودًا لديه من الصبر الكثير، فكان يتحمله إذا غضب ويسامحه إذا أخطأ، ففي أحد الأيام انفعل على صديقه بشكل عنيف وخرجت منه بعض الكلمات الجارحة ثم تركه وانصرف، وظل يسير في الشارع لعدة ساعات حتى هدأ وعاتب نفسه على ما بدر منه تجاه صديقه الوحيد فقام بالاتصال به ولكن صديقه لم يجاوبه فعاود الاتصال به أكثر من مرة ولكنه لم يجاوبه فشعر بحزن صديقه فذهب إليه في منزله حتى يعتذر له ولكنه للأسف لم يجده فزاد غضبه من نفسه لأنه تجاوز في حق صديقه وعزم على أن يعود إليه في الصباح .

ثم اتجه إلى منزله وبمجرد دخوله وجده يجلس مع والده يتجاذبون أطراف الحديث أثناء لعبهما الطاولة فنظر إليهما مبتسماً، وقبل أن ينطق بكلمة أسف سبقه صديقه قائلًا :

- إيه يا ابني كنت فين كل ده ؟

- كنت في السينما بتفرج على فيلم

-فيلم اسمه إيه ؟

- حقك عليا يا صاحبي

- وعجبك الفيلم ؟

-ربنا يخليه ليّ

- هو إيه ؟ الفيلم !

- لا .. صاحبي

وكم كان سعيدًا عندما أتاه صديقه يوماً ليُخبره بأنه يُحب زميلتهما في الجامعة وكانوا حينها في السنة الثانية .

وكم من الساعات كان يجلسها يستمع فيها إلى صديقه وهو يحكي له عن حبهما وأحلامهما، وكم كان يكذب من أجل صديقه حين يخبر والده بأنهما سيتأخران في الجامعة من أجل محاضرات إضافية بينما (النحنوح) كما كان يُسمّيه يجلس مع فتاته يتسامران وهو ينتظره بالساعات على الرصيف .

ولا يستطيع نسيان هذا القهر الذي ملأ عيني صديقه في ذلك اليوم عندما أتى إليه وأخبره بأن حبيبته فارقته وطلبت منه نسيان ما كان بينهما لأنها وتحت ضغط أهلها ستتزوج من غيره وهو لم يكن يستطيع أن يتحمل تكاليف الزواج وتأسيس منزل لهما

حينها احتضن صديقه وضمه إلى صدره فظل يبكي في حضنه حتى بكى لبكائه، وفي اليوم التالي كانت حفلة التخرج من الجامعة لدفعتهم، حينها صعد صديقه إلى المسرح وألقى إحدى قصائده والتي علِم فيها بعد أنه كتبها بالأمس فقط، وكانت كلماتها تقول:

مهرك يا بنت الناس غالي على الفقرا
لو كان الفقير يِدرى إيه بكره راح يِجرى
لا كان عشق ولا داب ولا راح بقلبه لباب
عمره ما راح يفتح ده عليه حراب تجرح
العشق كان مالكه ما حسبش حساباته
وعيونه من شوقها ع الباب كانوا يباتوا

عشمان يطول نظرة من العيون السمر
يتوارى من الحراس بين الشجر ويصِرّ
ما يسييش محرابك وقلبه متشقق
والميّه ما بترويش القلب لو يعشق
يعني مالوش مروى غير بس في عيونك
عمره ما شاف نفسه في الدنيا دي بدونك
رسم خياله حياه كل السُبل فيها
مفتوحة لجل هواه وجميلة لياليها
وانت بتتزيني علشان يزفوكي
وهو واقفلك جاياله مع ابوكي
ياخدك على حصانه ويطير كما الفرسان
اللي يمينه السيف وشماله عاش عشقان
ومرة واحدة يفوق على صوت يقولله قُوم
الشمس نص السما هتقضي يومك نوم
إجري مع العمال أجرك في آخر اليوم
مش لاقي قوت يومك ورايح كمان تعشق
اللي تشوفه في نومك ولا يوم هيتحقق
الحب للأسياد وانت يادوب خدّام
تخدم في بيت سيدك علشان تنول أجرك
وإن جَت في يوم تناديك مكسور تقول أمرك
وإن يوم عينيها قالتلك ع اللي في قلبها ليك
إوعاك في يوم تتجذب ولاّ الغرام يغويك

اعشق على قدك إوعى الهوى يُجرّك
بنت القصور مش ليك ولا يقبلوا بمهرك
مهرك هواك وهواك زي الهوا بُدره
الريح تبعتر فيه وده حال الفقرا
وانت فقير معدوم بتكمل العشا نوم
بتبات تعد نجوم لجل الشقا بكره
واللي يبات شقيان يحرم على الأعيان
وعلشان ما تنساش حالك اكتب على الجدران
مهرك يا بنت الناس غالي على الفقرا

كانت دمعات صديقه تخرج مع كل كلمة يقولها، وعندما انتهى من إلقاء قصيدته سقط مغشيًا عليه فاندفع إليه مسرعًا، وعندما أفاق واطمأن الجميع عليه، كان هو وحده الذي يعلم أن صديقه لم يعد بخير حتى وإن تظاهر هو أنه بخير .

وقد تأكد ذلك بعد تخرجهما بعام عندما بدأت الأزمات الصحية تتوالى على صديقه حتى وصل به الحال إلى ذلك اليوم الذي يُجري فيه تلك العملية الجراحية وهو يقف على الباب في انتظاره.

مرّت ساعات وهو يقف على نفس حالته ، بعدها خرج الطبيب من غرفة العمليات وفي عينيه نظرة أسى تُخبرهم دون كلمات أن الأمر قد انتهى، وأكد الطبيب ذلك عندما أخبرهم بأنهم قد بذلوا كل ما يستطيعون فعله ولكن إرادة الله كانت فوق كل شيء وقد اختاره الله إلى جواره، عندها خرجت منه صرخة ألم رددت جدران المستشفى صداها.

أتمّوا كافة الإجراءات في المستشفى واتجهوا به إلى المسجد لأداء صلاة الجنازة.

وهناك استأذن من والد صديقه أن يتقدم هو ليؤم الناس في صلاة الجنازة، وكأنه كان ينتظر أن يكون كل ذلك وهمًا وأن الأطباء مخطئون وسينهض صديقه فيكون هو أول من يحتضنه.

وبعد انتهاء صلاة الجنازة تعاون مع بعض المصلين في حمل جثمانه إلى المقابر، وبعد أن انتهت مراسم تشييع صديقه إلى مثواه الأخير انصرف الجميع وظل هو واقفًا أمام قبره يتحدث إليه ويخبره بأنه غاضب منه لأنه تركه وحده في الدنيا وهو يعلم أنه ليس له فيها سواه.

ثم سأله معاتبًا مع من سيتحدث عندما يكون مهمومًا، على من سينفعل ويثور عندما تضيق به الدنيا ومن سيتحمله ويهوّن عليه، مع من سيضحك من قلبه، مع من سيفعل ... ويفعل ...

ظل يتحدث إليه كثيرًا حتى جاء الليل عليه فتمالك نفسه وألقى السلام على صديقه في قبره ثم انصرف، وبعد أن سار عدة خطوات استدار إلى قبر صديقه ثم قال له

-" أول مرة توجعني يا صاحبي "

٤- صاحبة الورد

ظل يرتشف القهوة في صمت وينظر إليها وهي تجلس أمامه في هذا المقهى الشهير وتتحدث إليه لإنهاء حالة الغضب التي تسيطر عليه بسبب أنه عندما مرّ عليها في المستشفى وجدها تقف مع بعض زملائها الأطباء يتبادلون بعض الأحاديث المضحكة .

وبعد نصف ساعة من حديثها المتواصل اقترب بوجهه منها ثم رفع سبابته في وجهها ليُخبرها بأنها تعلم أنه يغار عليها ولا يُحب أن يرى ابتسامتها غيره، ولولا صعوبة الأمر لأخفاها عن كل الناس لكي لا يراها أحد سواه.

ولقد كانت تبتسم من داخلها وهي ترى حالته هذه والكلمات تخرج من بين أسنانه وهو يتحدث إليها :

هو غاضبا: خلصتي شغلك وعارفة إني هفوت عليكي، ليه ما قعدتيش في الاستراحة بدل الوقوف والهزار والكركرة الفاضية

هي بهدوء: والله يا حبيبي أنا وقفت معاهم بالصدفة كانوا بيسألوني عن حالة مريض في المستشفى والكلام أخدنا لحد ما انت وصلت

هو بغضب أكبر: وشرح حالة المريض لازم طبعًا يبقى بالضحك والفرفشة وإلّا المريض مش هيخف

هي ترفع سبابتها مُقلدة إياه: خليك حقّاني، أنا مش كنت بضحك وزميلتي هي اللي كانت بتضحك

هو بعد أن مسح على وجهه بكفه: يعني انت مش غلطانة !

هي بلهجة طفولية: يا خلاثي .. ده أنا لو مش غلطانة أبقى غلطانة علشانك انت يا باشا قلبي

هو وحاجباه مرتفعان: نعم !!

هي وإصبعها يداعب أنفه: خلاويص بقى، في حد وهو زعلان ومكشر يبقى قمر كده، وبعدين ده أنا كنت واقفة ساكتة، أومّال كنت هتعمل إيه بقى لو كنت لقيتني ماسكة إيد " وصمتت ثانيتين ثم غمزت له بعينها وهي تقول في بطء " صاحبـــ...

قاطعها مندفعاً: نعم وحياة أمـــ...

أسرعت تضع يدها على فمه قائلة: عيب، إحنا في مكان عام، أنا بقوللك هتعمل إيه بقى لو كنت لقيتني ماسكة إيد صاحبتي، إيه !! هتغير عليا من صاحبتي كمان ؟

هو بحركة عشوائية من يده: أيوه، بغير عليكي من صاحبتك ومن الهوا الطاير كمان، فلّاح بقى هتعملي إيه

هي وكفّاها يرتفعان أمام وجهها: مش بحب الفلاحين أنا، بس مش كلهم بصراحة، يعني لمّا ألاقي فلّاح بيحبني أوي كده، وبيغير عليا أوي أوي أوي كده، ده أنا مش بس أحبه، ده أنا أعشق أمه

هو مبتسمًا في رضا: ماشي خلاص، بس ما تتكررش تاني

هي تضم شفتيها إلى الأمام: خلاص ما تتكررش تاني، انت تؤمر يا باشا قلبي

هو متظاهراً بالزهو: وعلى فكرة، أنا برضه دكتور وممكن أقف في المستشفى أضحك مع زميلاتي الدكاترة وهم بيسألوني عن حالة المرضى

هي تُصيح مندفعة: نعم وحياة أمـ...

أسرع يضع يده على فمها قائلًا: عيب، إحنا في مكان عام

سعلت في إحراج وهي تتلفت حولها بحركة عشوائية، ثم سألته لتخرج من هذه الحالة عن السبب الذي جعله لا يُحضر لها الوردة البلدي التي اعتاد أن يُحضرها لها كل يوم منذ أن تمت خطبتهما منذ ثمانية أشهر .

فأخبرها بأنه سيحضرها لها عندما تتوقف عن شرح علاج حالات المرضى بالضحك وتستخدم الأدوية المتعارف عليها في علم الطب.

رفعت أحد حاجبيها وهي تنظر إليه متظاهرة بالغضب وهمّت بالاعتراض لولا أن رأت عينيه تنظر لما خلفها في اهتمام فالتفتت إلى الوراء في تلقائية لترى ما الذي جذب انتباهه إلى هذه الدرجة، فوجدت فتاة تجلس وحدها على الطاولة التي تليها فاستدارت إليه في عنف لتُصيح في وجهه ولكنها فوجئت به يبتسم ويرفع بيده الوردة أمام وجهها، فتجمدت أحرف كلماتها على شفتيها ولم تخرج، واكتفت هي بالنظر إليه لحظات بصمت العاشقين، ثم أمسكت يده لتُقبّلها قبل أن تأخذ منها الوردة وتُقربها إلى وجهها وتستنشق رحيقها بتنهيدة طويلة، ثم تضمّها إلى صدرها وهي تبتسم إليه وتدعو الله أن يحفظه لها ويُديم عليها نعمة حبّه لها .

عادت إلى منزلها في هذا اليوم وسعادتها تبدو في عينيها واضحة للجميع حتى أن والدتها لم تسألها عن سر هذه الابتسامة التي تعلو شفتيها منذ أن

عادت من العمل، ولا حالة الشرود التي هي عليها حتى وهي تجلس معهم بعد تناول الغداء .

وفي المساء دخلت إلى غرفتها ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منها الوردة لتضعها مثل باقي أترابها داخل ذلك الكتاب الذي أهداه إليها في بداية خطوبتهما .

ثم جلست على فراشها تستعيد أحداث اليوم وتبتسم وهي تتذكر ملامحه الغاضبة لمجرد أنه رآها تقف مع بعض زملائها داخل المستشفى .

كانت تعلم أنه يُحبها ويغار عليها وهي سعيدة بذلك جدًا، حتى وإن تظاهرت أمامه بعكس ذلك فهذا يكون محاولة منها لاستثارة غيرته حتى تراها في عينيه .

حتى وإن كان رد فعله صعبًا أحيانًا بحُكم تربيته ونشأته الريفية ونخوته المندفعة إلّا أن نقاءه وصدقه كانا يأسران فؤادها، لذلك لم تستطع النوم قبل أن ترسل له رسالة تُخبره فيها أنها تحبه وتحب غيرته عليها والتي تشعر معها بالأمان وتجعلها تطمئن على نفسها وحياتها معه، وكعادتها المرحة لم تستطع أن ترسل الرسالة هكذا دون أن تستفزه ببعض كلماتها، فأكملت رسالتها إليه وهي تُخبره فيها بأنها لولا خوفها على غضبه لتعمّدت كل يوم أن تجعله يشاهدها تقف مع زملائها في العمل حتى ترى في عينيه ما رأته اليوم من غيرته عليها وغرامه بها .

ثم ختمت الرسالة بكلمتها المعتادة له " بحبك يا باشا قلبي "

-" صباح الخير يا دكتور .. حمدالله على السلامة "

ألقى عليه صاحب محل الزهور تحية الصباح عندما رآه يقف أمام المحل، فانتبه إليه بعد أن ذهب عقله مع تلك الأغنية التي كانت تتردد داخل محل الزهور والمطرب يقول فيها:

هو كان نفسه يكمّل بس تاه منه الطريق
على قد إيده كان بيعمل وحلمه كان طاهر بريء
بس يعمل إيه في نصيبه واللي مكتوب ع الجبين
لمّا قرّب ليها يوصل وابتدى يعدّ السنين
اللي هيعيشها معاها في حياة العاشقين
سبق خُطاه الموت وخدها وهو تاه منه الطريق

فرد التحية على صاحب محل الزهور، وتذكّرها حين كان يأتي إلى هذا المحل كل صباح ليُحضر لها الوردة التي تحبها، وتذكّر رقتها ومواقفها وأحلامه معها التي كانا يسعيان لتحقيقها بعد إتمام زواجهما الذي لم يتم .

وتذكّر إخلاصها لعملها الذي منعها من الحصول على إجازة عندما تفشى في البلد أحد الأمراض المُعدية وأصرّت على أداء واجبها والمخاطرة بحياتها في سبيل رسالتها الإنسانية كطبيبة، ورغم كل محاولاته معها إلّا أنه فشل في إقناعها بترك العمل في هذه الفترة، والتي حدث فيها ما كان يخشاه وانتقلت إليها عدوى ذلك المرض.

وبعد عدة أسابيع انتصر عليها المرض وقدّمها هدية غالية للموت وأخذ منه كل سعادته ليصعد بها مع روحها الطيبة إلى السماء ويتركه في هذه الدنيا وحيدًا لا يعرف سوى الحزن عليها رفيقًا له فيما تبقى من عمره .

وعندما همّ بالانصراف من أمام محل الزهور سأله صاحب المحل إذا كان يرغب أن يُحضر له وردة كل يوم المعتادة فنظر إليه والألم يتألّم مما هو فيه، ثم انصرف في هدوء بعد أن أجابه قائلًا

-" مفيش داعي .. صاحبة الورد مشيت "

٥- لا تُحدث ضجيجـًا وأنـت تـحتضر

وصل إلى الكلية مُبكرًا في هذا اليوم ليتأكد مع باقي أعضاء اتحاد طلاب الكلية من الاستعدادات النهائية ووضع اللمسات الأخيرة لعقد هذا اللقاء بمناسبة حلول الذكرى الثانية لتلك الحادثة المعروفة إعلاميًا بمجزرة بورسعيد، تلك الجريمة التي راح ضحيتها أكثر من سبعين شابًا لم يرتكبوا جُرمًا سوى أنهم ذهبوا إلى الاستاد لمشاهدة مباراة كرة قدم للفريق الذي يشجعونه، ذهبوا إلى الاستاد شبابًا تملؤهم الطاقة والحياة وعادوا جثثًا تملؤها الإصابات وتُغلفها رائحة الغدر والخِسة بعد أن تسببت مجموعة من السفاحين غير المعروفين حتى الآن في إزهاق أرواحهم البريئة بطريقة وحشية دون وجه حق.

وبعد ساعتين من وصوله إلى الكلية بدأ الطلاب من كافة كليات الجامعة يتوافدون إلى قاعة اللقاء والذين استمر دخولهم لمدة ساعة أخرى .

وبعد أن امتلأت القاعة بالحضور بدأ اللقاء بكلمة أمين اتحاد طلاب كلية الإعلام والتي استهلها بوقوف الجميع لمدة دقيقة حدادًا على أرواح ضحايا هذه الحادثة، ثم ألقى كلمته وتلاها كلمات بعض الضيوف من اتحادات طلاب الكليات الأخرى، ثم قام بدعوته لإلقاء إحدى قصائده التي اعتاد زملاؤه في كلية الإعلام سماعها منه .

وقف على المسرح وبعد أن ألقى التحية على جميع الحضور قام بتوجيه بعض الكلمات للمسؤولين في الحكومة وكذلك المسؤولين في النادي الذي مات هؤلاء الشباب وهم يهتفون باسمه.

وكان مضمون كلمته أنهم يعقدون هذا اللقاء ليس للدعاء بالرحمة لمن ماتوا فالترحّم على الأموات لا يحتاج للاجتماع في القاعات وإقامة اللقاءات والندوات، كما أن هذا اللقاء ليس للتباكي لدقائق على من ماتوا فالبكاء لن يُعيدهم للحياة مرة أخرى ولن يُطفئ نار ذويهم التي لا يشعر بها غيرهم وهو واحد منهم بعد أن فقد في هذه الحادثة صديق طفولته ورفيق عمره .

ولكنهم يعقدون هذا اللقاء لتوجيه رسالة إلى مسؤولي الحكومة يُطالبونهم فيها بإلقاء القبض على هؤلاء المجرمين الذين قاموا بهذه المذبحة والقصاص منهم إرضاءً لله ثم لأهل الضحايا الأبرياء .

وكذلك لتوجيه رسالة إلى مسؤولي النادي ولاعبيه بأن يكون حُزنهم على موت من كانوا يهتفون باسمهم ليس فقط أمام الكاميرات وهذا البكاء التمثيلي، وإنما يكون بدعم الشباب فكريًا قبل ماديًا لصناعة أجيال واعية ومثقفة وليس جماهير متعصبة تتناحر مع بعضها بإشاراتهم وحركاتهم الإعلامية التي يقصدون من ورائها زيادة شهرتهم ومكاسبهم المادية دون أن يهتموا بما يصنعونه من احتقان وكراهية بين الشباب الذين يتظاهرون في أحاديثهم الإعلامية بحزنهم على وفاة مجموعة منهم.

ثم توجه بحديثه إلى الحاضرين ليُلقي بعض أبيات الشعر والتي أخبرهم أنها تُعبّر عمّا يضيق به صدره، وبدأ في الإلقاء بصوته المميز الذي اعتادوا عليه قائلًا:

٧٠ شهيد ماتوا في الملعب
اللي قتلهم مين لسه مش عارفين
خلاص يا عم انسى ويالاّ نتدرب
٧٠ زهرة ماتت على الأغصان
راحوا علشان يهتفوا للماجيكو والفنان
راحوا بس ما رجعوش قول للتاريخ يكتب
اكتب وقول إن الشباب ماتت
اكتب وقول إن السنين فاتت
ولسه مش فاهمين ولسه مش عارفين
مين ظالم ومين جاني ومين اللي قال اضرب

وبعد أن انتهى ارتجت القاعة من تصفيق وهتاف جميع من فيها تأثرًا بكلماته المُوجعة ووقف هو يتلقى تحيتهم والدموع تختنق في عينيه وهو يُصارعها كي لا تُفارق عينيه.

وفي اليوم التالي حضر إلى الكلية وتوجه إلى إدارة الشؤون القانونية بناءً على الاستدعاء الذي أرسلوه له للتحقيق معه حول كلمته في اللقاء بالأمس، حيث أخبروه أثناء التحقيق معه بأن حديثه وقصائده في اللقاءات والندوات التي يعقدونها في الجامعة سيكون لها أثر سئ عليه فيما بعد بالشكل الذي قد يُعيق تعيينه معيدًا في الكلية بعد التخرج خاصةً أن هذا هو التحقيق الثاني معه خلال أقل من شهرين بعد قصيدته التي ألقاها في ندوة كلية التجارة منذ أسابيع قليلة حول سوء الأحوال الاجتماعية والتي كان جزء من كلماتها يقول:

لمّا الشوارع تتملي فقر وأمّا العيون يُسكنها القهر
وبُطوننا جُوعها يعضّها وقلوبنا خُوفها يِهدّها
يِبقى أكيد في حاجة غلط

وعلى الرغم من اقتناعه بصحة كلامهم في أن نشاطه في اتحاد الطلاب بالكلية والندوات التي يشارك في تنظيمها وكذلك اختيار موضوعاتها سيكون عائقًا أمام تحقيق حلمه والعمل في مجال التدريس بالجامعة وهو الذي يدرس الآن في السنة الثالثة وقد حصل على تقدير امتياز في السنتين الأولى والثانية، إلّا أنه كان لا يستطيع السيطرة على مشاعره تجاه ما يحدث حوله سواء في مصر أو باقي دول المنطقة العربية، لذلك فقد كان يجلس في التحقيق وعقله مُنشغل بندوة الشهر القادم والتي قرروا أن تكون حول الاضطرابات الموجودة في بعض البلدان العربية وأثر تدخلات الدول الغربية في هذه البلدان ونقلهم لصراعاتهم الدولية لتكون على الأراضي العربية .

خرج من التحقيق واتجه إلى المدرج لاستكمال محاضرات اليوم وبعدها ذهب لاجتماع اتحاد الطلاب لمناقشة ما تم في ندوة الأمس وكذلك البدء في الاستعداد لندوة الشهر القادم .

وبعد أن انتهى عاد إلى منزله سيرًا على الأقدام ليستطيع إفراغ ما تعرّض له من ضغط خلال تحقيقات اليوم .

مرّت أيام الشهر وجاء موعد ندوة الأوضاع في المنطقة العربية، وبعد الافتتاح وكلمات الضيوف الذين كان من بينهم بعض المسؤولين وأعضاء البرلمان صعد إلى المسرح وسبق قصيدته بكلمة قصيرة أوضح فيها أن كل

ما تتشدق به هذه الدول المُسمّاة بالعظمى عن سعيها لحرية الشعوب العربية وإرساء قواعد الديموقراطية هو كذب ولا يمُتّ بصلة لأغراضهم الحقيقية في حملات الغزو المُقنّعة التي يشنّونها على منطقتنا العربية، تلك المنطقة التي نقلت إليها هذه الدول العظمى صراعاتها مع بعضها ليُجنّبوا أوطانهم ويلات الحروب وما يتبعها من خراب وتشريد تُعاني منه الآن ملايين الأُسر العربية دون أي ذنب اقترفوه

ثم ألقى قصيدة طويلة ألهب بها صدور كافة الحاضرين قال في بعض أبياتها:

أغراب بيتخانقوا مالهم ومال أرضي
أنا ليه أكون في الخناقة وبيجوا ليه عندي
يا أفندي دي مش خناقة ولا فيها ضديات
دي تمثيلية قديمة والجاي زي اللي فات

-" صباح الخير يا حبيبي .. الساعة ٩ "

كان مازال مُستلقيًا على فراشه رغم أنه استيقظ منذ ما يقرب من ساعة فابتسم لوالدته وردّ عليها التحية ثم أخبرها بأنه سينهض حالًا من فراشه، وبعد أن خرجت والدته من الغرفة ابتسم مُتعجبًا من نفسه لعدم وجود سبب يجعله يتذكر بمجرد استيقاظه اليوم هذه الأحداث التي مرّ عليها سنوات .

ثم قام ليستبدل ثيابه حتى لا يتأخر عن موعد عمله وهو لا يزال تتوالى الذكريات إلى ذهنه، وتذكّر كيف أنهى سنوات دراسته الأربع في كلية الإعلام بتقدير عام امتياز وترتيبه كان الثالث على دفعته .

وعلى الرغم من ذلك لم يتم تعيينه مُعيدًا في الكلية كما كان يحلم وكما كان يستحق وتم تعيين أحد أبناء أساتذة الكلية والذي كان يليه في الترتيب بأربعة مراكز.

وحينها عندما حاول البحث عن حقه في التعيين بالكلية لم يستطع الوصول لشيء إلّا بعض الكلمات التي قالها له أحد المُطلعين على بواطن الأمور بشكل غير رسمي ليُخبره بأن هناك سببين لعدم تعيينه وهما نشاطه في اتحاد طلاب الكلية على مدار سنوات دراسته، والسبب الثاني هو إفساح الطريق لتعيين ابن أستاذ الجامعة بدلًا منه، فخرج يومها من باب الكلية وهو يقول لنفسه :

مينفعش تكون رخيص وتطلب في العلالي تعيش في ناس مخلوقة للراحة شجرة نعيمهم طراحة حرير في اللقمة والنومة وعذب الميّه لمّا الدنيا ما تِشتيش

-" الشاي جاهز يا حبيبي "

انتبه مرة أخرى على صوت والدته الذي أعاده من ذكرياته إلى الواقع الذي آل إليه في النهاية وهو عمله الآن في إحدى الصحف المغمورة والتي رغم علمه وكفاءته يتقاضى منها أجرًا شهريًا لا يستطيع من خلاله أن يتناول القهوة مرتين في أحد المقاهي المشهورة .

خرج من غرفته ليتناول الشاي مع والدته ويتحدث معها لدقائق مثل كل صباح ثم أخذ حقيبته وغادر إلى عمله .

وعندما جلس داخل عربة مترو الأنفاق أخرج مقاله الأسبوعي ليراجعه حيث أن موعد طباعته اليوم .

ثم ابتسم مرة أخرى مُتعجبًا من نفسه لأنه على الرغم من كل خسائره وما عانى منه وواجهه من صعوبات فإنه لم يستطع إقناع روحه بالاستجابة لضغط الحياة ومسايرة الموجة كما يقولون، بل مازال قلمه لا يستطيع التملق والنفاق .

وهذا المقال خير دليل على ذلك فعلى الرغم أنه قد كتبه ليتم نشره في صحيفة لا يعرفها الكثير إلّا أنه حافظ فيه على هويته الفكرية ورفضه لسياسة التسليم بالخطأ إذا اجتمع عليه الأغلبية .

فها هو يتحدث في مقاله عن الفروق الطبقية المصنوعة عمدًا بين فصائل الشعوب العربية وسيطرة بعض الفئات دون غيرها على مُقدرات البلدان مع خروج الأبواق المنافقة لتنفي وجود ذلك وتتحدث رياءً عن إتاحة الفرصة لجميع أفراد الشعوب والمساواة الموجودة بين الجميع وتقبُّل هذه الفئات المُسيطرة لغيرها ممن يختلفون معها، وقد اختتم كلماته القوية في المقال بأبيات شعرية أقوى منها تقول:

أمّة تخاف الاختلاف وتدّعي كذباً عدالتها

أمّة تُجيد رسم الغلاف والمحتوى يفضح نخاستها

٦- عيد الحُب

اتصل بها وهي في العمل ليخبرها بأنه سيتأخر لمدة ساعتين عن موعد عودته المعتاد للمنزل، فاتفقت معه على أن تنتهز الفرصة وتمر في طريق عودتها من عملها على منزل أسرتها لترى والديها وأشقائها ثم تعود إلى منزلهما، وعند ذهابها إلى بيت أسرتها لم تجد مع والديها من أشقائها سوى أصغرهم.

وقد لاحظت أنهم يُخفون عنها أمرًا ما ولكنها لم تستطع معرفته خلال جلستها معهم والتي قضوها في الاطمئنان عليها وعلى أحوالها مع زوجها، بعدها قامت للانصراف بعد أن رفضت تناول الغداء معهم حتى تتناوله معه.

وخلال الطريق حاولت أن تُخمّن ما يُخفيه عنها والداها وشقيقها ولكنها فشلت في معرفة ذلك الأمر، ولكنها بعد أن وصلت وبمجرد أن دخلت إلى منزلهما أدركت كل شيء عندما وجدت المنزل قد تم تزيينه بالكثير من المُعلّقات الغرامية المختلفة ويتوسطها قلب أحمر كبير تمت صناعته من الألياف الصناعية وقد احتل نصف الجدار المقابل لباب المنزل .

وقفت للحظات تبتسم بسعادة وقد أدركت الآن أنه قد أخبرها بتأخره لأنه يعلم أنها في هذه الحالة ستذهب إلى أسرتها لتقضي معهم بعض الوقت الذي يستطيع خلاله أن يقوم بكل ما تراه أمامها الآن احتفالًا منه بها في هذا اليوم الذي يوافق عيد الحب والذي لم تنتبه هي إلى أنه يوافق اليوم إلّا عندما قرأت رسالته المعلقة على أحد الجدران وقد كتب فيها:

العالم يحتفل بالحب وأنا أحياه
كل عام وأنت حبيبتي وعالمي وحياتي

ظلت هائمة وهي تسير بخطوات هادئة تقرأ كلمات غرامه على الجدران حتى أنها لم تخلع عنها حقيبة يدها ولم تنتبه لعدم وجوده في المنزل، كما أنها لم تنتبه إلى تلك الدمية الكبيرة والتي يزيد طولها عن المترين وكانت على هذا الشكل المميز الذي تحبه إلّا عندما اصطدمت عيناها بذلك الصندوق الذي يحتويها كلها وقد طُبعت عليه من خارجه صورة الدمية .

حينها وقفت أمام الصندوق وقد مُلئت عينيها فرحة تقل كثيرًا عن تلك التي سكنت قلبها بأفعاله معها والتي تجعلها تعشقه وتذوب في عشقه حتى النخاع .

وبعد أن همّت بفتح الصندوق انتبهت لعدم وجوده فقررت ألّا تفتح الصندوق وحدها وأن تنتظره لتفرح معه بهذه الدمية التي تحبها كثيرًا فأخرجت هاتفها وقامت بالاتصال به ولكنه لم يجاوبها .

ثم أتتها منه رسالة على هاتفها يسألها فيها عن رأيها في الهدية التي أعدّها لها ويعتذر لها عن عدم تواجده معها الآن لأنه اضطر للعودة إلى العمل والبقاء حتى الآن بسبب بعض الأعمال الطارئة .

وبعد أن مطّت شفتيها إلى الأمام وقطبت حاجبيها كعادتها كلما أغضبها شيء قامت باستبدال ثيابها ثم حاولت الانشغال في بعض الأعمال المنزلية حتى يعود من العمل وبعد دقائق قليلة انتصر عليها فضولها الأنثوي فذهبت لتُخرج الدمية التي أحضرها لها، وبمجرد أن فتحت جانبًا من الصندوق الذي يحتويها تراجعت وهي تُطلق صرخة رعب كبيرة عندما لم

تجد الدمية ووجدته هو يخرج ضاحكًا من الصندوق ويقول لها بمرحه الصبياني المعتاد :

-" هابي فالانتين داي "

وبعد أن أفاقت من صدمتها اندفعت إليه ثم انهالت على صدره بلكماتها الرقيقة وهو مازال يواصل ضحكاته قبل أن تهدأ وهو يحتضنها ويُحيطها بذراعيه مُداعبًا خصلات شعرها بأسفل ذقنه ويسألها في مشاكسة " عجبك الدبدوب "

وعندما ظلت مختبئة في صدره ولم تجاوبه رفع وجهها أمامه وأعاد عليها السؤال وهو يغمز لها بإحدى عينيه

-" عجبك الدبدوب ؟ ولا نغيّره "

وبعد أن هدأت أخذها من يدها وسار بها إلى غرفة أخرى وهو يخبرها بأنه من المؤكد أنه لم يُحضر الصندوق الخشبي فارغًا ليجلس فقط داخله، ثم فتح باب الغرفة فإذا بالدمية تقف مستندة إلى الجدار المقابل فطبعت قُبلة على أحد خديه ثم جرت تحتضن الدمية في مرح .

وعندما أسندت رأسها إلى الدمية وهي تحتضنها إذا بصوت زئير مُفزع يصدر منها يجعلها تنتفض وتتراجع مرتجفة في خطوات غير منتظمة حتى كادت أن تسقط لولا أنه قفز والتقطها بين ذراعيه وضحكاته تتعالى مرة أخرى وهو يرفع أمامها جهاز التحكم عن بُعد الذي يُمسكه في يده والذي من خلاله قام بتشغيل الجهاز الذي ألصقه في ظهر الدمية ليصدر منها ذلك الصوت الذي سمعته .

هذه المرة لم تستطع أن تلكمه أو حتى تتحدث واستسلمت لذراعيه وهو يحملها مُبتسمًا ويخرج بها إلى المطبخ ليتناولا طعام الغداء .

كانت هذه طبيعته التي تعرفها منذ صغره حيث نشأت معه في نفس البناية التي تجاورت أسرتاهما خلال سكنهما داخلها، كان يحب الدعابة والمواقف الطريفة ويرفض التخلي عن روح الطفل التي بداخله والتي كانت تستمتع هي بها في حياتها معه على الرغم من كل مفاجآته لها والتي تجعلها دائمًا تنتفض من الخوف ثم تغمرها السعادة، حتى أنها لا تنسى ذلك اليوم الذي عادت فيه إلى منزل والدها حين كانا في فترة الخطوبة وعندما دخلت إلى المنزل وجدت والديها وأشقاءها قد أعدّوا لها احتفالًا بمناسبة أن اليوم كان يوافق عيد ميلادها، وبعد أن احتفلت معهم وقاموا بالغناء وفي اللحظة التي همّت فيها بإطفاء شموع الاحتفال إذا به يفاجئها ويخرج من غرفتها حاملًا صورة مرسومة لها بالحجم الطبيعي ويُغني لها هذه الأغنية الشهيرة التي تقول مقدمتها :

-" إنزل يا جميل في الساحة .. واتمخطر كده بالراحة "

وأثناء تناولهما الغداء جلس يحكي لها اتفاقه مع أهلها على أن يحاولوا تأخيرها عندهم في هذا اليوم قدر استطاعتهم حتى يتمكن من إعداد كل ما رأته.

كانت تستمع له مبتسمة في سعادة ثم قامت لإحضار العصير من الثلاجة وعندما فتحتها إذا بها تجد بجوار العصير تذكرتين لحضور حفلة عيد الحب في أحد الفنادق الراقية والتي يُحييها مطربها المفضل، فالتفتت إليه مبتسمة ثم أحاطت عنقه بذراعيها وهي تهمس له في غرام بأنه أجمل رجل

في الدنيا كلها، ثم أغمضت إحدى عينيها متسائلة إذا كان هناك مفاجآت أخرى فرفع كتفيه إلى رأسه وهو يمط شفتيه ويفتح كفيه أمام صدره دون أن يُجيبها مكتفياً بابتسامته البريئة .

-" أهلاً بحضرتك .. دقايق وتقدري تدخلي "

كانت تستند إلى الجدار خلفها وهي تجلس فوق أحد المقاعد داخل استراحة إحدى مستشفيات الأمراض النفسية عندما سمعت المُمرضة تُرحب بها بهذه الكلمات وهي تنتظر الدخول لزيارته والاطمئنان على حالته كما تفعل كل أسبوع منذ عامين .

منذ ذلك اليوم الذي احتفلت فيه معه بعيد الحب داخل منزلهما ثم خرجا إلى حفلة مطربها المفضل، وبعدها عادا إلى منزلهما وناما ليلتها في سعادة بالغة ليستيقظا على هذا الاتصال الذي يخبرهما بأن الشقة التي تسكن فيها والدته وشقيقته قد تعرضت لماس كهربائي أشعل فيها النيران التي التهمت والدته وشقيقته، والتي كانت تعلم جيدًا مدى حبه لهما .

ومنذ ذلك اليوم انتهت تلك العلاقة التي استمرت لسنوات بين حياتهما وبين السعادة بعد أن عجز قلبه الرقيق وروحه البريئة عن تحمّل الأمر فسقط فريسة سهلة لذلك المرض النادر الذي أفقده القدرة على الكلام وأقعده في الفراش بشكل دائم .

دخلت إليه ففتح عينيه في وهن ونظر إليها تلك النظرة البائسة التي اعتادت عليها منه في كل زيارة بعد أن استطاعت احتلال عينيه وطردت ذلك المرح والتفاؤل اللذين كانا لا يغادران عينيه في الماضي .

تلك النظرة البائسة التي ينخلع قلبها معها في كل مرة تراها منه وهي تشهد هذا التدهور المستمر في حالته والضمور الذي ينهشه وهي عاجزة عن مدّ يد العون له وهو الذي عاش لسنوات يُقدم لها كل أشكال السعادة .

وبعد انتهاء مدة الزيارة طبعت قبلتها المعتادة على جبينه وهي تحتضن جسده الذي اختفت منه كل آثار تلك البنية القوية ولم يبق منها سوى هذه البقايا النحيفة ثم ودعته وانصرفت إلى حجرة الطبيب المعالج له تسأله عمّا إذا كان هناك جديد بخصوص شفائه .

كانت تسأله وهي تعلم الإجابة مُسبقًا لذلك لم يفاجئها قول الطبيب حين أخبرها بأن كل ما يملكه الأطباء من علم لا يوجد فيه ما يساعد زوجها وأن شفاءه يحتاج لمعجزة من السماء .

فشكرته ثم غادرت المستشفى على نفس الحالة التي تعيشها منذ عامين والتي تجمع داخل قلبها ألماً كبيرًا لما أصاب حبيبها وأملًا أكبر في شفائه من خلال معجزة السماء التي أخبرها عنها الطبيب والتي ترجوها هي من رب السماء .

٧- سؤال الصغير

أطلّت وهي تُمسك بيد والدها مُتزينة في فستان زفافها الأبيض الرقيق الذي جعلها تُشبه أميرات القصص والروايات .

كانت كالبدر في تمامه وهو ينظر إليها ووالدها يسير معها بخطوات بطيئة مناسبة لسنوات عمره التي تجاوزت السبعين ليُقدمها إلى عريسها هديةً وأمانة،وسعادة الحاضرين بهذا الزواج تخرج في شكل صيحات واحتفالات صاخبة تجاوزت قوتها صوت الموسيقى المصاحبة لهذه اللحظات .

ووسط كل هذا وقف هو صامتًا يُتابع خطواتها بنظراته التي تحمل لها كل الحب، وعلى الرغم من صمته إلّا أن الفرحة التي ملأت قلبه كانت أكبر من فرحة كل الحاضرين إذا اجتمعت .

كانت شقيقته الصغرى وذلك بحُكم أنهما قد وُلدا لنفس الأب والأم ولكنها على أرض الواقع كانت ابنته وصديقته التي نشأت وترعرعت على يديه والتي دائمًا كانت ترى فيه والدها الثاني، ولطالما صرّحت بذلك في مناسبات عديدة مُتباهية بأن لها والدان، وكانت الصديق المُقرب والأوحد له لذلك كانت تحمل كل أسراره .

كانت العلاقة بينهما تتجاوز ذلك الارتباط الطبيعي بين الأشقاء والذي أصبح في أيامنا هذه ينهار بنسبة كبيرة إذا اشتدت عليه عواصف الحياة، كانت تفهمه دون أن يتحدث وكان يُلبي احتياجاتها قبل أن تُعلن عنها، كانا الأقرب لبعضهما .

ولذلك وسط صخب حفل الزفاف وهذا الكم الكبير من المتواجدين كانت هي الوحيدة التي انتبهت إلى نظراته إليها وشعرت بما فيها وهي تنظر إليه مبتسمة وتُمّرر له قبلة على كفها في الهواء وتُغمز له بإحدى عينيها وهي تضع سبابة وإبهام يدها اليمنى فوق موضع قلبها .

كانت تنظر إليه وكلماته تتردد في أذنها وهو يصف لها حاله الذي سيسوء بعد زواجها ولكنه يرضى بذلك في سبيل أن تعيش في سعادة مع زوجها الذي أوصاها على رعايته وطاعته رغم أنه سيتسبب في حرمانه منها في أوقات كثيرة، فقد كانت سعادتها أهم لديه كثيرًا من سعادته هو نفسه .

وكذلك كان يحب زوجها كثيرًا لتشابههما في أمور وصفات عديدة، ولعلّ هذا التشابه كان من أهم الأسباب التي دفعتها لقبول الزواج منه بعد أن رفضت قبله العديد ممن تقدموا لخطبتها .

كانت على يقين وهي تنظر إليه أنه يتذكر الآن حياتهما في الماضي والسنين التي عاشاها سويًا وكيف كانت جميلة بكل ما فيها.

فها هي تتشاجر في المدرسة مع إحدى زميلاتها ويصل الأمر لأن تُقرر إدارة المدرسة حضور والدها كشرط للسماح لها باستكمال الدراسة فتُسرع إليه وهي تبكي وتحكي له ما حدث وتصف له خوفها من إخبار والدها فيضمها إلى صدره مبتسمًا ويظل يُطمئنها حتى تهدأ .

وفي الصباح يذهب معها إلى المدرسة لمقابلة المسئولين وتسوية الأمر بصفته وليّ أمرها في هذه الفترة لظروف سفر والدهما خارج البلاد لتلقي العلاج من أحد الأمراض الخبيثة .

وبعد انتهاء المشكلة يصحبها في نزهة قصيرة بعد أن استأذن إدارة المدرسة في إنهاء يومها الدراسي الآن ووعدهم بالتزامها بدءا من الغد في الحضور وكذلك الهدوء وعدم ارتكاب أي أخطاء .

وخلال النزهة كان يضحك وهو يُخبرها بأنها تسببت في أن يكذب على إدارة المدرسة ويُخبرهم بأن والدهما مريض وفي رحلة علاج بالخارج، وطلب منها أن تشكر الله أن المسئولين في المدرسة لا يعرفون والدهما بصورة شخصية .

وها هو تتعثر أحواله المادية في بداية التحاقه بوظيفته فيتعامل معها مثل تعامل المواطنين مع وزارة المالية فيقترض منها بعض الأموال وذلك نظرًا لقوة مركزها المالي داخل الأُسرة بحُكم أنها آخر العنقود والحائزة على دعم كل من في المنزل .

كما أنها كانت أول إنسان يذهب إليه ليروي لها عن تلك الفتاة التي رآها وخطفت قلبه من أول نظرة إليها، والتي أصبحت فيما بعد زوجته وصديقتها الُمقربة بعد فترة خطوبة لازمتها فيها أكثر منه أثناء تأسيس منزله واختيار أثاثه ومحتوياته وصولًا إلى حُلة زفافه وفستان زوجته الأبيض واللذان لم يخرجا من تحت سطوة اختيارها.

ذكريات كثيرة جمعت بينهما مرّت عليهما في تلك اللحظات التي تلاقت فيها عيونهم وهو ينظر إليها بعد أن تلقّاها عريسها من والدهما وأحاطها بذراعيه بعد أن أشار إليه بطريقة مضحكة مُعلنًا له أنه استحوذ عليها وفاز بها منه، فابتسم له مشيرًا بدعائه لهما بالسعادة.

وبعد أن انتهت تلك الرقصة الهادئة بينها وبين عريسها أشارت إليه أن يأتي إلى مسرح الرقص ثم ابتسمت لعريسها وهي تتركه وتذهب إلى شقيقها ثم تُشير إلى القائمين على موسيقى الزفاف بإشارة مُتفق عليها مُسبقًا بينها وبينهم ارتفع على إثرها لحن إحدى الأغنيات الرومانسية الشهيرة قبل أن تُحيط عنقه بذراعيها ويتمايلا في هدوء على أنغام الموسيقى، ثم تحتضنه حتى لا يراها وهي تُخرج لسانها إلى زوجته بطريقة طريفة جعلت ضحكاتها تتعالى داخل قاعة الفرح هي وجميع الحاضرين .

مرّت أولى سنوات زواجها صعبة على كليهما خاصةً وأنها سافرت بعد زواجها مباشرة برفقة زوجها لقضاء عامين في تلك الدولة التي يرتبط زوجها مع إحدى الشركات فيها بتعاقد للعمل معهم، وعادا بعد انقضاء العامين حاملين طفلًا جميلًا فوق ذراعيهما .

كان في منتهى السعادة وهو يرى شقيقته الصغرى تحمل ولدها، هذه الفتاة التي لم يستطع أبدًا أن يقتنع بتقدمها في العمر وكان دائمًا يراها تلك الطفلة الصغيرة ها هي قد أصبحت زوجة وأُمًا، وقد تضاعفت سعادته كثيرًا عندما أخبرته بأنهما قد أسمياه على اسمه .

وقبل عودتهما من الخارج كان قد قطع شوطًا كبيرًا من النقاش معهما حتى نجح في إقناعهما بأن يسكنا بالقرب منه، ولذلك زاد تعلقه بابن شقيقته وأصبح من الصعب أن يمر عليه يوم لا يراه فيه ويُحضر له الحلوى والألعاب مثلما يفعل مع ولديه تمامًا .

وبمرور الأيام كان الطفل كذلك يزداد تعلقه به، وكان يشعر في تعامله مع ابن شقيقته بأن التاريخ يُعيد نفسه من خلال ما كان يراه منه من تصرفات تشبه أمه حين كانت في مثل عمره .

-" خالو .. ليه ماما وبابا اتأخروا عند ربنا ؟ همّ مش هيرجعوا بقى ؟ "

أصابت حلقه غصة حارقة وهو يسمع هذه الأسئلة من ابن شقيقته الذي لم يشعر بدخوله إلى غرفته حين كان يتأمل صورة لشقيقته وزوجها في ذلك اليوم الذي يصادف الذكرى السنوية الأولى لوفاتهما غرقًا داخل تلك الباخرة التي كانت في طريقها عائدة بهما بعد أدائهما للعمرة .

فصمت للحظات ثم احتضنه في حنان وهو يبحث عن كلمات يُجيب بها عليه حتى استطاع تخطي تلك الغصة قبل أن يخبره بأنهما سيعودان قريبًا ومعهما ألعابا وهدايا كثيرة له، ولكن بشرط أن يحافظ على تناول الطعام جيدًا ويواظب على الذهاب إلى المدرسة ويهتم كثيرًا بمذاكرة دروسه، لأنهما أثناء وجودهما عند ربنا يشاهدان ما يقوم به ويفرحان بتفوقه .

واستمر في حديثه إلى ابن شقيقته حتى ذهب في نوم عميق استراح به من ذلك المجهود الكبير الذي يبذله كل مرة يجيب فيها عليه عندما يسأله عن والديه .

ثم أراح الطفل إلى الفراش قبل أن يُعيد الصورة إلى موضعها ويعود لينام بجواره ويضمه إلى صدره وهو يُخرج تلك الآه التي اعتادت أن تمزق قلبه وقتما تشاء منذ أن رحلت شقيقته .

٨- غـالـيـتـي

-" نستعد الآن للإقلاع في رحلتنا المتجهة إلى القاهرة .. الرجاء من السادة الركاب ربط الأحزمة "

انطلق هذا النداء عبر الإذاعة الداخلية للطائرة المتجهة من إنجلترا إلى مصر، وقام الجميع باتباع تعليمات الإقلاع، وما إن استقرت الطائرة في الهواء حتى فتحت هي زجاج النافذة التي تجلس إلى جوارها وألقت نظرة وداع على هذا البلد الذي قضت فيه ست سنوات من عمرها حصلت خلالها على درجة الدكتوراة، وسبحت في بحر ذكرياتها وكيف بدأت الأحداث التي سبقت تلك اللحظة التي تجلس فيها الآن داخل الطائرة .

البداية كانت منذ عشر سنوات أي بعد تخرجها من الجامعة بعام واحد، حينها كانت فتاة مدللة لا تحمل مسئولية أي شيء، وبحكم أنها كانت البنت الصغرى والوحيدة لأخوين فقد كانت ابنة لهما قبل أن تكون ابنة لوالديها .

وفي هذا العام بعد التخرج كانت المرة الأولى التي يحدث بينها وبين أسرتها خلاف، وذلك عندما تقدم هو لخطبتها وقُوبل طلبه بالرفض من أهلها بحجة أنه زميلها وفي نفس عمرها أي أنه حديث التخرج من الجامعة ولا يستطيع تحمل مسئولية زوجة وأولاد والتزاماتهم المادية .

ومن هنا وقع الخلاف بينها وبين أهلها واستمر لمدة عامين، عاود هو خلالهما طلبه أكثر من مرة وفي كل مرة كان رد أهلها لا يتغير، وفي كل مرة

كانت هي تحاول إقناع أهلها بأنها تحبه وترغب في قضاء عمرها معه وأنها على استعداد لمواجهة مصاعب الحياة إلى جواره ولكن كل ذلك كان بدون جدوى إذ ظلّ قرار أهلها ثابتًا لم يتغير .

وعلى الرغم من ذلك لم تفقد الأمل طوال العامين وكانت دائمًا تخبره بأنها تُحبه ولا ترى لنفسها حياة مع غيره وتصدت خلال هذه الفترة لكل محاولات أهلها للزواج من غيره، و لم ينهر هذا الأمل إلّا عندما استيقظت في صباح أحد الأيام ووجدت رسالة منه على هاتفها يقول فيها :

" إلى ابنة قلبي وغاليتي ، هذه الكلمات التي تقرئينها ليست همسات وداع، ولكنها عزاء من روحي لروحي فأنت الروح وهواها، وإني أُشهد الله أنني :

ما سكن قلبي غرام أنثى سواكِ

و ما أحببت أُماً بعد أمي إلاّكِ

و ما كان لدائي دواءً أبداً غير عيناكِ

فأنت السكن وأنت الوطن

و أنت التي بهواها أحيا والحياة هواكِ

ولكنها مشيئة الله وأقداره يُقرها بإرادته ويُهيئ لها الأسباب ويختار من عباده من ينفذها، ولقد شاء الله وقدّر لنا الفُرقة والابتعاد حتى وإن كان في هذا وجعنا فلا سبيل لنا سوى الرضا بقضاء الله وحكمه، ويشفع لي في هذا الفراق أنني ما ادخرت جهدًا يُقربني منك إلّا بذلته وما رأيت طريقًا يقودني إليكِ إلّا سلكته، ولكنها النهاية رغمًا عنا، فسلامًا منك وعليكِ .. سلامًا من قلبي إليكِ .

قرأت كلماته ودموع روحها تتساقط من عينيها وتمنع آآآآآهًا شقت صدرها من الوصول إلى شفتيها، ثم غابت عن وعيها .

ولم تشعر بشيء حتى استيقظت بعدها لتجد نفسها على فراش يختلف عن غرفتها فاستدارت بعينيها لتجد طبيبًا بجوارها ويُخبرها أنها تنام الآن في غرفة بإحدى المستشفيات منذ أربعة أيام نتيجة لإصابتها بهبوط مفاجئ في دورتها الدموية كادت بسببه أن تلقى حتفها .

ولم تمر دقائق معدودة بعد استيقاظها حتى وجدت والديها وأخويها يدخلون عليها الغرفة والحزن يُخيم على وجوههم، ولكنه سرعان ما تلاشى عندما وجدوها مستيقظة حتى وإن كانت عيناها تعاتبهم على ما تسببوا فيه من وجعها .

جلست أمها بجوارها واحتضنت كفها بين يديها بحنان وهي تجاهد لتمنع دموعها أن تغادر مقلتيها وهمست لها :

-" الحمد لله على سلامتك يا بنتي .. سامحيني سامحينا كلنا "

مضت عدة أيام حتى استقرت حالتها الصحية ثم غادرت المستشفى.

وقررت أن تقضي كل وقتها في العمل حتى لا تترك لنفسها مجالًا لما بها من ألم أن يطفو على سطح حياتها، خاصةً بعد أن أخبرها أهلها بموافقتهم على زواجها منه وحاولت الوصول إليه لتخبره فلم تجده لا في منزله ولا مع أصدقائه، ولم تعثر على أي معلومة تقودها إليه .

وعندما يئست من الوصول إليه وافقت على طلب خالها الذي يُقيم في إنجلترا بأن تسافر إليه وتستكمل دراساتها العليا هناك .

وبالفعل أنهت إجراءاتها وسافرت إلى إنجلترا وهناك بدأت مرحلة جديدة في حياتها العلمية، وأفرغت كل طاقتها وما يسكنها من انفعالات في الدراسة حتى حصلت على درجة الدكتوراة وبتقدير الامتياز مما جعلها تتلقى عرضًا للعمل في إحدى الشركات الكبيرة هناك وبمقابل مادي ضخم جدًا، ووافقت على الفور رغبةً منها في أن تظل بعيدة قدر استطاعتها عن كل مكان يُذكّرها بحبيبها الذي لا تنساه .

وفي صباح ذلك اليوم كانت تقود سيارتها في طريقها إلى الشركة لتوقيع عقود العمل معها وإتمام كافة الإجراءات، وقبل وصولها جاءتها رسالة على الهاتف فقامت بفتحها ظنًا منها بأنها إحدى رسائل زملائها المعتادة، إلّا أنها وبمجرد قراءة الرسالة أوقفت سيارتها بطريقة مفاجئة كادت أن تجعل السيارة التي تسير خلفها تصطدم بها لولا أن تفادى قائدها الاصطدام في اللحظة الأخيرة وهو يُطلق عبارات غاضبة لم تسمع منها حرفًا واحدًا، حيث كانت غارقة بكل كيانها في بحر من المشاعر المختلفة ما بين الدهشة والفرح والذهول وعدم التصديق والرغبة في التصديق وهي تقرأ الرسالة التي جاءتها من رقم هاتف مصري وبها كلمتان فقط

-" وحشتيني يا غاليتي "

تمالكت نفسها وقادت سيارتها إلى جانب الطريق ثم أوقفتها وقامت بالاتصال بالرقم الذي جاءت منه الرسالة، وكم كانت الثواني التي مضت حتى يتم الاتصال طويلة جدًا عليها ولكنها مضت وسمعت صوته على الجانب الآخر وهو يجاوبها .

وحتى الآن لم تستطع أن تضع وصفًا مُحددًا لما شعرت به عندما سمعت صوته يحادثها ويُخبرها بأنه قد عاد وبأنه يشتاق إليها .

كان كما هو لم تتغير كلماته العذبة ومشاعره وغرامه، وظلّا يتحدثان لساعات طويلة أضاعت موعدها في العمل ولم تنتبه إلّا وأحد أفراد الشرطة يقف أمامها ويسألها عن سر جلوسها في السيارة كل هذه الساعات فاعتذرت منه وتحركت بالسيارة وهي مستمرة في الحديث معه .

وخلال نفس المكالمة كانت قد اتخذت قرارها بالعودة إلى مصر في أقرب وقت لتكون معه مرة أخرى ولكن هذه المرة إلى الأبد ولن تسمح لشيء أو أحد أن يُبعدها عنه .

وبالفعل في غضون أيام لا تتخطى شهرًا كانت قد أنهت كل إجراءاتها ومتعلقاتها في إنجلترا استعدادًا للرجوع إلى مصر، وخلال هذه الأيام لم تتوقف محاولات خالها معها لإقناعها بالعدول عن قرارها والبقاء من أجل عملها ومستقبلها، ولكنها كانت قد اتخذت قرارها .

وها هي في الطائرة وبعد ساعات قليلة ستصل إلى مصر وتراه وتتحدث معه، بل وستعيش معه ما بقي من عمرها .

وصلت الطائرة وكم كانت أيضًا دقائق إنهاء الإجراءات طويلة عليها ولكنها انتهت وخرجت من المطار مسرعة تتلفت بكل لهفتها في كل اتجاه بحثًا عنه ولكنها لم تجده .

وبدأت الحيرة تظهر على وجهها والقلق يتملكها، ولكن كل ذلك سرعان ما تلاشى عندما سمعت صوتًا خلفها يهمس بكل دفء الدنيا

" وحشتيني "

التفتت بكل كيانها إليه لتجده واقفًا بنفس طريقته التي لم تتغير وهو يحتضنها بعينيه، ولا تعرف كم مضى من دقائق عليهما وهما في نفس الحالة حتى أمسك بيدها ليغادرا المطار .

وخلال طريق عودتهما إلى المنزل لم تكُفّ عن سؤاله عن كل ما صار معه في السنوات التي ابتعد فيها وهو يجيبها بكلمات قليلة ونظرات طويلة دافئة كطفل عادت إليه أمه بعد غياب .

مرّ أسبوع على عودتها، وخلال هذا الأسبوع تمت خطبتهما والاتفاق على إتمام الزواج في آخر أيام نفس الشهر .

وبكل طاقتهما كانا يعملان على الانتهاء من كل الاستعدادات للزواج حتى أنهما لم يكونا يتحدثان كثيرًا لضيق الوقت، ورغبتهما في إتمام الزفاف سريعًا واستكمال ما بقي من العمر معًا .

ومرت الأيام وجاءت الليلة التي تسبق الزفاف واتفقا على أن يمر عليها صباحًا ليقوم بتوصيلها إلى مركز إعداد العرائس موضحًا لها بأنها لا تحتاج إلى تجميل أكثر مما هي عليه بطبيعتها .

وفي الصباح استيقظت وقامت بالاستعداد إلى مغادرة منزل والدها، ولكن ليس إلى العمل أو السفر ولكن هذه المرة إلى مرافقة حبيبها الوحيد .

وعندما تأخر عن الموعد الذي اتفقا عليه قامت بالاتصال به وهي تتمتم بعبارات تبدو غاضبة ولكنها في الحقيقة تفضح اشتياقها إليه.

ولّما حاولت الاتصال أكثر من مرة به ووجدت هاتفه مغلقًا تعجبت كثيرًا، وطلبت من أخيها أن يصحبها إلى منزله حيث يسكن قريبًا منهم في الشارع الذي يليهم ويعيش وحده بعد وفاة والدته منذ سنوات .

وعندما وصلا إلى البناية التي يسكن فيها تفاجئا من وجود عدد كبير من رجال الشرطة وحالة من الاضطراب تسود الأهالي فانقبض قلبها وزادت دقاته بشكل كبير دون أن تدري سببًا لذلك .

واقتربت في خوف من أحد رجال الشرطة وسألته ماذا حدث فأخبرها بمقتل أحد الشباب والذي يقطن في هذه البناية، وباستعراض بيانات القتيل من حيث اسمه والطابق الذي يقيم فيه تأكدت من أنه حبيبها .

والعجيب أنها لم يصدر منها أي رد فعل يتناسب مع ما سمعته سوى انطفاء بريق عينيها بشكل يُوحي بأنه لن يعود مرة أخرى أبدًا، ثم تراجعت في خطوات بطيئة رافضةً يد أخيها التي امتدت لتعاونها على الجلوس على الأرض في مقابل البناية .

ومرت عدة ساعات من عمل رجال الشرطة ثم خرجوا أمامها حاملين جثته ولكنها لم تستطع النهوض لتوديعه، بل اكتفت بمتابعتهم بنظرها وهي تستعيد ذلك الخوف والقلق الذي كان يملأ عينيه منذ عودتها ولم تجد له تفسيرا .

مرت أيام استطاعت بعدها أن تتمالك نفسها بالشكل الذي يجعلها تستطيع أن تخرج من المنزل وتذهب إلى شقته مستخدمة المفتاح الذي أعطاه لها قبل ذلك .

وعندما دخلت إلى الشقة واجهتها صورة كبيرة لها كان قد رسمها لها بيده وكتب تحتها الاسم الذي كان يناديها به دائمًا

-" غاليتي "

سارت في أرجاء الشقة ودمعاتها تتساقط في كل مكان تمر فيه، ثم ذهبت إلى الصورة وتأملتها كثيرًا ومررت أناملها فوقها تتحسسها برفق وألم .

وعندما همّت بالانصراف لمحت ورقة تختفي خلف ساعة كبيرة تتوسط الجدار المقابل للصورة فذهبت إليه وانتزعت الورقة من مكانها فإذا بها رسالة منه إليها .

فتحت الرسالة وبدأت في قراءتها وفي كل سطر تقرؤه تتضاعف صدمتها، وحين انتهت من قراءة الرسالة كانت قد فهمت كل شيء.

فهمت لماذا وأين اختفى، لماذا وكيف عاد، وكذلك لماذا قُتل .

فبعد رفض أهلها لزواجهما في الماضي سعى للسفر خارج البلاد حتى يحاول نسيانها، وفي هذه الفترة وفي ظل حالته النفسية الصعبة التقطه بعض تجار الدين الذين يوهمون الشباب بأكاذيب الجهاد في سبيل الله وقاموا بإرساله إلى إحدى البلاد التي يشتعل فيها الصراع تحت مسمى الجهاد.

وبعد فترة وعندما زال انبهاره بأكاذيبهم واتضحت له حقيقتهم وأطماعهم قرر مغادرتهم، ومازال يحاول الفرار منهم حتى استطاع وعاد إلى مصر وتركهم .. ولكنهم لم يتركوه .

٩- أفكار للبيع

عاد من عمله وبعد أن تناول الغداء مع والدته ونال قسطًا من الراحة، جلس في المساء معها يشاهدان إحدى قنوات التليفزيون الفضائية والتي كانت تنقل على الهواء مباشرةً افتتاح ذلك المهرجان السينمائي الذي يُقيمه أحد رجال الأعمال كل عام على أرض تلك المدينة السياحية الشهيرة .

ولقد كان يُلاحظ مبتسمًا علامات السخط على وجه والدته من مُبالغة الفنانات في ارتداء ملابس فاضحة أو كما يُسمونها فساتين على الموضة العالمية، ولقد حاول في مكر أن يستفزها إلى حوار تُخرج فيه غضبها مما تراه فبدأها بالحديث قائلًا :

هو مبتسمًا: يا سلام بقى يا حاجة لو تروحي الشغل بفستان زي ده كده

هي غاضبة: إخرس .. أنا مُدرس أول لغة عربية أعرّي جسمي بالشكل ده

هو: إنت عارفة إن أقل فستان في الفساتين دي تمنه قد مرتبك خمس سنين يااا مُدرس أول لغة عربية

هي: إن شا الله يكون قد مرتبي العمر كله، يا ابني قيمة الشيء مش في تمنه، وبعدين مين اللي قال إن علشان أبقى فنانة لازم أعرض لحمي بالطريقة المقززة دي

هو مشاكسًا لها: علشان يبقوا ماشيين ع الموضة يا حاجة

هي: الموضة دي إحنا البشر اللي بنعملها، يعني لمّا يكون فيها حاجة غلط ما نقلدهاش زي العُمي وخلاص، وبعدين مش ده الواد اللي كان بيتكلم

من كام سنة عن الحجاب وبيقول إنه عاوز الفنانات تتحجب، ماله فرحان كده ليه وهو واقف جنب مراته واللي باين منها أكتر من اللي مدّاري

هو: لا يا حاجة بقى ما هو خلاص بقى أوبن مايند

هي: آآآه أوبن مايند، وماله يا حبيبي، ومش دي الست بتاع البطانة، هي لبست فستان طويل من تحت المرة دي ونسيت تلبس من فوق، لا حول ولا قوة إلّا بالله، بقوللك إيه أنا لّما بشوف الحاجات دي دمي بيغلي فعلشان دمي ما يغليش أنا هقوم أغلِي كوبايتين شاي لينا أحسن

هو صائحًا بعد قيامها: يعني مش هتلبسي ع الموضة كده برضه يا حاجة

هي دون أن تلتفت إليه: إخرس يا ولد

وبعد أن غابت والدته في المطبخ نظر إلى التليفزيون ثم ابتسم وهو يتذكر كيف كان هذا المهرجان فكرته هو في البداية، حيث عرض الفكرة على أحد المسئولين في مجموعة شركات رجل الأعمال هذا وقد أبدى إعجابه الشديد بالفكرة، وعندما جلس مع رجل الأعمال ومستشاريه طلبوا منه تعديل شكل المهرجان حتى يخرج للناس كما يحدث الآن ولكنه رفض مقترحاتهم حيث كان له رسالة في هذا المهرجان من أجل الارتقاء بمستوى السينما في مصر وليس الارتقاء بمستوى تنّورة الفنانات .

وبعد عدة جلسات بينه وبينهم لم يتوصلوا لشكل يحوز رضاهم معًا فعرضوا عليه الحصول على مبلغ مالي كبير مقابل أن يُعطيهم ملف فكرته كاملًا ويتركهم ينفذونها بأسلوبهم وطريقتهم .

رفض هذا العرض في البداية ولكن بعد تفكيره بشكل واقعي وجد أنه لن يستطيع تنفيذ فكرته بمفرده نظرًا لما يتطلبه من أموال طائلة كما أن حالته

المادية غير الجيدة وتلك الحجرة المتواضعة التي كان يسكن فيها هو ووالدته جعلته في النهاية يقبل أن يبيعهم فكرته والتي من خلال ثمنها انتقل مع والدته إلى هذا المنزل المتوسط واستطاع تأسيس مشروعه البسيط الذي أصبح الآن هو مصدر دخله .

وزادت ابتسامته عندما سمع مدير المهرجان وهو يتحدث في الافتتاح ليشكر رجل الأعمال على رعايته ودعمه لهذا المهرجان والفن عمومًا.

وارتفع صوت ضحكته وهو يسمع مدير المهرجان يصف للحاضرين كيف جاءته فكرة المهرجان ثم عرضها على رجل الأعمال الذي رحب بها.

-" الشاي يا بتاع الموضة "

عاد من ذكرياته على صوت والدته وقد أحضرت الشاي وجلست بجواره يتناولانه سويًا وظل هو يُداعبها كعادته بعد انتهاء افتتاح المهرجان، ثم نظر إليها في حب قائلًا لها وهو يُقبل يدها

-" تعرفي يا حاجة إنك أغلى حاجة عندي في الدنيا كلها "

ابتسمت في ودّ ووضعت يدها على خده وهي تغمره بدعواتها ثم طلبت منه أن يقوم لينام حتى يستطيع الاستيقاظ مبكرًا للذهاب لعمله فاستجاب لطلبها ثم دخل غرفته لينام وقد أحزنه رؤية فكرته وقد شوهتها أيديهم ولم يستطع حمايتها بسبب فقره وقلة حيلته .

وعندما استلقى على فراشه ظل يسترجع ما كان يحلُم به عندما قدّم فكرته لهم وهو يتخيل نفسه يُشرف على تنفيذها كما رسمها وخطط لها ثم يقف في الافتتاح أمام مئات الحضور من أهل الفن والملايين من المتابعين عبر

شاشات التليفزيون وبعدها عشرات الصحف والمجلات تُحاوره بعد نجاح المهرجان .

ولكن للأسف لم يتحقق أي شيء من أحلامه وانتهى به الأمر إلى ما هو عليه الآن .

وعندما زاد عليه الوجع لم يستطع التخفيف عن نفسه إلّا عندما تذكّر صديقه والذي قدّم في يومٍ ما إلى إحدى الجهات ملفًا كاملًا حول مؤتمر دولي يفوق فكرة مهرجانه هذا آلاف المرات من حيث القيمة والفائدة .

وبعد عام كامل من تقديم صديقه الملف فوجئ بهم يعلنون في كافة وسائل الإعلام عن تنفيذ المؤتمر بوصفه أحد إبداعات هذه الجهة وبحضور أهم الشخصيات دون أن يُذكر اسم صديقه صاحب الفكرة من قريب ولا من بعيد .

ومازال إلى الآن يذكر نظرة القهر التي كانت في عيني صديقه وهما يشاهدان افتتاح المؤتمر على شاشة التليفزيون، كما أنه لا ينسى جملة صديقه التي قالها له في هذا اليوم

-" وانت زعلان إنك بعت فكرتك .. على الأقل انت اعتبروك موجود "

١٠- الرهان

جلست أمامه تستمع إليه وهو يتحدث إليها عن صعوبة هذه الأيام التي يعيشها وهو ينتظر قرار اللجنة العلمية والاستشارية التي تبحث ذلك المشروع الذي قام بتقديمه منذ ستة أشهر لإدارة الشركة التي يعمل بها، والذي في حال قبوله وموافقة الشركة على تنفيذه سيكون سببًا في تغيير وضعه في العمل بشكل كبير جدًا ويرتقي به إلى فئة الإدارة العليا في الشركة، وبعد أن أفرغ الكثير من الضغط العصبي الذي يُعانيه في حديثه معها، ابتسمت في بساطة ثم وضعت كفها فوق ذراعه الممتدة فوق الطاولة وقالت له :

-" اطمن يا حبيبي، إن شاء الله هيوافقوا على المشروع وهيتنفذ زي ما بتحلم، انت تعبت كتير في المشروع ده وعمر ربنا ما هيضيّع تعبك، صدقني أنا متفائلة جدًا "

احتضن كفها فوق ذراعه بكفه الأخرى ثم تنهد طويلًا قبل أن يقول لها :

-" يارب .. يارب يا حبيبتي يوافقوا، معلش .. أنا عارف إنك استحملتي معايا كتير، بس صدقيني لو المشروع ده اتقبل إحنا وضعنا هيتغير أوي، وهنقدر نتجوز في خلال سنة واحدة، وأعمللك كل اللي نفسك فيه "

صفقت بكفيها لمرة واحدة وهي تبتسم في مرح وتغمز له بإحدى عينيها قائلة :

-" أيوه بقى .. هو ده الكلام، مش تقولِّي مضغوط وخايف ومعرفش إيه، وبعدين همّ هيلاقوا فين فكرة أحسن من بتاعت حبيبي العبقري، أينعم أنا مش فاهمة منها حاجة بس أكيد هي فكرة حلوة طالما منك "

عاد يتنهد مرة أخرى طويلًا وهو يقول لها :

-" ربنا يخليكي ليّ يا حبيبتي "

وبعد ثلاثة أسابيع اتصل بها وهي في إحدى الجلسات التحضيرية لإحياء أُمسية شعرية في دار الأوبرا، وكان صوته غير واضح من انفعالاته وفرحته الكبيرة وهو يخبرها بأن اللجنة المختصة وافقت على فكرة مشروعه وتم التصديق عليها والموافقة على تنفيذها، ومن شدة فرحتها بنجاحه لم تستطع استكمال الجلسة التحضيرية فاستأذنت في إنهائها واستكمالها في وقت لاحق، ثم انطلقت لتُهنئه بنجاحه وتشاركه فرحته ويحتفلا سويًا بهذا الحدث، وفي الطريق أرسلت إحدى صوره لصديقتها وطلبت منها وضعها على تورتة جميلة وأن تكتب تحتها **" حبيبي العبقري "**

ثم مرّت على أحد مراكز التجميل وقامت بإضافة بعض اللمسات الجميلة على خصلات شعرها، وعندما وصلت إلى المنزل قامت باستبدال ملابسها وارتدت فستانًا رقيقًا تتداخل فيه عدة ألوان مبهجة، وفي المساء التقيا في أحد الأماكن السياحية المُطلة على النيل وجلسا يحتفلان بنجاحه، وقد كانت الفرحة في عينيها لا تقل عن فرحته هو نفسه، وعندما جلسا وخرجت منه التنهيدة الطويلة المعتادة كان إحساسها مختلفًا هذه المرة، فقد خرجت تُعبر عن سعادته بهذا التقدم الكبير الذي أحرزه في حياته المهنية، خرجت منه في راحة كبيرة قبل أن يقول لها :

-" الحمد لله .. أخيرًا يا حبيبتي وافقوا، أنا كنت مرعوب وخايف يرفضوا "

ضحكت في غرور مصطنع وهي تُشير بإصبعها إلى نفسها قائلة :

-" يرفضوا ! يا ابني انت مش عارف قيمة نفسك ولا إيه، طيب بلاش انت .. مش عارف قيمة حبيبتك اللي هو أنا يعني وتبقى مين، طيب كنت خليهم يرفضوا كده وأنا أروح أسودلك عيشتهم وأخبطلك اللجنة بتاعتهم دي قصيدة أطلع عينهم فيها "

تراجع بظهره إلى الخلف وهو يضحك ويقول :

" لا بلاش .. الطيب أحسن، هم وافقوا الحمد لله "

-" المسرح جاهز يا فنانة .. خمس دقايق ونبقى على الهوا "

انتزعتها هذه العبارة من ذكرياتها بعد أن ألقاها عليها مُعدّ الحفلة التي ستقدم فيها مجموعة من قصائدها المشهورة، وإحدى القصائد الجديدة التي سيستمع إليها الجمهور لأول مرة، فرفعت عينيها إليه وهي تحاول أن تبتسم وأخبرته باستعدادها لبدء الحفلة، ثم نهضت وسارت في اتجاه خشبة المسرح وهي تعود مرة أخرى لذكرياتها وما جرى لها منذ خمس سنوات بعدما احتفلت مع حبيبها بنجاحه في عمله وموافقة الشركة على مشروعه، ليفاجئها حبيبها بعد ذلك بعدة أشهر بأنه لن يستطيع إتمام زواجه منها لأن الزواج في هذه الفترة سيكون سببًا في تعثره في العمل وتعطيله عن تحقيق طموحاته، وأنه لا يريد لها أن تنتظره أكثر من ذلك رحمةً لها وحبًا فيها، ومازالت تذكر تلك الحجة الباهتة والعبارة المحفوظة التي تعلّل بها وهو

يتخلّى عنها، تلك العبارة التي طالما سمعتها ولم تتخيل أن تُقال لها في يوم من الأيام :

-" انت تستاهلي حد أحسن مني .. وكل شيء قسمة ونصيب "

كما أنها مازالت تتذكر كيف علمت بعد ذلك بأن السبب الحقيقي الذي جعله يبتعد عنها كان ارتباطه بابنة أحد أعضاء مجلس إدارة الشركة التي يعمل بها طمعًا منه في الارتقاء في العمل بشكل أكبر وأسرع .

وعندما بلغت هذه النقطة كانت قد وصلت إلى خشبة المسرح، فأخذت نفسًا عميقًا ثم أمسكت بطرفي فستانها وصعدت درجات المسرح في هدوء، ووقفت أمام الجمهور تتلقى تحيتهم لها، وعندما انتهوا من التصفيق وهدأ المسرح بدأت في الحديث إليهم، فألقت عليهم السلام، ثم عبّرت لهم عن سعادتها بحضورهم، وأخبرتهم بأن دعمهم لها في حفلاتها وحلقاتها التليفزيونية هو السبب في كل نجاح وصلت إليه وهي تتشرف دائمًا بأن تذكر فضلهم عليها، ثم قالت لهم:

-" إحنا متعودين في كل حفلة يكون فيه قصيدة جديدة، وبنقولها في آخر الحفلة، والنهارده فعلًا معانا قصيدة جديدة، لكن اسمحولي المرة دي هنغيّر شوية ونبدأ الحفلة بالقصيدة الجديدة "

التهب المسرح مرة أخرى بالتصفيق طويلًا، ثم صمت الجميع للاستماع إلى القصيدة الجديدة، فنظرت إلى الفرقة الموسيقية خلفها ثم أشارت لهم بالبدء، ثم أغمضت عينيها وراحت تُلقي في صوت يُشبه في وجعه عصفورة تبكي موت وليفها، وتقول:

لمّا انت مش قدْ الغرام   وهواك يدوب حبة كلام
ليه حلفت إنك تصون   وإنك تكون راجل تمام
الرجولة مش كلام معسول وهدايا في المواعيد
وشعر وأغاني وأماني ولا حاجة منها تفيد
الرجولة أمّا تحب تكون جدع
الوعد يخرج من لسانك تنفذه بالإيد
يا اللي انت فاهم غلط وشايف البنات سلعة
إبليس غواك غمّاك ع الضارة قال نافعة
ضرّك ما فادك ولا يوم عمره كان صادق
وانت ماضيك هيجيك والغلطة ليك راجعة

١١- أفــتــقــدك

انتهت من قضاء بعض الأعمال الخاصة بالشركة التي تعمل بها في منطقة وسط البلد، ونظرت إلى ساعتها فوجدت أن الوقت لا يسمح لها بالعودة إلى الشركة فقررت أن تعود إلى المنزل، وبعد أن سارت لعدة دقائق لتستقل الحافلة التي يقع منزلها في خط سيرها اكتشفت أنها قد أخطأت الاتجاه، وفوجئت بأنها أمام ذلك المقهى التاريخي الشهير والذي طالما قضت فيه أجمل أوقاتها حين كانت طالبة في الجامعة، وكأن القدر أراد أن يعود بها إلى سنوات مضت فجعلها تُخطئ في طريقها وتأتي إلى ذلك المقهى الذي يحوي بين جدرانه الكثير من ذكرياتها .

وكأن إرادتها تلاشت حين رأت المقهى، فبعد وقوفها أمام لافتته المميزة لدقائق قليلة وجدت ساقيها تقودانها إلى الداخل بل وإلى الطاولة التي اعتادت أن تجلس عليها حيث كانت من خلالها ترى الشارع والمحال التجارية وحركة الناس في كافة الاتجاهات لقضاء حوائجهم .

وعندما جلست جاءها أحد العاملين في المقهى ليسألها عمّا تريد أن تتناوله من المشروبات، والذي تفاجأ بها عندما رفعت عينيها إليه واعتلت وجهه ابتسامة ودّ وهو يُلقي عليها السلام ويخبرها بأنهم افتقدوها طوال السنوات الماضية، فقد كانت من روّاد المقهى المميزين وبخاصة حلقات الشعر التي كانت تُقيمها مع أصدقائها داخل المقهى الخميس الأخير من كل شهر، وبعد أن كان قد جاء ليسألها عمّا تحتاج إذا به يخبرها بأنه مازال

يتذكر مشروبها المفضل وهو القهوة بدون سكر تمامًا وكذلك يضعها في كوب زجاج وليس في فنجان القهوة المعتاد .

بادلته الابتسامة قبل أن يستأذنها للذهاب لإعداد القهوة، وعندما ذهب ظلت ابتسامتها على وجهها وقد أحيا حديثه داخلها ذكريات الماضي حين كانت طالبة بالجامعة تمتلئ بالنشاط والحيوية، ومواقفها وذكرياتها مع أصدقائها الذين انقطعت صلتها بهم عقب انتهاء الدراسة بعد أن ظل تواصلهم يضعف حتى أصبح نادرًا ما تتواصل مع أحدهم .

ثم تذكّرته هو، وحين تذكرته تلاشت كل ذكرياتها من بالها وظلت صورته هو فقط، حينها عاد بها الزمن إلى الماضي كثيرًا فتخطى أيام الشباب والجامعة والدراسة حتى وصل بها إلى طفولتهما التي عاشاها سويًا قبل أن يدخلا المدرسة ويقضيا فيها عدة سنوات معًا ثم يفترقا في الجامعة ويذهب كل منهما إلى كلية تختلف عن كلية الآخر، وتذكرت كيف أن وجودها في كلية غير كليته لم يكن يمنعه أن يفاجئها من حين لآخر بالذهاب إليها لتخرج من محاضراتها تجده يقف في انتظارها .

كان دائمًا يفاجئها بكل ما لا تتوقعه، كانت تشعر به يحيطها من كل اتجاه، كانت تجده في كل مكان وفي أي وقت، كان يعرف كل تفاصيلها ويهتم بها، ما تحبه وما لا تحبه، ما يُسعدها وما يؤرقها، ما يُغضبها، لونها المفضل، الفنانين الأقرب إلى قلبها، ونوع البيتزا الذي تأكله، حتى أصدقائها وانطباعاتها عنهم كان يعرفها .

ولا تعرف لماذا وهي تتذكره التفتت إلى خارج المقهى وتحديدًا في اتجاه المكان الذي وقعت فيه الحادثة منذ سنوات، تلك الحادثة التي وقعت لأجلها هي وكانت السبب في حرمانها منه إلى الأبد .

ففي ذلك اليوم التقيا في المقهى كعادتهما وعندما خرجا منه أصرّت هي أن يذهبا إلى المتجر المقابل للمقهى لشراء بعض مستلزماتها، وعلى الرغم من تأخر الوقت إلّا أنه وأمام إلحاحها الطفولي استجاب لطلبها .

وأثناء عبورهما الطريق سيرًا على أقدامهما جاءت تلك السيارة المُسرعة لتعبر الطريق بشكل لا يتناسب مع هذه المنطقة المزدحمة واختلّت عجلة القيادة في يد سائقها، وبلا تردد دفعها هو إلى الأمام ليحميها ثم قفز خلفها ولكن سرعة السيارة كانت أكبر فسبقت تحركه واصطدمت به وسقط أمامها ودماؤه تصبغ الأرض بلونها .

وبعد عدة أيام قضاها بالمستشفى في محاولة لإنقاذه فاضت روحه إلى بارئها، وكانت هي آخر من رآه، حينها وقبل وفاته بلحظات نظر إليها في وهن وبصوت ضعيف أخبرها بأنه سيفتقدها، وطلب منها أن تنتبه وتحرص على نفسها وهي تعبر الطريق في المرات القادمة .

وكانت هذه هي آخر مرة تراه فيها وتسمع صوته، كما كانت أول مرة تشعر بالوحدة في الدنيا وبأنها دون حماية فقد كان لها سندًا وأمانًا وكانت تشعر دائمًا في وجوده بالطمأنينة، فهي لا تذكُر أنها أخبرته في أي يوم عن مشكلة تواجهها إلّا ووجدت لديه حلًا لها، ما شعرت في يوم بضيق وذهبت إليه إلّا وقامت من أمامه في حالة تختلف تمامًا عن الحالة التي أتته بها .

كان يستمع إليها بالساعات دون ملل وهي تتحدث إليه عن مكان ذهبت إليه، عن أشياء قامت بشرائها وبعد أيام لم تعجبها، عن خلاف وقع بينها وبين إحدى صديقاتها .

كانت تتحدث إليه في أي وقت وعن أي شيء فلا تلقى منه سوى الاهتمام، كان يُجيد احتواءها وبث الطمأنينة إلى روحها، كان بارعًا في إرضاء طفولتها التي ما فارقتها وهي التي في العشرين من عمرها، كما أنه كان يُجيد إسعادها وإدخال السرور إلى قلبها .

فها هو يقف أمامها أثناء خروجها من الجامعة وفي يديه وردة باللون الذي تحبه، وها هي تجلس مع صديقاتها في المقهى فإذا به يأتي إليهم حاملًا المشروبات بنفسه لمداعبتها أمام صديقاتها .

وهو أيضًا الذي وعلى مدار سنوات الجامعة استطاع أن يفاجئها كل عام بإقامة حفل عيد ميلادها بطريقة تختلف عن العام الذي يسبقه .

ولا تستطيع حتى الآن نسيان أنه في آخر عيد ميلاد أقامه لها وأثناء احتفالهم فاجأها بأن عرض على الشاشات حولهم مقطع فيديو مصور لُطربها المفضل وهو يتحدث إليها باسمها ويُهنؤها بعيد ميلادها ثم يؤدي جزءًا من إحدى أغنياته إهداءً لها .

وحينها حاولت بكل الطرق أن تعرف منه كيف استطاع الوصول إلى هذا المطرب المشهور وإقناعه بهذا التسجيل ولكنه أبقاها على حيرتها ولم يخبرها، واكتفى حينها بأن يحصل منها على ما يؤكد أنها سعيدة بهذه الحفلة.

-" قهوة حضرتك يا أستاذتنا "

انتفضت عندما ألقى عامل المقهى هذه العبارة على أذنيها وهو يضع أمامها كوب القهوة فابتسمت له وشكرته وإن كانت من داخلها قد شعرت بالضيق لأنه أعادها إلى الواقع بعد تلك الدقائق التي قضتها في ذكرياتها معه، فما كان منها إلّا أن ارتشفت قدرًا من القهوة ثم وضعت يدها داخل حقيبتها وأخرجت صورة ورقية تجمعها به وحدهما .

وكانت هذه الصورة هي آخر صورة التقطتها معه، وتذكُر حينها أنها ألحّت عليه أن يطبعها لها على الورق لتحتفظ بها في حقيبتها كما هي على الهاتف ومنذ وفاته وهذه الصورة لا تفارق حقيبتها.

أخذت تتأمل الصورة ثم همست مخاطبةً إياه لتخبره بأنها تفتقده كثيرًا وينقصها الكثير في غيابه، ويؤلمها حنينها إليه، كما أخبرته بأن هذه هي المرة الأولى منذ غيابه التي تأتي فيها إلى هذا المقهى والذي كانت قد قررت ألّا تأتيه من بعده، ولكن يبدو أنه قد شعر بحنينها إليه وحاجتها في أن تعود إلى ذكرياتها معه فناداها وجاء بها إليه .

وفي أثناء حديثها إلى صورتهما ارتفع بجوارها رنين هاتفها فألقت نظرة على اسم صاحب الاتصال فإذا به زوجها يُخبرها بأنه قد انتهى من عمله وأنه سيمر عليها بعد دقائق ليصطحبها معه في سيارته ويعودا إلى المنزل .

فلملمت أشياءها من على الطاولة بعد أن أنهت الاتصال، ثم رفعت الصورة أمام عينيها وقبّلت وجه شقيقها فيها ثم أعادتها إلى حقيبتها وخرجت لتلقى زوجها في انتظارها فدلفت إلى السيارة وجلست بجواره، ثم أغمضت عينيها فور انطلاقه بالسيارة عائدًا إلى منزلهما .

١٢- الأمـانـة

عادت إلى مصر بعد غياب ثلاث سنوات عاشتها في إحدى الدول الأوروبية مع زوجها حيث يعمل في السفارة المصرية هناك، والذي كان على قدر كبير من الخُلق والثقافة ولكنه لم يستطع استكمال حياته معها أكثر من ذلك بعدما أكدت كل الفحوصات الطبية عدم قدرتها على الإنجاب .

وقد تم الانفصال في هدوء راقٍ وظل هو معها حتى أقلعت بها الطائرة مُتجهة إلى مصر .

وعندما وصلت إلى مطار القاهرة وجدت والديها وشقيقها في انتظارها فألقت نفسها بين ذراعي والدها وانفجرت باكية بعد أن احتفظت بكل دموعها داخلها طوال الأيام الماضية وهي تُنهي إجراءات سفرها بعد إتمام الطلاق .

مضت الشهور الأولى منذ عودتها هادئة تمامًا، لم تُحاول فيها أن تقوم بأي شيء سوى محاولة الاسترخاء وإعادة ترتيب أوراق حياتها وفقًا لوضعها الجديد .

وفي هذه الفترة لم يمر عليها ما يجذب الانتباه سوى أنها علمت أن جارهم الذي كان يُحبها في الماضي قد أسمى ابنته على اسمها بعد أن ماتت زوجته وهي تلدها، وقد أثار هذا الأمر إعجابها لأنها مازالت تمتلك حيزًا في قلبه بعد تعثر أمر زواجهما في الماضي وافتراقهما .

وفي أحد الأيام وبينما هي شاردة الذهن إذا بشقيقها يأتيها ليخبرها بأن الشركة التي يعمل فيها أعلنت عن حاجتها إلى موظفين بنفس مؤهلها الجامعي للعمل فيها، ونظرًا لحالة الملل التي كانت قد أصابتها من الجلوس في المنزل وافقت على الفور، وفي خلال شهر كانت قد قامت بالمقابلة الشخصية مع مسئولي الشركة وبدأت في عملها والذي ساعدتها ساعاته الطويلة يوميًا على الانشغال به وعدم التفكير في الماضي وما جرى لها فيه .

وبعد مرور عدة أشهر على التحاقها بالعمل وبينما هي تجلس في محطة انتظار الحافلة التي تعود فيها إلى منزلها بعد انتهاء عملها وقد أنهت محادثة هاتفية مع إحدى صديقاتها وهي تبتسم إذا بها تسمع صوتًا بجوارها يهمس قائلًا :

-" وسمراء تبسّم ثغرها فأضاء بين المشرقين نهار "

فارتفع حاجباها في دهشة وهي تستدير إلى مصدر الصوت لتجد أمامها جارها وحبيبها القديم يقف مبتسمًا وينظر لها ويبادرها بالتحية فبادلته إياها ثم سألته متعجبة من أنه مازال يذكُر هذه الكلمات التي دائمًا ما كان يقولها لها عندما تبتسم فأخبرها بأنه لم ينسها أبدًا، ثم طلب منها أن يتحدث إليها بعض الوقت في أحد الأماكن فوافقت، وعندما جلسا وجاء النادل ليسألهما عن طلبهما فأسرع هو يخبره بما يُحضره لهما فابتسمت في صمت لأنه مازال يتذكر مشروبها المفضل، وبعد انصرافه زادت ابتسامتها عندما التفت إليها قائلًا:

-" حتى دي أنا مش ناسيها "

مضت ساعة وهما يتحدثان عن الفترة الماضية وما مرّ بكل منهما فيها وما يعيشه الآن ثم بدأ هو بتغيير دفة الحديث وصارحها بأنه مازال يُحبها ويرغب في الزواج منها وأنه لا دليل على بقاء حبها في قلبه حتى الآن أوضح من أنه أطلق اسمها على ابنته ليظل اسمها مقرونًا باسمه مدى الحياة .

وبعد مرور عدة أيام كمهلة للتفكير طلبتها منه كانت قد اتخذت قرارها بالموافقة على الزواج منه، وبعد ثلاثة شهور تم الزواج وانتقلت لتعيش معه في منزله ومعهما طفلته التي اقتربت من إتمام عامها الثالث والتي ساعدتها ظروف عدم إنجابها على أن تحتضنها كابنتها تمامًا ويُعوّض كل منهما الآخر عما حُرِم منه .

وبمرور الأيام والسنين كان تعلقها بالطفلة يزداد وكذلك يزداد تعلق الطفلة بها، وهذه العاطفة الودودة بينهما كانت تبعث في نفس زوجها سعادة بالغة .

وفي عيد ميلاد الصغيرة الثامن فوجئت هي ووالدها بأن زوجة أبيها قد أعدّت لها حفلًا رائعًا احتفالًا بها وأحضرت لها صديقاتها في المدرسة وأمهاتهن ليشاركنها الاحتفال والفرحة، وظلّت طوال الحفلة تحتضنها وترقص معها في فرحة صادقة وصلت إلى قلبها هي وأبيها .

وقد كان زوجها ذا أصل طيب فكان مُقدّرًا لما تقوم به زوجته من أجل ابنته وكان يُترجم هذا التقدير بشكل عملي في حُسن تعامله معها وسعيه دائمًا لإرضائها وإدخال السرور إلى قلبها .

وفي أحد الأيام استيقظا على صوت الطفلة بعد أن بلغت العاشرة من عمرها وهي تبكي من الألم فأسرعا بها إلى المستشفى والصغيرة تُمسك بطنها وتصرخ بشدة، وبمجرد وصولهم إلى المستشفى أعطاها الطبيب علاجًا مُخدرًا ذهب بها إلى نوم عميق .

وفي الصباح بدأوا في إجراء التحليلات والفحوصات التي أثبتت أن الصغيرة تُعاني من مشكلة في الكبد وتحتاج إلى أن يتبرع لها أحد بجزء من كبده ليتمكّنوا من علاجها وتعود للحياة بشكل طبيعي .

ودون تردد قرر والدها أن يأخذوا المطلوب لعلاج ابنته من كبده هو، وقد عارضته زوجته في هذا الأمر كثيرًا لأنه كان يُعاني في الماضي من مشاكل في الكبد وهذا الأمر قد يؤثر على صحته ولكنّه رفض كل محاولاتها لإثنائه عن قراره وأصرّ على إجراء العملية لإنقاذ حياة ابنته الوحيدة .

وبالفعل بعد عدة أيام أجرى الطبيب العملية وقام بزراعة جزء من كبده في كبد ابنته، وظلّا لمدة أسبوع في المستشفى وهي تتنقل بين غرفتيهما للاطمئنان عليهما .

وفي اليوم الثامن وعند وصولها إلى المستشفى صباحًا فوجئت بالطبيب يستقبلها وقد اكتسى وجهه بعلامات الحزن فاقتربت منه في خطوات مضطربة وما إن أصبحت أمامه حتى أخبرها بأن الصغيرة قد تجاوزت مرحلة الخطر وأصبحت بخير بينما تدهورت حالة زوجها والأمور معه ليست على ما يُرام .

وللأسف لم يمض أكثر من ثلاثة أيام حتى تلقت الخبر الذي كانت تخشاه وتُوفيّ زوجها بعد أن ضحّى بحياته من أجل ابنته التي كان دائمًا ما يُوصيها عليها وكأنه كان يشعر بأن عمره لن يمتد ليرعاها بنفسه .

-" ماما .. إيه رأيك كده ؟ شكلي حلو ؟ "

كانت تقف أمام صورة زوجها وتتذكر سنوات الماضي معه عندما ألقت عليها ابنة زوجها هذا السؤال وهي تضع كفها الرقيق على كتفها لتتأكد من حُسن إطلالتها في يوم عقد قرانها .

فالتفتت إليها في هدوء ثم تأملتها ودموع الفرح تملأ عينيها قبل أن تحتضنها في حنان جارف وهي تُتمتم ببعض الأذكار لتحميها من شر الحسد بإذن الله .

ثم أبعدتها في رفق عن حضنها لتواجهها وهي تُخبرها بأنها لم تر في حياتها عروسة أجمل منها، فنظرت الفتاة إلى الأرض وهي تبتسم في خجل، فرفعت وجهها بيدها ونظرت إلى ابتسامتها البريئة ثم تغزّلت فيها قائلة :

-" وسمراء تبسّم ثغرها فأضاء بين المشرقين نهار "

ازداد خجل الفتاة فاستأذنتها في العودة لحجرتها للانتهاء من زينتها فربتت على كتفها في ود وهي تُشير إليها برأسها بالموافقة، وعندما انصرفت الفتاة التفتت هي إلى صورة زوجها ثم تحدثت إليه قائلة :

-" نام واطمن يا حبيبي .. أنا حافظت على الأمانة ووصلتها لصاحبها زي ما كنت بتتمنى "

١٣- غصب عني

ظلّت تبحث عن صديقتها أثناء الفُسحة في مدرستهما الثانوية ولكنها لم تجدها، فشعرت بالضيق وصعدت تُكمل دقائق الفسحة في الفصل وحدها وقد عزمت على أن توبخها حين تراها بسبب اختفائها، لكنها قبل أن تصل إلى باب الفصل سمعت صوت صديقتها داخله وهي تضحك، فتراجعت لخطوات ونظرت من النافذة فإذا بصديقتها تقف مع أحد الطلاب بشكل غير أخلاقي، فعادت إلى الفناء وقد انتفخت أوداجها من الغضب وزاد عزمها على توبيخ صديقتها ولكن مع اختلاف السبب .

وعندما انتهت الفسحة صعدت مرة أخرى مع زميلاتها إلى فصلهن الذي يتواجد في الطابق الرابع فوجدت صديقتها تقف أمام الباب في هدوء فتجاوزتها ودلفت إلى داخل الفصل دون أن تُعيرها اهتمامًا ممّا أثار تعجب صديقتها فذهبت خلفها وجلست بجوارها وهي تسألها عن سر تجاهلها لها أثناء دخولها إلى الفصل فأجابتها بأن المكان غير مناسب للحديث، وأنها سوف تزورها مساء اليوم في منزلها وتتحدث معها، ولم تنطق بكلمة أخرى حتى انتهاء اليوم الدراسي، كما تعمدت أن تخرج من المدرسة مُسرعة حتى لا ترافقها أثناء عودتهما إلى منزليهما .

وعندما وصلت إلى المنزل لم يكن والدها ولا أيّا من أشقائها قد عاد ووجدت والدتها تقف في المطبخ لإعداد طعام الغداء فاستبدلت ثيابها المدرسية سريعًا ثم وقفت إلى جوار والدتها بالمطبخ وأخبرتها بما حدث من صديقتها هذا اليوم أثناء الفسحة، فصاحت الأم مُعاتبة لها بأنها سبق وأن

طلبت منها أن تقطع علاقتها بهذه الفتاة منذ أن أخبرتها أيضًا قبل ذلك أنها رأتها تُدخن السجائر مع بعض زميلاتها داخل دورة المياه بالمدرسة، ولكنها هي التي مازالت تُصر على مصاحبتها، كما أكّدت لها على أن استمرار علاقتها بهذه الفتاة حتمًا سيعود عليها بالضرر، فهي فتاة نقية بريئة لا يليق بها مرافقة مثل هؤلاء الفتيات .

حاولت تهدئة ثورة والدتها ثم انسحبت إلى غرفتها وأغلقت بابها عليها وجلست على سريرها وقد ضمّت ركبتيها إلى صدرها وأحاطتهما بذراعيها وهي تفكر في كلمات أمّها التي لا همّ لها إلّا مصلحتها، ولكنها في نفس الوقت تحب صديقتها وهذا ما يؤلمها، فوالدتها وصديقتها هذه هما أحبّ البشر إليها وأقربهم إلى قلبها، دفنت رأسها بين ذراعيها وصدرها وهي عاجزة عن إيجاد حل لهذه المشكلة .

وفي المساء استأذنت من والدها أن تذهب إلى صديقتها وهي تتظاهر بعدم الانتباه لنظرات التعجب في عيني والدتها ثم وعدته بعدم التأخر والعودة مبكرًا ثم انصرفت، وعندما وصلت إلى منزل صديقتها استقبلتها بابتسامتها الودودة والتي قابلتها هي بجمود وجفاء يُعبّر عن مدى ما بداخلها من غضب، وعندما أصبحا وحدهما داخل غرفة صديقتها سألتها عن سبب تغيرها معها منذ الصباح، فأخبرتها بأنها قد رأتها أثناء الفسحة داخل الفصل مع ذلك الولد الذي طلبت منها سابقًا أن تُنهي علاقتها به ولم تستمع لنصيحتها كما لم تستمع لها أيضًا عندما طلبت منها الإقلاع عن التدخين وعدم الانخراط مع هذه المجموعة من الفتيات السيئة السلوك داخل المدرسة .

نظرت إليها صديقتها في تأثر وطلبت منها أن تهدأ وأنها مُعترفة بخطئها ووعدتها بأنها ستأخذ بنصيحتها وتبتعد عن هذا الطالب وهؤلاء الفتيات، ولكنها نهرتها مُذكرةً إياها بأنها وعدتها بذلك مرتين ولم تُنفذ وعدها، وأنها لم يعد أمامها سبيل لردعها سوى إخبار والديها بأفعالها المُشينة حتى يُعاقباها ويمنعاها من التمادي في الخطأ لأبعد من ذلك، وهنا انفجرت صديقتها في البكاء وهي تتوسل إليها ألّا تفعل وأن تثق في وعدها هذه المرة، وأنها سترى بنفسها كيف سينضبط سلوكها ويستقيم اعوجاجها، فاستجابت لرجائها وربتت على كتفها ثم احتضنتها وهي تُخبرها بأنها تخاف عليها وتخشى أن يلحق بها الأذى بسبب هذه التصرفات غير اللائقة، ثم طلبت منها أن تقوم لتغسل وجهها وتأتي ليستمعا سويًا إلى بعض الأغنيات الجديدة لمطربهما المفضل قبل أن تعود لمنزلها.

-" أنا عملت كل ده؟ إزاي .. وليه؟ دي صاحبتي الوحيدة وأقرب حد ليّ"

ألقت هذه التساؤلات على والدتها التي جاءت كالمعتاد لزيارتها داخل تلك المستشفى المتخصصة في علاج المرضى النفسيين والتي اضطر أهلها لإيداعها داخلها لعلاجها من أحد الأمراض النفسية الذي يخلق منها أحيانًا شخصية أخرى تتوهم الكثير من الأحداث التي لا أصل لها وتعيش داخلها والتي روت لها والدتها عن بعض منها قامت به تجاه صديقتها .

وعندما سألت والدتها عن كيفية تقبّل صديقتها لهذه الاتهامات الباطلة أخبرتها بأن صديقتها كانت تتحمل تصرفاتها مثلهم أملًا في أن تُشفى من مرضها دون الحاجة إلى دخول المستشفى، وهنا أجهشت بالبكاء في حُرقة وهي تتخيل صديقتها وما عانته من أجلها وتتعجب من حالها في ألم قائلة :

-" معقول أنا وحشة للدرجة دي .. أنا يا ماما أعمل كده "

احتضنتها أمها وهي تبكي لبكائها وتُهوّن عليها بالتأكيد على أنها لم تفعل ذلك بإرادتها وبأنها ستُشفى وتعود أفضل مما كانت، فهي النقية البريئة وستظل كذلك بعد أن قطعت شوطًا كبيرًا من العلاج جعلها تستوعب ما روته لها .

ظلت تبكي كثيرًا في حضن أمّها ثم رفعت وجهها ونظرت إليها وسألتها عن صديقتها وعن حالها ولماذا لم تأتِ لزيارتها داخل المستشفى ولو مرة واحدة وقد اعتقدت بأن صديقتها لا تريد رؤيتها بعد ما فعلت، فأخبرتها أمها بخطأ اعتقادها وأنها بالتأكيد ستأتي لزيارتها فيما بعد، ولكنها قد تكون منشغلة هذه الأيام بالاستعداد لامتحانات الثانوية العامة .

لم تشعر بالصدق في كلمات والدتها التي لا تُجيد الكذب إطلاقًا فأعادت عليها السؤال وحاولت الأم التهرب من الإجابة ولكنها فشلت مرة أخرى، فمدّت يدها إلى الطاولة التي بجوارها وأمسكت بالمصحف ووضعته بين يدي والدتها وأقسمت عليها تُخبرها بالحقيقة فلم تتمالك الأم نفسها وعادت تحتضنها بقوة وهي تبكي وتُخبرها بأن صديقتها أُصيبت بنزيف في المخ أثناء مذاكرتها في أحد الأيام أودى بحياتها، فانتفضت من حضن أمها وظلت تصرخ وتضرب وجهها بكفيها حتى غابت عن وعيها، فأسرعت الأم تستدعي الطبيب الذي جاء وأعطاها جرعة من أحد العقاقير المهدئة لهذه التشنجات العصبية التي تقوم بها لا إراديًا وهي فاقدة للوعي .

ولم تستطع والدتها أن تتركها في هذا اليوم فباتت ليلتها إلى جوارها في المستشفى، وعندما استيقظت في الصباح نظرت إلى والدتها في حزن وطلبت منها في وهن أن تصطحبها إلى قبر صديقتها لزيارتها، وأمام الحالة التي كانت عليها لم تقوَ الأم على معارضتها فاستأذنت من طبيبها في الخروج من المستشفى لمدة ساعة واحدة فوافق مشترطًا أن ترافقهما إحدى الممرضات اللاتي على دراية بحالتها، وعندما ذهبوا إلى قبر صديقتها جثت على ركبتيها أمام قبرها وظلت تنتحب طويلًا وهي تهمهم بحروف مبعثرة حتى خافت عليها والدتها فوضعت يدها على كتفها في عطف وهي تطلب منها التخفيف عن نفسها والرضا بقضاء الله، ثم عاونتها على النهوض واتجهوا إلى السيارة للعودة إلى المستشفى، وعندما استقلت السيارة نظرت من خلف زجاجها إلى قبر صديقتها ومازالت دموعها تسيل، ثم رفعت يدها تُلقي عليها السلام وهي تقول لها

-" **والله كان غصب عني** "

١٤- رحلــت

-" النهارده أجمل يوم في حياتي كلها "

كانت هذه أول جملة تسمعها من زوجها بعد أن وصلا إلى منزلهما يوم زفافهما، وكانت لا تزال بفستانها الأبيض وهي تقف بين يديه وتنظر إلى الأرض خجلًا، فعلى الرغم من قصة حبهما الجميلة والتي تمتد إلى ثلاث سنوات مضت إلّا أنها كانت كلما تحدث إليها بعباراته العاطفية ارتبكت وغلبها حياؤها ولا تقوى على النظر إليه، حتى عندما كانت تكتب بعض أبيات الشعر التي تصف حبها له كانت ترسلها له على هاتفه مكتوبة، وكثيرًا ما حاول أن يسمعها منها ولو مرة واحدة لكنها كانت تضطرب ولا تستطيع، وكان هو يذوب عشقًا في حُمرة الخجل التي تعتلي وجنتيها لأبسط الأسباب .

-" النهارده أجمل تاني يوم في حياتي كلها "

كانت هذه أول جملة تسمعها من زوجها بعد أن وصلا إلى منزلهما عقب زيارتهما للطبيبة التي ألقت على أسماعهما أكثر خبر يتشوق لمعرفته أي زوجين وهو أنها أصبحت تحمل في أحشائها جزءًا من زوجها وحبيبها في صورة جنين صغير ينتظر مرور عدة أشهر ليملأ حياتهما بكاءً بطعم أعذب الألحان .

وبعد أن ألقى عليها هذه الجملة سجدا سويًا لله شكرًا على ما رزقهما خاصةً أن هذا الحمل جاء بعد عامين كاملين من زواجهما ذهبا خلالهما إلى الكثير من الأطباء دون جدوى .

مرت شهور حملها وهما يتبعان تعليمات الطبيبة بكل ما أُوتيا من تركيز وحرص، وخلال هذه الشهور بدآ في شراء الملابس المناسبة لطفلهما من محلات ملابس الأطفال الشهيرة وتحديدًا قسم ملابس الأطفال الإناث بعد أن أخبرتهما الطبيبة بأن الجنين أنثى .

وقد مرّت عليهما بسبب نوع الجنين هذا ليالٍ كثيرة يتشاكسان فيها حول اختيار اسمه حتى انتصر حبه لها وحرصه على إرضائها ووافقها على الاسم الذي اختارته لابنتهما .

وبمجيء ابنتهما إلى الدنيا تضاعفت سعادتهما وغمرت حياتهما الأفراح وأصبحت كل أفكارهما ومجهوداتهما موجهة إليها .

فها هو الأب في سابع يوم من ولادتها يقوم بالذبح لوجه الله والتوزيع على الفقراء بنية أن يصلح الله نشأتها ويُنبتها نباتًا حسنًا ، ويرافق زوجته في كل مرة تذهب فيها إلى المركز الصحي لتتلقى ابنتهما التحصينات الدورية، كما أصبحت علاقة الأم بصديقاتها تقتصر على اتصال هاتفي قصير ونادرًا ما تقوم به .

كانت وعلى الرغم من عمرها الذي لم يتجاوز عدة أشهر إلّا أنها استطاعت أن تُغير شكل ونمط حياتهما وترتيب أولوياتهما تمامًا، فأصبحت تُمثل لهما كل شيء في الدنيا .

وها هي تبلغ عامها الأول لتجدهما قد نظّما لها حفلاً يشبه الأعراس احتفالًا بذكرى ميلادها الأولى بحضور أقاربهما وكافة أحبابهما .

كانت كلما زاد عمرها تقلّ علاقة والدها بالعالم الخارجي، فأصبح يقضي كل أوقات راحته من العمل داخل المنزل ليستمتع بمتابعتها وهي تنمو أمام عينيه يومًا بعد يوم .

كان يبلغ قمة سعادته وهي تداعبه بكفيها الرقيقتين وتعبث بهما بين أطراف لحيته ثم يسمع ضحكاتها عندما يقبض بشفتيه على أصابعها.

وكذلك لم يتكاسل عن تسجيل تلك اللحظات التي شهدت أول محاولة منها أن تقف على قدميها وتحاول أن تسير إليه فتسقط على الأرض ولا تستطيع لضعف ساقيها الصغيرتين .

أصبح لا يخرج للتنزه إلّا بصحبة زوجته وابنته، تلك الأسرة الصغيرة التي استطاعت أن تُغنيه عن العالم كله .

كانت مع مرور الوقت تزداد ملامح وجهها وضوحًا لتؤكد أنها ستكون صورة طبق الأصل من والدتها من حيث شكلها، بينما كانت كل أفعالها تشير إلى أنها سترث الكثير من طبائع وسلوكيات والدها.

فها هي تنام على نفس الهيئة التي ينام عليها والدها، وعندما تستيقظ تظل مثله لدقائق طويلة مُستلقية على فراشها وكأنها تستمتع بلحظات ما بعد الاستيقاظ، وعند تناول الطعام كانت دائمًا تحاول الإمساك بملعقتها بتلك الطريقة الغريبة التي اعتادت أن تراها من والدها والتي حاولت وهي الأم الكبيرة كثيرًا أن تفعلها وفشلت، حتى عندما كانت تُعد لها بعض

الأعشاب كانت تتناولها وهي تتذوق كل رشفة بنفس الطريقة التي يتناول بها والدها المشروبات .

وكم كانت مفاجأتها كبيرة حين أصبحت ابنتها بعد أن بلغت السابعة من عمرها تجلس إلى جوار أبيها لمشاهدة مباريات كرة القدم التي يحرص زوجها دائمًا على متابعتها، وحينها أصبحت تُضاعف كمية المشروبات والمسليات التي كانت تضعها لزوجها أثناء مشاهدته للمباريات حتى يستطيع الخبير الكروي وابنته تحليل أداء اللاعبين بشكل متميز كما كانت تقول لهما، ثم كانت تبتسم عندما تدخل عليهما بعد انتهاء المباراة فتجدها قد نامت بين ذراعيه وهو يشير إليها ألّا تُصدر صوتًا يُوقظها .

وكم كانت تستشيط غضبًا عندما تدخل إلى الغرفة فتجد ابنتها وزوجها قد جلسا يعبثان بأدوات ومستحضرات التجميل الخاصة بها وقد تبعثرت محتوياتها في كافة أنحاء الغرفة وهما يقذفان بها بعضهما وزوجها ينام على ظهره ويصفق باستخدام قدميه وابنته تضحك بكل ما فيها، فإذا صرخت فيهما وحاولت أن تفتك بهما حمل الصغيرة بين يديه وفرّا من أمامها واختبآ في غرفة أخرى وأغلق بابها عليهما حتى تهدأ عاصفة غضبها ثم يخرجان إليها مبتسمين وكأن شيئًا لم يكن .

كان بينه وبين ابنته ارتباط يفوق في مضمونه تلك العلاقة والعاطفة المعتادة بين الأب وأبنائه، حتى أن ذلك أحيانًا كان يُثير حنق زوجته عندما تسأل ابنتهما أثناء جلوسهم سويًا من تحب فيهما أكثر هي أم والدها، وبعد أن تستغرق الطفلة في التفكير وتعلو وجهها علامات التركيز تُجاوبها باختيار والدها فترتسم على وجه الأم علامات الضيق ثم تلتفت فتجد زوجها هو الذي كان يُشير إلى ابنته لتخبرها بهذه الإجابة مداعبين إيّاها .

وعندما بلغت السن القانوني للالتحاق بالمدرسة لم تستطع الدنيا الإحاطة بسعادتهما وهما يبدآن الاستعداد لرؤية ابنتهما وهي تستهل مشوارها في الحياة وتخطو أولى خطواتها في مشوار دراستها الذي يعملان بكل طاقتهما من أجل أن تصل فيه إلى أعلى الدرجات العلمية .

وكما اختلفا سابقًا عند اختيار اسم طفلتهما فقد كانا دائمًا على خلاف بسبب ما يتمناه كل منهما للصغيرة في مشوارها العلمي والكلية التي يتمنى أن تلتحق بها .

وقبل بدء الدراسة بأسبوعين كاملين أعلنا حالة الطوارئ داخل المنزل وبات الاستعداد على قدم وساق لهذا الحدث العظيم وهو ذهاب وحيدتهما إلى المدرسة لأول مرة .

فهذا يوم كامل استغرقاه معها فقط لاختيار حذاء باللون والشكل الذي ينال رضاها، وهذه ثلاثة أيام أخرى قطعوا فيها الطريق بين منزلهم ومحل الملابس مرات عديدة حتى يُحضر لها معطفًا يحوز إعجابها لترتديه في أيام الشتاء فوق الزي الخاص بالمدرسة، ولم يكن العثور على حقيبة المدرسة بالأمر الهين فقد ذهبوا إلى ما يقرب من ثلاثين مكتبة حتى صادفوا حقيبة مدرسة مطبوع عليها من الخارج صورة للبطل الكرتوني المُفضل لديها، وعلى الرغم من هذا التعب والإرهاق فإنهما لم يستطيعا إخفاء تلك السعادة التي ملأت عيونهم وهما يتطلعان إليها في أول يوم بالدراسة بعد أن ارتدت ملابس المدرسة ووضعت حقيبتها فوق ظهرها رافضةً أن تتركها لأحدهما على الرغم من ثقل الحقيبة على جسدها الضئيل .

كان إحساس مبهج جدًا لهما وهما يُشاهدان جزءًا من روحهما يتجسد في ابنتهما ويكبُر أمام عيونهم، حتى أن هذه الفرحة جعلت الأب يكتب بعض أبيات الشعر احتفالًا بهذا اليوم فقال مخاطبًا ابنته:

أول يوم تروحي المدرسة علشان كده هقوللك يا بنتي كلمتين
عاوز الناس تقول بنت أبوها كويسة بنت شاطرة مؤدبة ياريت ليها أختين
أول ما تصحي احمدي ربك وصلي ركعتين
يحفظوكي من الشرور يطرحوا في قلبك سرور
وبعد الصلاة صلوات كتير على نبينا الزين
كل يوم في الخناقة بينك وبين ماما بعصبيتك
على شكل لبسك تسريحة شعرك لون جزمتك
وطّي صوتك مش لازم الجيران يسمعوا دوشتك
وعادي .. الأخضر بيليق على الأصفر لمّا انت بتلبسيه
اللبس نفسه بيبقى حلو لما بيشوف ضحكتك
رتبي الشنطة كويس الباص هيستناكي ما تخافيش
مش هيمشي وهو يقدر يمشي وانت ما تركبيش
دي المدرسة عيدها النهارده علشان سيادتك
وقالوا إنك جاية يبقى ده يوم تاريخي ما يتنسيش
بتقولي إيه ؟ عاوزة مصروفك يزيد
يا بنتي هو إحنا لسه صومنا علشان ييجي عيد

ده أول يوم دراسة ! .. سعر البيبسي غالي .. عاوزة مصاصة

حاضر حاضر .. حاضر خلاص ما تزعقيش

هاتي بوسة .. هاتي حضن كبير لبابا

يالّا على فصلك وخلي بالك من دروسك

جاوبي لمّا يسألوكي .. عاوزك شاطرة زي أبوكي

عاوز المدرسين يقولوا ما شاء الله عليها .. باين عليها بنت مجتهدة ومخلصة

مع إنها لسه النهارده .. أول يوم بتيجي المدرسة

ومع مرور الوقت أثبتت تميزًا في الدراسة حاز على إعجاب معلميها، وحين بلغت التاسعة من عمرها طلبت من والدها الالتحاق بأحد الأندية الرياضية وكعادته لم يستطع رفض طلبها، وبعد عام كانت قد التحقت بفريق السباحة الرسمي للنادي بعد أن رأوا منها مهارةً وتميزًا لا يقل عمّا رآه مُعلموها في المدرسة من استيعابها لدروسها .

-" يالا بينا يا حبيبتي علشان ما نتأخرش "

استدارت في هدوء إلى زوجها وهو يُناديها بتلك الكلمات، وعندما رأى الدموع تملأ عينيها أدرك على الفور أنها كانت تتذكر ابنتها، خاصةً وأنها كانت تقف في غرفتها وتحديدًا أمام هذا الجدار الذي يضم عددًا كبيرًا من صورها التي التقطوها لها ومعها على مدار اثنى عشر عامًا منذ ولادتها في العديد من الأماكن وبهيئات مختلفة.

وعندما أدرك ذلك اعتصر قلبه ألم رهيب وهو يتذكر ذلك اليوم الذي جاءه فيه ذلك الاتصال ليُخبره بأن حافلة المدرسة التي كانت تحمل ابنته

وزملاءها في رحلة مدرسية إلى بعض المعالم التاريخية قد صدمها أحد القطارات وتسبب في وفاة خمسين طالبًا وطالبة وكذلك المشرفين القائمين على تلك الرحلة وجميع من كان في الحافلة .

ومنذ ذلك اليوم وهو يعيش مع زوجته في ألم فراق ابنتهما مثل باقي آباء وأمهات التلاميذ الذين كانوا في الحافلة وتسبب إهمال الموظف المسؤول عن حركة القطار في اختطاف الموت لفلذات أكبادهم ونور عيونهم .

ومازال أثر هذا الإهمال يُحيط بهما بعد أن واجهتهما صعوبة في الإنجاب مرة أخرى بسبب تقدم العمر بزوجته بشكل يُعيق حملها .

واليوم ها هم على موعد جديد مع طبيب مختلف لعلّهم يجدون لديه علاجًا يكون سببًا في أن يُعوّضهم الله بطفل آخر يُساعدهم على تحمّل الحياة بدون ابنتهما، وإن كان من الصعب عليهما تقبُّل الحياة بدونها .

١٥- الـوجـه الآخـر

وصل إلى قاعة المؤتمرات متأخرًا بنصف ساعة عن موعده واستقبله المنظمون بحفاوة بالغة لكونه واحدًا من أهم الأدباء وكذلك هو المُتحدث الرئيسي لندوة اليوم والتي تناقش موقع الشباب من اهتمامات وأولويات الدولة ومنظمات المجتمع المدني ومدى إدارتهم واستثمارهم لمواهب الشباب في كافة المجالات، وإن كانت ندوة اليوم ستركز على مناقشة الإبداعات الفنية والأدبية لدى الشباب وسُبل دعمها وتنميتها، وذلك بكونها واحدة من سلسلة ندوات تعقدها هذه المؤسسة الخيرية دعمًا للشباب .

وبعد أن قابل ترحاب المنظمين بابتسامته الهادئة وقف على باب القاعة ليتأكد من أناقة هندامه ثم دلف إلى القاعة في خطوات رصينة .

وخلال هذه الخطوات وبمجرد ظهوره ضجت القاعة بالتصفيق وصيحات الإعجاب وتناثرت حوله الورود من بعض الحاضرين بالشكل الذي استدعى منه أن يقف أمامهم قبل الصعود إلى المنصة ليستقبل تحية جمهوره بيديه المضموتين إلى صدره كما هي عادته، وبعد أن هدأت القاعة وجال هو بنظره في أرجاء القاعة توجه إلى المنصة واحتل مقعد المتحدث الرئيسي بالندوة .

وبعد أن قام رئيس الجمعية الخيرية بإلقاء كلمة الافتتاح وقدّم عرضا مُبسطا ومُختصرًا لمحاور الندوة، بدأ ضيوف المنصة في إلقاء كلماتهم وسط متابعة دقيقة منه لكل ما يقدموه .

وعندما حان موعد كلمته كانت القاعة قد اكتمل فيها الحضور وعمّها صمت تام للاستماع إليه .

وقد بدأ كلمته بتوجيه التحية إلى الشباب واصفًا إياهم بمستقبل الأمة وقاطرتها للتغيير ومنجم إبداعاتها، ثم بدأ يعرض أفكاره ورؤيته حول ضرورة دعم كافة قطاعات الدولة الحكومية والخاصة وكذلك منظمات المجتمع المدني لمواهب الشباب وكيفية رعايتها والعمل على تنميتها وتطويرها .

ولمدة ثلاثين دقيقة ظل جميع من في القاعة مُنصتًا له في تركيز شديد وهو يُبدع في شرح هذا الموضوع وعرض بعض التجارب تأكيدًا لحديثه، وكعادة محاضراته لم تخل هذه الندوة من بعض الأمثلة الواقعية التي يستخدمها في إيصال ما يريد إلى مستمعيه، وبعد أن أنهى كلمته ارتفع التصفيق داخل القاعة بشكل لا يقل أبدًا عمّا تلقاه فور وصوله، ثم أعلن مدير الندوة عن بداية فترة الاستراحة على أن تجمعهم بعدها جلسة ثانية ليتلقى السادة المتحدثون أسئلة الحضور ويقوموا بالرد على استفساراتهم .

وأثناء تناوله القهوة خلال فترة الاستراحة اقترب منه أحد الشباب في احترام بالغ، وبعد أن ألقى عليه التحية استأذنه أن يعرض عليه في دقائق معدودة فكرته لمشروع يمكن من خلاله إفراز أجيال عديدة من المواهب في عدة مجالات، فرحّب جدًا بذلك وجلس يستمع إليه .

وحين انتهى الشاب من عرض فكرته كان الإعجاب يُطلّ من عينيه في وضوح تام جعله يصفق لهذا الشاب ثم يحتضنه مهنئًا إياه على فكرته الرائعة، والتي عادت به خلال عرض الشاب لها إلى سنين طويلة مضت

كان هو مازال حينها في مقتبل العمر، وقد حباه الله بموهبة كتابة الروايات بإبداع كبير حاز إعجاب كل من كان يقرأ له من أهله وأصحابه، وقد شجعه ذلك على السعي حينها في أن تكون موهبته هذه هي مجال عمله، وبدأ يبحث عن كيفية الوصول برواياته إلى مسئولي وزارة الثقافة لرعايتها ودعمه لنشرها ولكنه اصطدم بتكاسل بشع لدى هؤلاء المسئولين تجاه اكتشاف ورعاية الموهوبين جعله يتجه نحو القطاع الخاص لعلّه يجد فيه مبتغاه .

ولكنه وإن لم يجد تكاسلًا في القطاع الخاص ولكنه اصطدم لديهم بفكر استثماري أكثر بشاعة مما واجهه في القطاع الحكومي، هذا الفكر الاستثماري الذي يعتنقه أصحاب دور النشر والذي لا يهتم برسالة ومضمون الرواية بقدر اهتمامه باختيار المؤلف لعبارات وألفاظ تجذب الناس لشراء الكتب وزيادة نسبة المبيعات إلى أقصى درجة .

حينها لم يكن لديه القدرة على التمسك بالأمل والصمود لأكثر من ذلك بسبب تواضع مستواه المادي الذي اضطره لقبول تلك الوظيفة التي عرضها عليه شقيقه الأكبر في إحدى الدول العربية، وبالفعل في خلال ثلاثة أشهر كان قد استوفى كل الأوراق المطلوبة وسافر للخارج طلبًا للرزق بعد أن أغلق ملف كتابة الروايات هذا، خاصةً وأنه قبل سفره بأسبوع كان قد شاهد حبيبته بفستانها الأبيض وهم يحتفلون بزفافها إلى غيره بعد أن عجز هو عن الزواج منها وتوفير احتياجاتها المادية .

وبعد أن سافر وقضى عامين في عمله هناك إذا بشقيقه يأتيه في أحد الأيام ليخبره أنه التقى اليوم مصادفة بالفندق الذي يعمل فيه مع صاحب واحدة من أكبر دور النشر في هذا البلد .

وقد استغل هذه الفرصة وتحدث معه عن موهبته وروعة رواياته فطلب منه هذا الرجل أن يذهب إليه ووعده بمساعدته إذا وجد في موهبته وكتاباته ما يستحق .

وبالفعل بعد يومين كان في مكتب صاحب دار النشر يعرض عليه ثلاثة من أقرب رواياته لقلبه جعلت الرجل بعد الإطلاع عليهم يُخبره بأن أسلوبه في الكتابة أكثر من رائع، وأنه على استعداد لنشر رواياته، وبالفعل كان الرجل صادقًا معه وقام بنشر إحدى رواياته والتي لاقت استحسان القرّاء بشكل جعل صاحب دار النشر يزداد حماسًا لنشر باقي رواياته، والتي كانت في كل مرة تنتشر بحجم أكبر من سابقتها، ومع كل رواية كانت تزداد شهرته حتى أصبح خلال عشر سنوات واحدًا من أهم كُتّاب الروايات في الوطن العربي، وهذا ما جعل هذه الجمعية الخيرية تستغل إجازته التي يقضيها في مصر لتتعاقد معه لحضور هذه الندوة وإلقاء كلمة بها .

-" انتهت الاستراحة .. نستأذن حضرتك في الرجوع للمنصة "

أفاق من شروده على هذه العبارة التي خرجت من أحد القائمين على تنظيم الندوة فربّت على كتف الشاب مشجعًا إياه ثم أعطاه رقم هاتفه النقّال وطلب منه أن يتصل به بعد انتهاء الندوة ليستقبله في مكتبه بالقاهرة بعد أن وعده بمساعدته في أن تصل فكرته للمسئولين بحكم علاقاته القوية مع الكثير منهم .

وبعد أن عاد الجميع إلى أماكنهم بدأت الفترة المُخصصة لتلقي أسئلة الحضور وخلالها قام المتحدثون بالإجابة عليهم، حتى قامت إحدى

الفتيات موجهة حديثها إليه وهي تُبدي إعجابها برواياته العاطفية وتستفسر منه عن ترتيب الحب في قائمة اهتماماته .

نظر إليها مُبتسمًا ثم استرسل في وصفه للحب وتصدّره قائمة اهتمامات كل البشر وليس هو وحده مُخبرًا إياها بأنه بدون الحب لا توجد حياة .

ثم ذكّرهم بجزء من إحدى رواياته الذي تضمن أبيات شعر تقول :

الحب أرقى ما يجول بخاطر الوجدان
الحب يتقدم صفوف حوائج الإنسان
الحب كالماء كالهواء الحب نعمة من السماء
الحب أعظم من أن يُخلّده الكلام .. الحب هو البيان لكل بيان

انتهت الندوة وغادر القاعة بعد أن وقف طويلًا يتلقى تحية الجميع ثم استقل سيارته وهو ينظر في ساعته ليجدها قد تجاوزت التاسعة مساءً بقليل، وبحلول العاشرة كان قد وصل إلى منزله فجلس يستريح قليلًا ثم قام واستبدل ملابسه الرسمية بملابس أكثر مرونة ووضع تلك الأموال التي حصل عليها مقابل حضور تلك الندوة في حافظته ثم التقط هاتفه الرئيسي .

وابتسم في سخرية وهو يغلق ذلك الهاتف الآخر الذي يحمله فقط عند حضوره مثل هذه اللقاءات ليُعطي رقمه إلى الجمهور لتكتمل صورته المثالية التي يُجيد تصديرها للجمهور والعامة ثم يُغلقه بعد انتهاء اللقاءات ولا يتلقى عليه أي اتصال، وكان آخر من زوّدهم بهذا الرقم الوهمي هو ذلك الشاب الذي وعده بمساعدته في وصول أفكاره للمسئولين .

ولكنه مازال ملتزمًا بذلك العهد الذي قطعه على روحه بألّا يقدم يد العون لأحد وخاصةً في هذا البلد الذي أجهز مسئولوه على حلمه في الماضي ورأى فيه حبيبته زوجةً لغيره .

وبعد أن تأكد من أناقته بعد أن استبدل ثيابه أغلق باب منزله ثم ركب سيارته واتجه إلى ذلك الملهى الليلي الموجود في أحد أشهر فنادق القاهرة ليقضي ليلته هناك مع مجموعة من أصدقائه الأدباء والفنانين الذين يملؤون الدنيا بصياحهم حول المبادئ والمُثل في صباح كل يوم، ويملؤون سهراتهم الخاصة بصياحهم حول زجاجات الخمور التي تقدمها لهم بائعات الهوى .

١٦- الــوجـــــع

ألقت تحية الصباح على والدتها ثم انحنت تطبع قبلة على كفها وعلى جبينها، ثم غادرت المنزل مسرعة ودلفت إلى السيارة بجوار أخيها الذي كان ينتظرها والذي انطلق بالسيارة بعد أن استقرت بجانبه .

وفي الطريق ظلّا يتجاذبان أطراف الحديث حول مواضيع الحياة المختلفة إلى أن جاءه اتصال هاتفي فاعتذر منها ليقوم بالرد على الاتصال .

فاستدارت هي تتأمل الطريق وأسندت رأسها إلى مقعد السيارة وأسبلت جفنيها وتذكرت خطيبها وسيارته التي كانت تشبه سيارة أخيها، وقيادته المتهورة التي كانت تجعلها ترتجف في كل مرة تخرج معه، وعبارتها المتكررة معه في كل مرة يسرع بالسيارة

-" **الجنازة جماعة إن شاء الله يا حبيبي** "

وردّه المتكرر عليها

-" **محلاها وياكي** "

وتذكرت أيضًا بعض المنافع لتهوره في القيادة، مثل ذلك اليوم الذي استيقظت فيه من نومها متأخرة عن موعدها وهي لديها اختبار في الجامعة بمرحلة الدراسات العُليا، وكيف اتصلت به وهي تبكي فطمأنها وطلب منها أن تنهض مسرعة وترتدي ثيابها، وقبل أن تنتهي من إعداد نفسها جاءتها رسالته على الهاتف

-" **السيارة في انتظار معاليكي** "

فاتسعت عيناها من الدهشة غير مُصدقة أنه أتى بهذه السرعة وقفزت درجات السلم وبمجرد أن أصبحت داخل السيارة انطلق بها مُتجاوزًا كل السرعات المحددة .

وقبل بداية الإمتحان بعشر دقائق كاملة كان يفتح لها باب السيارة بابتسامته الجميلة قائلًا :

-" نتمنى الرحلة تكون عجبت حضرتك وتشرفينا مرة تانية يا هانم "

كان جريئًا جدًا في كل حياته مُندفعًا في قراراته، حتى عندما أراد أن يخبرها بحبه .

تذكرت في هذا اليوم كيف كانت تسير عائدة من عملها مع بعض زميلاتها فإذا به يقف أمامهن ويُلقي عليهن السلام وذلك بحُكم معرفتهما ببعض حين كانا زميلين في الجامعة ثم يخبرها برغبته في الزواج منها، وكيف كان جريئا عندما اقتحم عليها مكتبها في العمل في أحد الأيام حاملًا كمية كبيرة من الطعام والمشروبات جعلها تقف مندهشة :

هي: في إيه ! إيه ده ؟!

هو: شوية أكل صغيرين علشانك، صحتك مش عجباني، والناس اللي في البيت باين عليهم مقصرين معاكي

هي: وأنا هاكل كل ده ؟

هو: علشان زمايلك ياكلوا معاكي وما تتحسديش

هي: الناس تجيب لحبايبها ورد، شوكولاتة، مش ساندوتشات فراخ وكبدة

هو: خليكي عملية وبلاش الكلام الفاضي ده

هي: يعني أنا كلامي فــ..

هو مقاطعًا: بقوللك إيه، كفاية كلام الأكل هيبرد، ولو حتى لسه سخن زمايلك هيخلصوه، يالّا روحي كلي وكملي شغلك .. سلام يا بطة

كان مُندفعًا في طباعه وتشوب تصرفاته بعض الهمجية ولكنه كان طيب القلب بسيط الطموح، كل حلمه أن يتزوج ويُنجب أطفالًا يحملون اسمه وتمتد سيرته في الحياة من خلالهم .

وعندما تذكرت ذلك ارتسمت ابتسامة شاحبة على شفتيها وهي تستعيد كيف كانا مختلفين مع بعضهما بسبب اختيار اسم أول مولود سيأتيهم، فقد كانت ترغب أن تسميه على اسم فنان مشهور مُفضل لديها ولكنه كان يُصر على أن أول مولود سيكون على اسم والده .

وازدادت ابتسامتها شحوبًا عندما تذكرت أحد الأيام التي قابلها فيها وهو غاضب جدًا وفي ذروة انفعاله بسبب خلاف نشب بينه وبين أحد أصدقائه، وعندما روى لها ما حدث أوضحت له بأن صديقه على حق وهو من أخطأ، حينها تحولت ثورته وانفعالاته إلى صياح شديد في وجهها معلنًا رفضه التام لرأيها .

-" يالّا بينا يا حبيبتي .. وصلنا "

انتزعتها هذه العبارة من ذكرياتها حين نطقها أخوها بصوت هادئ وهو يربت بحنان على كتفها فانتبهت إلى توقف السيارة ونزلت منها واتجهت مع أخيها في خطوات بطيئة نحو البوابة الكبيرة التي ترتفع فوقها لافتة ضخمة تحمل اسم المستشفى الذي تحصل فيه على جرعتها الدورية من العلاج الكيماوي لمواجهة ذلك المرض الشرس المسمى بالسرطان .

وخلال هذه الخطوات ولا إراديًا كانت تعض على شفتها السفلى من الألم، ولكنه لم يكن ألم السرطان بل كان ألم آخر لقاء جمعها به بعدما تأكدت من إصابتها بالمرض، وكيف كان كعادته فظًا في صراحته وهو يخبرها بضرورة انفصالهما وعدم قدرته على إتمام الزواج منها .

وعندما وصلوا إلى حجرة العلاج كانت تمسح دمعات قهر استطاعت رغمًا عنها أن تغادر عينيها وتبلل وجنتيها، ثم ألقت التحية على طاقم العلاج بابتسامة باهتة واستسلمت لهم تمامًا من أجل إعدادها لجلسة العلاج، وعندما استلقت على ظهرها أغمضت عينيها وهي تتمنى نفس الأمنية التي ترجوها من الله في كل جلسة علاج وهي أن تكون تلك الجلسة هي الأخيرة وأن ينتهي معها كل ما تبقى من عمرها في هذه الحياة .

١٧- نصف العُمر

عادت من العمل في ذلك اليوم ودخلت إلى المنزل وذهبت كعادتها إلى غرفة والدتها ليكون حضنها أول ما يستقبلها، ولكنها توقفت عند باب الغرفة حين رأت والدتها تُمسك تلك الصورة التي تجمعها مع والدها ويحملانها وهي لم تتجاوز السنة الأولى من عمرها ودموع والدتها تتساقط في صمت حزين وهي غارقة في تأملها لدرجة أنها لم تنتبه لوصولها ولم تشعر بها طوال الدقائق التي وقفتها على باب الغرفة تنظر إليها في سكون، حتى أنهت هي هذا الصمت عندما ألقت عليها السلام متظاهرة بوصولها الآن وليس منذ دقائق ثم احتضنت أمها وهي ما تزال تجلس على نفس هيأتها فوق المقعد ولكن بعد أن وضعت الصورة جانبًا، وبعد لحظات من مداعبتها لأمها لتُخرجها من حالة الحزن التي هي عليها قامت إلى غرفتها فاستبدلت ثيابها سريعًا ثم اتجهت إلى المطبخ لإعداد طعام الغداء .

وأثناء إعدادها للطعام كانت تعلم أن سبب دموع والدتها هو تذكّرها لوالدها وحياتهما معه قبل أن يرحل .

كان الثلاثة يعيشون في هدوء وسعادة بسبب والدها الذي كان يحتضنها هي وأمها داخل كنفه ويضعهما طوال الوقت تحت رعايته كما كان يبذل قصارى جهده في سبيل توفير كل ما يتمنونه وأكثر فلم يكن يبخل عليهما بأي شيء .

فها هو يسعى بكل طاقته حتى استطاع إلحاقها بمدرسة خاصة راقية والتي كانت تُكلفه مبلغًا كبيرًا من المال كل عام، ويحرص كل عام على أن يقضوا معظم الإجازة الصيفية على شواطئ إحدى المدن السياحية .

وهي التي في مرة كادت أن تغرق وكانت حينها في العاشرة من عمرها عندما تسللت خلسة دون علمهما وذهبت إلى نقطة بعيدة عنهما من الشاطئ لتسبح وحدها، ولولا والدها الذي أنقذها وهي لا تعلم من أين أتى ولا كيف رآها ما كانت تقف الآن تُعد طعام الغداء.

وكذلك لم يكن ينسى أبدًا تلك المناسبات الخاصة بها وبوالدتها ويُهديهما في كل مرة ما يُنسيهما جمال الهدية السابقة .

كان دائم التغزل في والدتها وكانت هي تُحبه كثيرًا حتى أنها تصدت لكل محاولات أهلها لعرقلة زواجهما الذي لم يكن على رضا من أسرتها، ولكنها تمسكت به وأصرت على الزواج منه وتحملت ذلك التعامل الجاف من أهلها في بداية الزواج حتى رضوا بالأمر الواقع وتقبّلوا زواجهما .

وتذكرت وقوفه داخل المدرسة مفتخرًا بها وهي تُلقي قصيدة وطنية في ذكرى واحد من الأعياد القومية واحتضانه لها بعد انتهاء الاحتفال وهو يعدُها بأن يجعلها مطربة مشهورة حين تكبر .

وتذكرت ارتجافة أمها حين أصابت والدها غيبوبة عنيفة في أحد الأيام ودخل بسببها إلى المستشفى لمدة أسبوعين كانت تشعر بأن أمها خلالهما قد ماتت آلاف المرات من فرط قلقها على والدها .

وقد اتضح لها في هذه الأزمة كم كانت أمها تحبه وتخاف عليه، فقد كانت تشعر خلال هذه الأزمة حين ترى أمها أنها طفل صغير غاب عنه والداه ويقف وحده في صحراء مظلمة .

وتذكرت كيف أقام والدها الدنيا ولم يُقعدها في أحد الأيام حين كانت في المرحلة الإعدادية بسبب مضايقة طالب لها داخل المدرسة، يومها وقف والدها يصيح في المسئولين ويتوعدهم إذا لم يتلق هذا الطالب العقاب المناسب حتى يكون عبرة لزملائه، ولم يزل على هذا الحال حتى أتى إليهما والد الطالب بنفسه وقدّم لهما اعتذاره عما بدر من ابنه .

وكم كانت تغمرها السعادة عندما كانت بين الحين والآخر تجده ينتظرها أثناء خروجها من مركز الدروس في المساء حاملًا لها تلك المجموعة من المقرمشات التي تحبها وزجاجة المياه الغازية بالطعم المفضل لها .

كما تذكرت أنهم قاموا بالتغيير والانتقال من منزلهم مرتين تنفيذًا لرغبة والدتها التي كان يسعى دائمًا لإرضائها وتوفير عوامل الراحة لها .

انتهت من إعداد طعام الغداء ثم حملته وهي تصيح من داخل المطبخ مُعلنة ذلك في محاولة منها لرسم البسمة على وجه والدتها، واستمرت هذه المحاولة أثناء تناولهما الطعام سويًا وكذلك عندما جلست بعد انتهاء الغداء تروي لها تفاصيل يومها في العمل والطريق .

ولقد حاولت والدتها خداعها بأنها نجحت في ذلك فرسمت ابتسامة تشجيع على شفتيها سرعان ما فشلت في الاحتفاظ بها فاحتضنت ابنتها وقبّلت رأسها وهي تُربت في حنان على ظهرها .

وعندما آوت إلى فراشها كانت تشعر بالضيق لأنها عجزت عن مواساة أمها والتخفيف عنها وهي التي على هذه الحالة منذ سنوات تجلس في المنزل لا تقوم بشيء، الأمر الذي جعلها فريسة سهلة للذكريات الحزينة تنقض عليها وقتما يحلو لها وتغتال أي محاولة منها لإسعادها .

-" أمي ماتت "

نطقت هذه الجملة وعلى وجهها جمود جعل ملامحها لا تُوحي بأي مشاعر وهي تقف أمام والدها في اليوم التالي تنظر إليه بعد أن استيقظ من نومه في هذه الغرفة داخل إحدى المستشفيات التي يرقد فيها منذ عدة أشهر .

نطقتها وهي تقف أمامه بعد ساعات من انتهاء مراسم تشييع جثمان والدتها إلى مثواها الأخير وفقدانها للشخص الوحيد الذي كانت تشعر بقيمة الحياة في وجوده .

وعلى الرغم من أن صوتها كان منخفضًا وهي تنطقها إلّا أنه كان يحمل كل مقت الدنيا وغضبها تجاهه وهي تنظر إليه وتتذكر أمها التي فارقت الدنيا للمرة الثانية بعد أن فارقتها قبل ذلك من أجله ومن أجل الحياة معه .

تذكرت أمها .. تلك المرأة التي وهبت كل عمرها لزوجها وبيتها، ذلك الزوج الذي تحمّلت من أجله الكثير وكان ردّ الجميل من وجهة نظره عندما تحسنت ظروفه المادية كثيرًا أن يتركها هي وابنتهما في منتصف طريق الحياة يُكملانه وحدهما بكل ما فيه من صعوبات وبكل ما يحويه من مهالك قادرة على قصم ظهر أعتى الرجال

تركهما من أجل إشباع رغباته من ملذات الدنيا الزائفة والتي لا تخدع إلّا ضعاف النفوس، الذين يتظاهرون بمحاسن الأخلاق والزهد حتى تظهر الفتن فينقادوا خلفها .

تذكرت أمها .. وهي تنظر إليه بعد أن افترسه ذلك الداء اللعين الذي يسمونه (الإيدز)، ذلك المرض الذي أصابه بسبب كثرة نزواته وعلاقاته النسائية المُحرّمة التي انخرط فيها سنوات طويلة منذ امتلاكه للأموال الكثيرة والتي بسببها هجرها هي ووالدتها ولم يعُد يسأل عن حالهما أوكيف تعيشان أو ماذا فعلت الدنيا بهما .

تذكرت كيف ظل يرتفع بهما ويبني لهما أبراجًا عالية من الدنيا السعيدة ثم تخلّى عنهما بغتة ليسقطا وتتحطم كل مظاهر الحياة داخلهما، تخلّى عنهما وكأنه تحوّل إلى شخص آخر يختلف تمامًا عن والدها الذي عاشت معه نصف عمرها الأول .

-" أمي ماتت "

أعادت نطقها عليه وهي لا ترى فيه سوى ذلك الشيطان الذي تركها وهي البنت الضعيفة تواجه كل ما واجهته في نصف عمرها الثاني.

نطقتها ثم استدارت تغادر الغرفة غير متأثرة بإشارة يده إليها وهو يرجوها أن تبقى إلى جواره، حتى أنها عندما سمعت ذلك الصوت الذي صدر من هذا الجهاز الذي يتصل بقلبه ويُفيد بأن روحه قد صعدت إلى بارئها التفتت في جمود تنظر إليه ثم أغلقت الباب وانصرفت .

١٨- إبـنـهـا

وقف أمام المرآة ليتأكد من أناقته في ذلك اليوم، قبل أن يصطحب والديه في سيارته ويتجه إلى الجامعة، حيث سيقوم بمناقشة رسالة الدكتوراة التي يُعدها منذ خمس سنوات في أحد أدق العلوم البيولوجية والتي ينوي بعد الحصول على الدكتوراة استكمال أبحاثه فيها بشكل عملي حيث يهدف من خلالها إلى اكتشاف مصل يعالج أحد أقوى الأمراض المزمنة والتي عجز العالم عن إيجاد علاج له حتى الآن .

وبعد وصوله إلى الجامعة وعلى مدار ست ساعات وقف يعرض رسالته أمام لجنة الحُكم والمناقشة ويجاوب على أسئلتهم ويوضّح نقاط بحثه والعرق يتصبب من جبينه على الرغم من برودة الطقس في أول شهور السنة، ولم تهدأ أعصابه إلّا عندما سمع رئيس اللجنة يُعلن قبول رسالته ويمنحه درجة الدكتوراة مع إشادة جميع أعضاء اللجنة بموضوع رسالته وأهميته .

عندها فقط أطلق صيحة فرح أفرغ فيها كل انفعالاته وهو يقفز في الهواء كالأطفال ثم يندفع إلى والديه يحتضنهما ويُقبّل أيديهم .

وبعد انتهاء الاحتفال البسيط الذي أقامته له الجامعة احتفالًا بحصوله على الدكتوراة، ذهب مع والديه لتناول العشاء في أحد المطاعم المُطلة على النيل، وبعد انتهائهم من تناول الطعام جلسوا يتجاذبون أطراف الحديث ويتناقشون فيما هو قادم :

الوالد: وناوي على إيه بقى يا دكتور بعد ما رسالتك اتقبلت ؟

هو: أكمّل رسالتك انت بقى يا سيادة اللواء

الوالد: إزاي يعني ؟

هو: يا بابا أنا رسالتي هي وسيلة لتحقيق رسالتك .. مصر يا سيادة اللواء، بإذن الله ناوي أكمّل أبحاثي وتكون مصر صاحبة السبق في اكتشاف العلاج لأقوى مرض معروف حتى الآن

الوالدة: بس يا حبيبي الأبحاث العملية غير رسالة الدكتوراة النظرية خاصةً في تخصصك، انت محتاج مختبرات أبحاث وميزانية كبيرة

هو: ما هو أنا ناوي يا دكتورة أعرض بحثي على وزارة الصحة ووزارة البحث العلمي وأستخدم معاملهم وإمكانياتهم، ومهما كانت تكاليف البحث كبيرة فهي تعتبر نقطة في بحر المكاسب اللي مصر هتحققها من العلاج ده

الوالد: بس الموضوع مش هيكون بالسهولة اللي أنا شايفك بتتكلم بيها

هو: ومين قال إن الموضوع سهل يا سيادة اللواء، حضرتك على مدار سنين شغلك في الشرطة مكانش أمن مصر وحمايتها أمر سهل، ولا عمّي الله يرحمه لمّا استُشهد في حرب أكتوبر وإحنا بنرجّع أرضنا كان أمر سهل، وبعدين مش انت طول عمرك تقول الغالي علشان مصر يرخص

الوالدة: ربنا يوفقك يا ابني

" عربية السفارة وصلت يا دكتور ، وفي انتظار حضرتك "

أفاق على صوت مساعده وهو يقف أمام المرآة داخل منزله في الولايات المتحدة الأمريكية ليتأكد من أناقته قبل الذهاب للمشاركة في أكبر مؤتمر علمي على مستوى العالم والذي تعقده الولايات المتحدة الأمريكية كل أربعة أعوام وتُعرض فيه أهم وأحدث الأبحاث العلمية في مختلف التخصصات، والتي تم اختيار بحثه ليكون من ضمنها بعد أن حصل على المركز الثالث في قائمة أبحاث المؤتمر هذا العام .

وقد أعادته وقفته أمام المرآة إلى سنوات كثيرة مضت على وقوفه أمام المرآة في منزله بالقاهرة يوم مناقشته رسالة الدكتوراة .

خرج من منزله واستقل السيارة التي أرسلتها السفارة المصرية هناك لتحمله إلى قاعة المؤتمر، وعندما تحركت به السيارة أغمض عينيه وهو يتذكر ما حدث معه في مصر بعد حصوله على الدكتوراة .

حيث كان يحلم بأن ترعى الجهات المسئولة في الدولة فكرته وتُقدم له الدعم، ولكنه عندما عرض بحثه عليهم فوجئ بهم يخبرونه بأن عليه أن ينتظر ست سنوات حتى يأتي الدور على بحثه حيث يوجد الكثير من الأبحاث المُقدمة من العلماء وأصحاب الأفكار مثله، وأعطوه رقم بحثه في قائمة الانتظار هذه والذي كان يتكون من خمسة أرقام .

ومما زاد الطين بلة وقتها أنه علم من أحد العاملين هناك أنه حتى وإن انتظر كل هذه السنوات فإنه لن يستطيع استكمال أبحاثه بسبب ضعف الميزانية المرصودة للأبحاث العلمية .

وقد حاول ولمدة عام ونصف الوصول إلى مسئول يساعده في الحصول على الدعم الذي يحتاجه لاستكمال أبحاثه ولكن دون جدوى .

وبعدها وبالصدفة التقى بأحد زملائه الذي هاجر إلى أمريكا منذ سنوات وكان في القاهرة يقضي إجازته، وعندما التقيا وعلم ما هو فيه عرض عليه أن يهاجر إلى أمريكا وهناك سيلقى كل الدعم الذي يريده حتى يخرج علمه وأبحاثه إلى النور.

وعلى الرغم من رغبته الشديدة في أن تستفيد مصر من فكرته إلّا أنه وافق على الهجرة بعدما تأكد من أن بقاءه في مصر معناه ألّا يخرج اكتشافه إلى الحياة .

وبالفعل هاجر إلى أمريكا وتعاقدت معه واحدة من أكبر شركات الأدوية على مستوى العالم براتب سنوي ضخم وميزانية مفتوحة لأبحاثه على أن تكون وحدها صاحبة الحق في امتلاك كل ما يقوم باكتشافه .

-" حمدالله على السلامة يا افندم "

فتح عينيه في بطء وابتسم في ود لمندوب السفارة المصرية الذي يقف لاستقباله أمام قاعة المؤتمر ويقوم مع أحد المُنظمين بتوصيله إلى مقعده المُخصص له في الصف الأول .

بدأت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر بكلمة رئيس المؤتمر ثم كلمة الرئيس الأمريكي التي ألقاها نيابةً عنه أحد مساعديه، ثم توالت كلمات أبرز ضيوف الافتتاح .

ودون أن يتعمد ذلك سمع اثنين ممن يجلسون بجواره يتهامسون في غضب وبصوت منخفض، وأحدهما يُشير إليه خلسة وهو يتحدث إلى صديقه مُعربًا عن استيائه من حضور هذا المصري وجلوسه بجوارهم في الصف

الأول والذي من المفروض أن يكون مُخصصًا لممثلي وعلماء الدول العُظمى فقط .

وقد حافظ على هدوئه مع استمرار هذين الاثنين في تطاولهما على مصر، ثم جاء دوره ليُلقي كلمته أمام ما يزيد عن ثلاثة آلاف شخص يُمثلون أكثر من سبعين دولة من جميع قارات العالم وكذلك أمام الملايين من المتابعين للمؤتمر الذي ينقل التليفزيون أحداثه وفعالياته على الهواء مباشرة .

وعندما صعد إلى المسرح بدأ حديثه بإلقاء السلام على الجميع باللغة العربية، ثم ابتسم في هدوء وبدأ كلمته باللغة الإنجليزية والتي قال فيها :

" **السيدات والسادة** .. أفخر بوقوفي أمامكم اليوم في هذا المؤتمر الذي يضم نُخبة من أكبر علماء العالم، ويُسعدني هذا التكريم الذي حصلت عليه في وجودكم والذي أُهديه إلى الشركة التي أعمل بها والتي لم تبخل بأي شيء على أبحاثي حتى نُقدم للبشرية كلها هذا العلاج الذي تم عرضه أمامكم منذ قليل، ثم أُهدي هذا التكريم ومعه حياتي كلها إلى بلدي مصر والتي أتشرف بأنني واحد من أبنائها، وبمناسبة الحديث عن مصر فقد سمعت دون قصد بعض الأشخاص يتحدثون بجواري منذ قليل وهم يستنكرون على العالم هذه القيمة التي يُعطيها لمصر ظنًا منهم أنني لا أُجيد اللغة العبرية، لذلك اسمحوا لي أن أُعطيهم نبذة قصيرة عن مصر، مصر يا سادة هي بلد ما قبل التاريخ، مصر بلد احتاج المؤرخون لآلاف المجلدات ليصفوا محافظة واحدة من محافظاتها، مصر هي البلد الوحيدة التي لم يطأ غريب أرضها إلّا وتركت داخله بصمتها على عكس ما يحدث في كل العالم، مصر سُكّانها هم أهلها منذ خلقها الله وليسوا شرذمة مجهولة النسب والهوية غارت على أرض غيرها واستوطنوها لتُصبح لهم دولة

تبلغ الآن من العمر أقل مما وصل إليه جدي الذي يعيش حاليًا في القاهرة، ولأن الحديث عن مصر يحتاج لسنوات وأنا مُلتزم بعدد الدقائق المُخصصة لي في هذا المؤتمر فإني سأكتفي بهذا القدر، وأختم كلمتي بجزء من إحدى القصائد التي تصف مصر، واسمحوا لي أن أقولها بالعربية وأنا أعلم أن الترجمة ستصل إليكم بشكل مباشر:

و بيسألوا مين هي مصر !
مصر بكره اللي جاي شايل لكل الدنيا خير
مصر تكره أي حد يفكر إنه في يوم يجير
على أرضها على شعبها على رزقها
على حبة من الرمل اللي مروي بدمها
مصر بتحب السلام مصر قدّ الحرب مصر بتخاف ربنا
ذكرها في القرآن وقال فيها الأمان عمر الدنيا يساوي عمرنا
مصر نسوانها بتولّد كل يوم ألفين دكر
اللي عالم والإمام والشهيد اللي عبر
مصر شعراوي الحبيب مصر يعقوب الطبيب ويّا روايات النجيب
مصر أبطال عدّوا القنال .. ودبحوا هناك شوية بقر
مصر بنِت الأهرامات مصر خلّدت اللي مات
مصر علِمت البشر في المحن معنى الثبات
من خيرها ربنا رزق الضعيف والغريب واللي ضاق الحال عليه

فيها موسى ناجى ربه .. وصل إليها المسيح في حضن أمه

مصر في بيت سيدنا النبي ألف صلاة وسلام عليه

انتهى اليوم الأول من المؤتمر وغادر القاعة دون أن ينسى إلقاء نظرة احتقار مُستفزة على من كانا يجلسان بجواره، وعندما استقل السيارة انطلقت به إلى السفارة المصرية للقاء السفير حسب الموعد المُتفق عليه بينهما، وهناك وجد احتفالية كبيرة أقامتها له السفارة احتفالًا بتكريمه اليوم في المؤتمر وحصول بحثه على المركز الثالث .

وبعد انتهاء الاحتفال وتهنئة الجميع له، اصطحبه السفير إلى مكتبه ثم كرر له التهنئة على التكريم وكذلك هنأه على كلمته القوية في الافتتاح ثم أعاد عليه عرض العودة للعمل في مصر قائلًا :

السفير مبتسمًا: مش ناوي ترجع مصر بقى يا دكتور، بلدك أولى بيك وبعلمك

هو بهدوء: فعلًا بلدي أولى بيّ معالي السفير، لكن علمي هو للبشرية كلها

السفير: طيب إيه المانع إن علمك يخرج للبشرية من مصر

هو: علشان مصر علمتني على إيد أبويا وأمي ما أكونش جاحد وأنكر فضل اللي ساعدوني، حتى لو مُختلف معاهم فكريًا

وبعد حديث طويل بينهما فشل خلاله السفير في إقناعه بالعودة إلى مصر، استأذن في الانصراف فقام السفير لتوديعه، وعندما وصلا إلى باب السفارة ألقى التحية على السفير وشكره على الاحتفال ثم اتجه إلى السيارة ليستقلها عائدًا إلى منزله ولكنه قبل أن يدلف إليها نظر إلى السفير قائلًا:

-" لو بجد عاوزين مصر تستفيد من علم أبنائها ما تتعبوش نفسكم في إنكم ترجّعوا اللي بره، اهتموا باللي جوه، هم كتير وأعظم مني بكتير بس انتوا إدوهم الفرصة "

١٩- المكافأة

داخل حجرة العناية المركزة بالمستشفى جلس بجوار زوجته الراقدة على فراش المرض منذ أسبوعين، بعد أن أجرت عملية في أحد شرايين القلب وحتى الآن لم تستقر حالتها الصحية ولم تصل إلى الدرجة التي تُمكّنها من مغادرة هذه الغرفة والتي يضطر كل يوم للإتيان بحيلة يستطيع بها الدخول والجلوس بجوارها لدقائق معدودة وهي غائبة عن الوعي إلّا من لحظات كانت تستفيق فيها أحيانًا تنظر إليه بعينين شبه مُغمضتين دون أن تقوى على الكلام، ولكنها في ذلك اليوم تنبهت عندما احتضن كفها و قبّله كعادته، واستطاعت بصعوبة أن تتحدث إليه بأنفاس متقطعة وقالت له :

-" أنا هطلع فوق خلاص، بس مش هغيب عنكم، هفضل عايشة جواك "

ثم ابتلعت ريقها في ألم وهي تُجاهد لاستكمال حديثها قائلة :

-" خلّي بالك من ولادنا، انت عارف أنا دفعت إيه علشان ييجوا الدنيا، إوعى تفرط فيهم .. دي وصيتي ليك "

رفع وجهه ونظر لأعلى وهو يعضّ شفته السفلى محاولًا التماسك أمامها ومنع دموعه من مغادرة عينيه، ثم عاد ينظر إليها وهو يسعى لاستجماع قواه ليطمئنها بأنها ستُشفى وتكون بخير ولكنها لم تُمهله الوقت لذلك، فقد أغمضت عينيها وتراخت كفها بين يديه في برودة جعلته ينظر إليها في شك ما لبث أن تحول إلى يقين عندما تغيرت الصافرة المتقطعة الصادرة من الجهاز المثبت بجسدها إلى صافرة متصلة طويلة، فأراح ذراعها بجوارها

ثم طبع قُبلة طويلة على جبينها بعد أن استسلم لدموعه وتركها تنهمر فأغرقت وجهها، ثم دفن رأسه في صدرها وهو يبكي ويقول لها

-**"هتوحشيني أوي .. حاضر يا حبيبتي، وصيتك في رقبتي "**

وبعد أن أسكنها مقامها الأخير مرّ على بيت شقيقته ليُحضر الطفلين ثم اصطحبهما وعادوا إلى المنزل ليبيت هو لأول مرة بعيدًا عن زوجته وحُبه الوحيد، وينام الطفلان لأول مرة بدون والدتهما، وبعد أن استهلك آخر ما به من طاقة في إقناع طفليه بأن والدتهما قد سافرت إلى مكان بعيد لتُحضر لهما الهدايا واللعبات الجميلة ثم تعود، نام الولدان فأرخى عليهما الغطاء ثم جلس على المقعد المواجه لسريرهما وظل ينظر إليهما ويتأمل بوجع في أقدار الله التي جاءت بحرمان هذين التوأمين اللذين لم يُتمّا السابعة من أُمهما، هذه الأم العظيمة والحبيبة المخلصة، التي لم تكترث لتحذيرات الطبيب أثناء حملها عندما أخبرهما بضرورة التخلص من الجنينين وكانت حينها في شهرها الثالث لخطورة استكمال هذا الحمل على حياتها ولكنها رفضت ذلك بشدة وأصرّت على الاحتفاظ بحملها والذي جعلها بعد الولادة تُعاني من مشاكل صحية في القلب استمرت لعدة سنوات وانتهت بوفاتها.

وعندما نهض ليذهب إلى غرفته انحنى ليُقبّل الطفلين ووعدهما بأن يكون الباقي من عمره كله لهما هما فقط وهو يقول

-**" عاوز لمّا أقابل أُمّكم في الجنة تكون راضية عني "**

وبالفعل مرّت السنين وهو يبذل كل طاقته لرعاية الولدين وتعويضهما عن رحيل والدتهما المبكر عنهما، وقد كان كل ليلة عندما يدخل إلى غرفته لينام يجلس على الفراش ثم يُخرج صورتها ويتحدث إليها ويروي لها كل

تفاصيل اليوم وما جرى فيه، فها هو يُحاول أن يُعدّ لهما بعض الأكلات المحببة إليهما بنفس طريقتها ولكنه يفشل وينتهي بهم الأمر للاتصال بأحد المطاعم لإرسال ثلاث وجبات جاهزة، وهذا يوم الجمعة ويوم الإثنين يذهب بهما إلى النادي لحضور تدريبات السباحة كما كانت تفعل، وهذا يوم آخر يجلس بينهما في المساء ليروي لهما بعض القصص المُسلية، وكان دائمًا يبتسم وهو يقوم بإعداد الحمّام ويساعدهما على الاستحمام ويتساءل كيف كانت تقوم بكل هذه الأمور بجوار وظيفتها ودون أن يشعر بأي تقصير منها تجاهه .

كما حكى لها عندما جاء أول عيد عليهم بدونها وكيف اصطحبهما وظلّوا طوال اليوم خارج المنزل حتى يشتري لهما ملابس جديدة، كما كان يبتسم خجلًا وهو يروي لها عن هذا الكم الهائل من النساء اللاتي لا يذهب في مرة لزيارة والدته إلّا وتعرض عليه إحداهن ليتزوجها، ثم يحتضن صورتها وهو يتنهد ويقول :

-" هُمّ فاكرينك مشيتي . ميعرفوش إن انتِ موجودة ومش ممكن تسيبيني"

وكذلك عندما أنهى الصبيّان المرحلة الثانوية لم ينس أن يلتقط لهما صورة معًا في أول يوم دراسي بالجامعة ثم يُسرع إلى غرفته ويعرض صورتهما على هاتفه أمام صورتها لتشهد نضوج طفليها الصغيرين ووصولهما إلى الجامعة، وتكرر هذا المشهد يوم تخرجهما من الجامعة .

كان يشاركها كل لحظاتهم وكأنه يرفض الاعتراف بغيابها حتى وإن أقرّ بوفاتها .

-" يالّا يا حاج الساعة بقت ١٠، ياريت نطفي النور وننام "

أفاق من شروده الذي غرق به في ذكرياته على هذه العبارة التي وجهها له المُشرف على ذلك الطابق الذي تقع فيه غرفته في هذه الدار المخصصة لكبار السن التي أودعه إياها ولداه، فانتبه إلى أنه يقف منذ ساعتين في الشرفة دون أن يشعر بمرور الوقت، فابتسم للمشرف وأومأ له برأسه إشارةً إلى تنفيذ ما طلب .

دخل من الشرفة وأغلقها ثم أطفأ النور واستلقى على سريره وهو مازال يتذكر الماضي، وكيف أنه بعد تخرج ولديه من الجامعة وزواجهما في ليلة واحدة كما كانت تتمنى والدتهما، ضاقت أنفسهما وزوجتاهما برعايته، فطلبا منه الموافقة على الالتحاق بإحدى دور المُسنين لرعايته، وتناوبا على زيارته كل أسبوع طيلة العام الأول، وبعدها بدأت تتباعد المدة بين كل زيارة والأخرى حتى أصبح يمر عليه الشهر والثاني والثالث ولا يرى أحدهما، لدرجة أنه علم من خلال صفحة أحدهما على مواقع التواصل الاجتماعي بأنه قد أنجب بنتًا عندما رأى صورة لها في حضن أبيها وأمها وأهل والدتها .

ولداه اللذان عاش من أجلهما سنوات عمره كلها ورفض كل مُغريات الحياة من أجلهما كافآه في النهاية بأن وضعاه في منفى مُزين تحت اسم دار رعاية كبار السن .

لم يستطع أن يواصل التفكير في حاله أكثر من ذلك فأخرج صورة زوجته ليقبّلها قبل أن ينام كعادته، ولكنه وجد نفسه بعد أن قبّلها يقول لها

-" أنا حافظت عليهم زي ما وصتيني .. بس انت نسيتي توصّيهم عليّ "

٢٠- النزيف

نهضت من فراشها في صباح ذلك اليوم وخرجت من غرفتها تبحث عن والدتها فوجدتها في المطبخ تقوم بإعداد طعام الإفطار، فاحتضنتها من الخلف واستنشقت رحيق حنانها الذي يملأ أي مكان تتواجد فيه .

وبعد أن تناولا الإفطار سويًا قامت لترتدي ثيابها ثم ألقت التحية على والدتها وخرجت مُتجهة إلى الجامعة للحصول على وثيقة التخرج .

وبعد أن أنهت الإجراءات داخل الكلية وحصلت على الشهادة الرسمية التي تُفيد بتخرجها من الكلية وحصولها على بكالوريوس الصيدلة وبتقدير جيد جدًا وقفت تتأمل الشهادة لدقائق ثم استقلت سيارة تاكسي وذهبت إلى المقابر وسارت داخلها حتى وصلت إلى قبر والدها .

فوقفت أمامه في خشوع ثم ألقت عليه السلام في حنين وأخبرته بأنها تخرجت من الجامعة وتحديدًا من الكلية التي اختارها هو لها منذ أن كانت طالبة في المرحلة الإعدادية، وأنه أول إنسان ذهبت إليه بعد حصولها على الشهادة ليشاركها فرحتها التي طالما صنعها بنفسه في الماضي .

ثم جلست تتحدث إليه عن أحوالها من بعده وكيف أصبحت حياتها منذ رحيله ومدى الغربة التي تشعر بها بعد وفاته، وأخذت تتذكر مواقفها معه وكيف كانت طفلة مشاغبة لا ينعم في وجودها بأي هدوء، وهي التي كثيرًا ما بعثرت أوراقه ومتعلقاته كلما سنحت لها الفرصة واستطاعت الوصول لحجرة مكتبه في المنزل أثناء غيابه .

وتذكرت أول يوم لها في المدرسة عندما تغيّب عن العمل من أجل أن يصطحبها بنفسه إلى المدرسة وتلك الصورة التي جمعتها به في ذلك اليوم أمام باب المدرسة ومازالت تُزين بها جدار غرفتها مع صورة أخرى تجمعهما أمام باب الكلية في أول يوم لها بالجامعة حيث تغيّب أيضًا عن العمل في ذلك اليوم ليقوم بتوصيلها بنفسه إلى الكلية .

ثم تذكرت يوم خطوبتها وكيف تعامل مع خطيبها حين تقدم لخطبتها وهو زميلها في الكلية، تذكرت كيف كان والدها أبًا لخطيبها رحيمًا به ولم يُرهقه في الأمور والعادات المتعارف عليها بين الناس، حتى أن خطيبها انهار تمامًا عند وفاته وأصابه اكتئاب حاد لفترة طويلة لشدة تعلقه بوالدها.

ودائمًا ما يُخبرها بأنه كان صغيرًا ولم يشعر بأنه يتيم عند وفاة والده مثلما شعر بذلك يوم أن مات والدها، وأنه مازال يحفظ كلماته التي قالها له أثناء مرضه الأخير قبل وفاته حين طلب حضوره وجلس معه وحدهما ليُخبره بأنه يشعر بقُرب أجله ويُوصيه عليها مُخبرًا إياه بأنه لا يُزوّجه ابنته بل يأتمنه على روحه وقطعة منه فليحافظ عليها .

ظلّت تتحدث إليه كثيرًا وتتذكر حياتها معه، ثم ابتسمت وهي تقول له مداعبةً إياه :

-" انت عارف يا بابا أنا تعمدت إني ألبس النهارده نفس الهدوم اللي لبستها وأنا رايحة معاك أول يوم في الكلية وكمان نفس الشنطة علشان أحس إنك معايا وأنا بستلم شهادة تخرجي وما أعاقبكش على غيابك النهارده يا راجل يا عجوز "

وبعد أن انتهت من حديثها مع والدها في قبره ألقت عليه السلام ووعدته بزيارته مرة أخرى قريبًا ثم انصرفت .

وعندما خرجت من المقابر تفاجأت بخطيبها يقف مُرتكزًا على مقدمة سيارته المتواضعة ويبتسم لها في مودة وهو يُخبرها بأنه كان على يقين تام بأنها ستأتي إلى هنا في ذلك اليوم وعندما دخل إلى المقابر ووجدها غارقة في حديثها إلى والدها لم يشأ أن يقطع عليهما حديثها فقرأ الفاتحة لوالدها في هدوء ثم جلس في الخارج ينتظرها .

بادلته الابتسامة في امتنان وهي تشكره على تصرفه ثم استقلت معه السيارة واتجها إلى منزلها ليجدا والدتها قد أعدّت لها احتفالًا بسيطاً بمناسبة تخرجها من الجامعة يضم ثلاثتهم فقط، فألقت نفسها بين أحضان أمها في سعادة وهي تغمرها بقبلاتها .

وبعد احتفالهم استأذن خطيبها من والدتها أن يصحبها إلى السينما لمشاهدة أحد الأفلام المعروضة حديثًا في احتفال خاص يجمعهما وحدهما، فقد كان خطيبها يحاول أن يستغل كل فرصة تأتيه لإدخال الفرحة إلى قلبها تعويضًا لها عن فقدانها لأبيها والذي كان يُدرك جيدًا مدى ارتباطها وتعلقها به وكم كانت هي غالية لدى والدها، كما أنه كان يحاول قدر استطاعته الوفاء بالعهد الذي التزم به مع والدها بأن يصونها من بعده، وكانت هي تحبه كثيرًا وتحترم ذلك كله منه وكثيرًا ما كانت تخبره بأنها تشكر الله كثيرًا على وجوده في حياتها وخاصةً بعد رحيل والدها .

-" ألف مبروك يا دكتورة .. موضوع الرسالة أكثر من رائع "

نطقها أحد الحضور مُهنئًا إياها في حفل مناقشة رسالة الدكتوراة الخاصة بها فانتزعها من ذكرياتها بغتة وعاد بها إلى اللحظة التي تعيشها الآن وهي في إحدى قاعات الجامعة بعد أن ناقشت رسالتها وحصلت على الدكتوراة والتي يدور موضوعها حول

-(الأساليب الحديثة لمكافحة مرض الكبد الوبائي)

ذلك المرض الذي تسبب في وفاة والدها وهي في السنة الثانية بالكلية ثم كان السبب في وفاة والدتها بعد عام واحد من تخرجها ولذلك قررت أن يكون هو موضوع رسالتها ثم مجال عملها في المستقبل، في رسالة منها إلى روح والديها بأنها لن تنساهما .

لذلك حين جاءها أحد رجال الأعمال الذين يعملون في مجال العلاج والأدوية أثناء الحفل وعرض عليها مبلغًا كبيرًا من المال من أجل أن تتنازل له عن بحثها وتُصبح فكرة الدواء التي طرحتها ملكًا لشركته بشكل حصري رفضت تمامًا، وأخبرته بأنها ستقدم بحثها إلى الجهات المختصة في الدولة من أجل الاستفادة منه في تقديم العلاج لكافة المواطنين الذين يعانون من هذا المرض ولا يستطيعون تحمل تكاليف العلاج في المستشفيات الخاصة .

استمرت في تلقي التهاني من كافة الحضور والإجابة على استفساراتهم، وبعد انتهاء الحفل وانصراف الجميع نظرت فوجدت زوجها يقف مرتكزًا على مقدمة إحدى الطاولات ويبتسم لها في مودة واعتزاز، فتقدمت إليه في تهالك وألقت نفسها بين أحضانه فأحاطها بذراعيه وهو يربت على ظهرها

في حنان ثم يهمس لها بأن هذا اليوم هو أسعد يوم مرّ عليه بعد يوم زفافهما.

ثم رفع وجهها بين كفيه ونظر طويلًا إلى عينيها في عطف ثم أخبرها بأنه يعلم بأنها تتذكر يوم تخرجها من الكلية وكيف احتفلوا به في وجود والدتها، ويعترف لها بأنه لا يستطيع في يوم حصولها على الدكتوراة أن يُعيد الجزء الأول من الاحتفال السابق الذي جمعهما مع والدتها ولكنه يستطيع أن يُعيد الجزء الثاني من الاحتفال السابق الذي جمعهما وحدهما، ثم غمز لها بإحدى عينيه وهو يرفع أمامها تذكرتين لحضور أحدث الأفلام الموجودة في السينما، ثم أخبرها بأنه ونظرًا إلى تغير أحواله المادية إلى الأفضل منذ أن تزوجها فإنه قام بإضافة تعديل إلى الاحتفال وهو أنهما وبعد خروجهما من السينما لن يتجها إلى المنزل ولكن سيتجها إلى المطار في إجازة لمدة أسبوع خارج مصر في إحدى البلاد السياحية الجميلة حتى تحصل على قسط من الراحة بعد عامين من عملها المتواصل لإنهاء رسالتها.

رفعت يده إلى فمها لتطبع عليها قبلة أفرغت فيها كل ما تشعر به تجاهه من حب وتقدير واحتياج، ثم وضعت ذراعه حول كتفها وأحاطت وسطه بذراعها وانصرفا .

-" ماما .. ماما .. حضرتك لسه صاحية لحد دلوقتي "

انتبهت على كلمات ابنها الأصغر التي وجهها إليها مُتعجبًا من بقائها مُستيقظة حتى هذه الساعة المتأخرة من الليل على غير عادتها وهي التي اعتادت أن تنام مبكرًا .

وقبل أن تلتفت إليه كفكفت دموعها ثم استدارت إليه تحتضنه وتُخبره بأن أحد الأبحاث العلمية الذي كانت تُطالعه هو السبب في عدم نومها حتى الآن، ثم طبعت قبلة على وجنتيه وطلبت منه أن يذهب لغرفته لينام لأنها ستخلد هي أيضًا إلى النوم الآن .

وبعد أن خرج ابنها من الغرفة وأغلقت بابها خلفه تنهدت طويلًا واعتذرت في داخلها لابنها لأن هذه هي المرة الأولى التي تكذب فيها على أحد أبنائها، لأنها في هذه الليلة تحديدًا لم تقرأ شيئًا سوى تاريخ اليوم المسجل على الهاتف والذي يشير إلى الذكرى السادسة لوفاة زوجها .

٢١- الإسلام الحقيقي

-" السلام عليكم ورحمة الله .. السلام عليكم ورحمة الله "

انتهى من صلاة المغرب إمامًا بالناس في المسجد ثم جلس يختم صلاته بذكر الله .

بعدها قام إلى أحد أركان المسجد وجلس فيه ثم التف حوله مجموعة من شباب القرية ليقرأ عليهم شيئًا من القرآن أو السيرة النبوية ويتدارسونه فيما بينهم كما هي عادته كل يوم جمعة منذ سنوات طويلة .

وبعد أن تبادل معهم التحية واطمأن على أحوالهم، أمسك بأحد كتب السيرة التي تتحدث عن حياة النبي ﷺ وحُسن خُلقه ووسطيته المعتدلة التي لا تفريط فيها ولا إفراط، وكيف كان ﷺ قرآناً يمشي على الأرض كما وصفته زوجته السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين سألوها عن خُلقه .

كما تطرق الكتاب إلى حرص النبي ﷺ على دخول الناس في الإسلام وكيف أرسله الله رحمة للعالمين، ومدى حزنه ﷺ لوفاة أي إنسان قبل دخوله للإسلام ويقول لأصحابه عندما يسألونه عن سبب حزنه لوفاة غير المسلم " نفس أفلتت مني إلى النار" وكيف كانت الحرب عنده هي آخر باب يطرقه في دعوته وتعاملاته مع غير المسلمين، ومدى تعظيمه لقيمة أي روح بشرية على وجه الأرض، بل ولقد امتدت رحمته ﷺ إلى الحيوانات، وذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك فطالت الشجر والحجر .

ثم تعرّض الكتاب تأكيدًا لهذا الكلام إلى صُلح الحُديبية، وكيف استجاب النبي إلى طلب المشركين بأن يرجع هو وأصحابه هذا العام ولا يذهبوا إلى بيت الله الحرام، وكانت هذه الاستجابة حرصًا منه ﷺ على أرواح المسلمين والمشركين ودرءا للقتال .

انتهى من شرح هذا الجزء من الكتاب ثم بدأ يتناقش مع هؤلاء الشباب حول ما استمعوا له ويُجيب على أسئلتهم ويُصحّح لهم ما يختلط عليهم من أفكار دون أن يُصيبه الضجر .

وخلال هذا النقاش استفسر منه أحد الشباب حول السبب الذي دفع النبي ﷺ إلى قبول طلب المشركين في صُلح الحُديبية ووافق على أن يعود إلى المدينة دون الذهاب إلى مكة والكعبة الشريفة على الرغم من أنه كان قادرًا أن يأمر أصحابه فيقاتلوا المشركين ومن يموت منهم فهو في النار ولن يضرّ الإسلام في شيء، ومن يموت من المسلمين فهو بإذن الله شهيدا في الجنة .

وهنا ابتسم له في ودّ ثم أجابه موضحًا أن الإسلام لم يأت لقتل المشركين ولكن لإنقاذهم من الشرك، وأن الإسلام يُعظّم من قيمة الروح البشرية لدرجة أنه جعل حُرمتها عند الله أعظم من حُرمة الكعبة المشرفة، وهذا هو ما جعل النبي عند عودته من الطائف بعد أن اعتدوا عليه وأمروا سفهاءهم فرموه بالحجارة يرفض أن يُهلكهم الله عز وجل، وهم الذين أهانوه وجعلوا دماءه الزكية تسيل من قدمه الشريفة، ولكنه كان يأمل ﷺ أن يهديهم الله يومًا إلى الإسلام ويُخرج من أصلابهم من يوحّد الله سبحانه وتعالى، وهذا ما حدث بالفعل عندما دخل أكابر المشركين في الإسلام ومنهم من بشره الله بالجنة وهو مازال حيًا في هذه الدنيا .

وظلّ يُعدّد لهم الكثير من المواقف التي تُمثل حقيقة الإسلام الطيبة المعتدلة ورسالته السمحة التي تنبذ كل شر وترعى الحريات وتسعى لخير الناس جميعًا حتى رفع المؤذن صوته بأذان العشاء فأغلق الكتاب ثم ردد معهم دعاء ختم المجلس وقاموا إلى الصلاة، وبعد أن تقدم الناس وصلّى بهم العشاء وانتهى من الأذكار وركعتي السُنة ألقى السلام على من تبقى من الشباب ثم غادر المسجد عائدًا إلى منزله .

وفي طريقه إلى المنزل تذكر نفسه حين كان في مثل عمر هؤلاء الشباب وكيف كان حاله وقتها، كان شابًا فتيًا يسوقه الحماس والاندفاع في كل قراراته وأفعاله والتي كانت تفتقر إلى الخبرة والحكمة نظرًا لصغر عمره وضآلة علمه، ولعلّ هذا كان السبب الرئيسي في وقوعه في براثن إحدى تلك الجماعات التي تنعت نفسها بالإسلامية وتُردد دائمًا بأنها ما قامت إلّا لنشر الإسلام ونُصرته وتطبيق شرع الله في الأرض بينما يبعُد هدفهم الحقيقي كل البُعد عن الإسلام وغايته .

حينها ولحداثة عقله استطاعت هذه الجماعة أن تُبهره بأفكارها ومبادئها الخدّاعة والتي يُجيدون صبغتها خارجيًا بكل صفات الخير والسلام، ولقد انقاد بالفعل وراء هذه الأفكار وزاد تعلقه بأفراد هذه الجماعة ودون أن يدري بدأ شيئًا فشيئًا يبتعد عن أصدقائه وأقاربه واختزل حياته في هذه الجماعة وكل ما يتعلق بها ومن ينتمون إليها فقط .

وبعد انتهاء دراسته الثانوية جاءت دراسته في إحدى كليات جامعة القاهرة .

ولقد كان لالتحاقه بجامعة القاهرة وهو من إحدى محافظات الأقاليم دورًا كبيرًا في زيادة إيمانه بهذه الجماعة وانتمائه لها في بداية الأمر حيث واجه صعوبة في ترتيب أحواله في القاهرة، تلك المدينة الكبيرة المزدحمة بالبشر والأكثر ازدحامًا بالأفكار والثقافات المتنوعة وسرعة نمط الحياة فيها والتي تختلف تمامًا عمّا كان يعيشه في قريته .

ولكن أفراد هذه الجماعة وبخبرة من اعتاد على مثل هذه الحالات قاموا بتذليل هذه العقبات أمامه وساعدوه على التأقلم والحياة داخل القاهرة وإكمال دراسته بالجامعة، وكل هذا كان يصاحبه تمرير مُتقن ومدروس لأفكارهم إلى عقله على طريقة من يدس السم في العسل .

ولأن والدته كانت دائمًا تدعو له بالخير وصلاح الحال فقد ساق الله إليه عدة مواقف وأحداث كشفت له زيف هذه الجماعة وابتعاد أغراضهم الحقيقية عن كل ما يتشدقون به من حب الإسلام والناس والخير.

وكما بدأ تعلقه بهذه الجماعة وإيمانه بها يزداد شيئًا فشيئًا، فقد بدأ كُفره بمبادئهم ينمو شيئًا فشيئًا حتى اكتمل يقينه بضلال هذه الجماعة ومن هم على شاكلتها، وكان ذلك في العام الأخير له بالجامعة، وبعد تخرجه من الجامعة رزقه الله بما يداوي به ما اضطرب داخله طوال السنوات الماضية التي سكنه خلالها الكثير من الأفكار الضالة المُضلة، وجاءه خطاب حكومي يُفيد بأنه تقرر تعيينه في إحدى الوظائف الإدارية بالمعهد الأزهري الموجود في إحدى القرى المجاورة لقريته .

وكان لهذه الوظيفة أثرًا كبيرًا في تصحيح الكثير من معتقداته ومعلوماته نظرًا لمخالطته الكثير من علماء الأزهر الشريف الذين أخذوا بيديه إلى

الطريق الصحيح من خلال تعليمه وتلقينه التعاليم الصحيحة للدين الإسلامي الحنيف، وإرشاده إلى الكتب والمراجع التي يتعلم منها السيرة النبوية العطرة، كما أهداه أحد مشايخ المعهد سلسلة مُبسطة لشرح وتفسير القرآن الكريم لأحد السلف الصالح .

ومرّت السنوات وهو على هذه الحالة من العمل وطلب العلم حتى أصبح وبتزكية العديد من المشايخ والعلماء مُؤهلًا لإلقاء الدروس الدينية، خاصة أنه خلال هذه السنوات استطاع أن يلتحق بالمعهد الأزهري كطالب إضافة لكونه موظفًا فيه ثم حصل على شهادة المعهد والتي ساعدته على أن يتقدم بطلب الانتقال من وظيفته بالمعهد للعمل إمامًا لأحد المساجد الموجودة في قريته .

ثم تذكر ذلك اليوم الذي كان يُلقي فيه درسًا في المسجد وتحدث فيه عن وسطية الإسلام واعتداله والسلام الذي جاء به للبشرية كلها حتى أن السلام هو اسم من أسماء الله عز وجل .

وتطرق في هذا اليوم للحديث عن تلك الجماعات والفِرق التي ترتدي عباءة الدين للسيطرة على أفئدة الناس وعقولهم من أجل الوصول إلى أطماعهم الدنيوية مستشهدًا بتجربته مع إحدى هذه الجماعات والتي اكتشف من خلالها الكثير من تفاصيل الجانب الخفي لهذه الجماعات وبُعد أهدافهم الحقيقية تمامًا عن كل ما جاء به الإسلام ويدعو إليه .

وبعد انتهاء الدرس مباشرة توجه إليه واحد من الشباب والمعروف في القرية بتشدده وانتمائه المتعصب لإحدى هذه الجماعات والذي تصادف وجوده في المسجد أثناء الدرس، وبدون أن يُلقي عليه السلام بدأ في

الهجوم عليه بعباراته الحادة واتهامه بالتخاذل وتضليل الناس وتثبيط هممهم وإضعاف عزيمتهم في مواجهة ما تُسميه جماعته بالحرب على الإسلام .

وظلّ هو صامتًا مُلتمسًا العُذر لهذا الشاب الذي يمر في هذه المرحلة من عمره بما مرّ به هو في الماضي، وأمام صمته تمادى الشاب في انفعاله وتوجيه الاتهامات إليه بعبارات لا تُرضي الله، وحتى بعد أن غادر المسجد واصل هذا الشاب صياحه وتلفظ تجاهه بكلمات جارحة .

وهنا لم يتمالك ابن شقيقته نفسه واندفع نحو هذا الشاب المُسئ ليزجره ويمنعه من الاستمرار في هذا الحديث الهمجي ولكن الشاب دفع ابن شقيقته فأسقطه أرضًا ليصطدم بإحدى الكتل الخرسانية الموجودة خارج المسجد ويفقد وعيه .

-"السلام عليكم يا شيخنا .. دعواتك لينا "

انتبه عندما سمع أحد المارة يُلقي عليه هذا السلام، وتحسس دموعه التي سالت منه وهو يسير في الطريق دون أن يدري ومنع ظلام الليل الناس من أن تراها .

فقد أعاد سؤال الشاب له اليوم أثناء الدرس الكثير من الذكريات والتي أحدها هذا الشاب المُسيء الذي اعتدى على ابن شقيقته وتسبب في أن يفقد القدرة على الحركة لعدة سنوات جلسها قعيدًا قبل أن يتوفاه الله رأفةً بحاله وألمه وهو يرى أقرانه يتمتعون بنعمة العافية التي حُرم منها .

ولم يملك هو ما يفعله لأجله حينها ولم يستطع بعد وفاته أن يعتذر منه على ما أصابه بسببه إلّا بأن يُطلق اسمه على ولده الذي أنجبه بعد وفاته بعدة أعوام .

كما أهدى له قصيدة طويلة تفضح أسرار وخبايا هذه الجماعات وأفعالهم وكان من بين أبياتها :

سفكوا الدماء وأفسدوا في الأرض
سبوا النساء واستباحوا العرض
ثم سجدوا وكبّروا .. من تعبدون بربكم
أفعالكم لم تأت في الإسلام
ما ذكرها العدنان في السُنة أو في الفرض

٢٢- العسل المُر

خرجت من باب الجامعة بعد انتهاء محاضرات هذا اليوم وهي تتبادل الأحاديث مع صديقاتها ويضحكن أثناء استعادتهن لبعض اللقطات الطريفة التي وقعت أمامهن طوال اليوم، ثم افترقن أثناء استقلال كل واحدة منهن للحافلة عائدين إلى منازلهن .

وصلت إلى المنزل وأعلنت عن وصولها بضجيجها المعتاد وما تُحدثه لأمها من ارتباك بسبب جوعها، وصياحها المتواصل عندما تعلم أن شقيقيها لم يعودا من عملهما حتى الآن، فلا تجد أمامها سوى والدها الذي يأخذ قسطًا من الراحة لتزعجه وتظل قائمة عند رأسه حتى لا يجد مفرًا من الاستجابة لضغطها الطفولي وينهض من فراشه .

وبعد أن وصل شقيقاها واكتمل تواجدهم حول طعام الغداء ظلت تُداعبهم جميعًا وتُلقي على أخويها قائمة بطلباتها الجديدة استغلالًا لكونها البنت الوحيدة لتلك الأسرة التي لم ينجُ ربّها من سهام احتياجاتها التي لا تنتهي فقرأت عليه نصيبه منها .

وبعد ذلك دخلت إلى غرفتها ثم استلقت على فراشها في استرخاء تام ذهب بها إلى غفوة من النوم تصل إلى الساعة استيقظت بعدها لتقوم بإعداد كوبها المعتاد من القهوة المختلطة بالحليب، ثم جلست إلى مكتبها تراجع ما قامت بتحصيله في محاضرات اليوم .

وأثناء تصفحها لأحد الكتب قابلتها تلك الورقة المطوية الموجودة بين صفحاته فتعجبت كثيرًا من ذلك الأمر ثم أمسكت الورقة وقامت بفتحها لتتفاجأ مما وجدته مكتوبًا داخلها، فقد كانت هذه الورقة رسالة من أحد زملائها في الجامعة وضعها داخل كتابها في غفلة منها فلم تنتبه له، وقد ذكر لها في رسالته هذه أنه منذ فترة طويلة يتملكه شعور قوي تجاهها جعله لا يستطيع التوقف عن التفكير فيها، ويومًا بعد يوم يزداد إعجابه بها حتى استحوذت على كل كيانه ولم يعد يتحمل كتمان مشاعره نحوها أكثر من ذلك فكتب لها هذه الرسالة الطويلة التي مازال يذكر فيها كيف يحبها ولا يرى لقلبه حبيبة سواها ويتغزل في حُسنها بكلمات أذابت تلك الصلابة التي اشتهرت بها، حتى وصلت إلى نهاية الرسالة والتي طلب فيها أن تتناول معه قهوتها المعتادة غدًا في الجامعة حتى يستطيع أن يخبرها بما يحمله لها من حب فاض به قلبه .

وبعد قراءتها للرسالة للمرة الثالثة أمسكت بكوب القهوة لتتناولها فإذا بها قد فقدت كل حرارتها ولم تعُد صالحة للتناول، ولكنها لم تهتم لذلك وتركتها ثم قامت وذهبت إلى فراشها في تمايل وهي لا تزال تُمسك بالرسالة ثم استلقت عليه مبتسمة وهي تستعيد كلماته في الرسالة التي يصف فيها جمالها ومحاسن صفاتها، تلك الكلمات التي لم تسمعها من أحد قبل ذلك طوال حياتها، ثم وضعت الرسالة تحت وسادتها وأخلدت إلى النوم دون أن تستكمل مذاكرة دروسها أو حتى تُطفىء نور غرفتها .

استيقظت في الصباح لتجد والدتها قد أطفأت نور الغرفة وألقت عليها غطاءها وهي نائمة كعادتها في الاطمئنان عليها دائمًا، فابتسمت في سعادة ثم نهضت من فراشها .

وعلى غير عادتها كانت في هذا اليوم شديدة الحرص على أن ترتدي أجمل ثيابها وتظهر في أرق وأبهى صورة ثم ذهبت إلى الجامعة، وبمجرد وصولها إلى مبنى محاضراتهم تظاهرت بعدم الاهتمام وهي تُدير عينيها خفية لتبحث عنه، وعندما بدأت المحاضرات ولم يظهر جلست تنظر إلى الدكتور وهو يتحدث إليهم دون أن تسمع شيئًا مما قاله بعد أن شرد ذهنها بعيدًا في محاولة منها لتفسير عدم حضوره للقائها كما طلب منها .

وبعد أن انتهت المحاضرات ظلّت في مكانها شاردة حتى أنها لم تنتبه إلّا بعد دقائق أن الجميع قد غادر القاعة ولم يتبق إلّا هي وحدها فالتقطت حقيبة يدها ثم خرجت حزينة في طريقها لمغادرة الجامعة فإذا بها تسمع صوته يُلقي عليها التحية في هدوء من خلفها إلّا أنها ظنت أن ذلك مجرد تخيل منها فأكملت سيرها دون توقف إلّا أنها تأكدت من وجوده عندما كرر نداءه لها، وهنا التفتت له فبادرها بالاعتذار عن تأخره واستأذنها في الجلوس سويًا مع وعد منه بألّا يتسبب في تأخيرها عن موعد عودتها للمنزل .

تظاهرت بالرفض حتى تستمع لرجائه مرة أخرى تُشبع بها دلالها كأنثى، ثم جلست تستمع إليه وكلماته العذبة تصنع داخلها إحساسًا لم تشعر به من قبل جعل قلبها يتراقص فرحًا داخلها حتى أنها لم تنتبه إلى انتهائه من حديثه إلّا عندما أشار لها بيديه منبهًا إياها .

وتكرر هذا اللقاء بينهما أكثر من مرة بعد ذلك وفي كل مرة كانت تسمع منه ما يُزيد تعلقها به، كما أصبحت لا تستطيع أن تنام في الليل قبل أن يُهاتفها وتستمع إلى صوته وهو يُطرب روحها قبل أُذنيها بحديثه الغرامي، حتى أتى ذلك اليوم الذي انتهت فيه المحاضرات فطلبت إحدى الفتيات

منهن ألّا يغادرن القاعة وأن ينتظرنها لدقائق حتى تعود إليهن، فجلست مع باقي صديقاتها يتناقشن في شتى الموضوعات العامة، وعندما عادت صديقتهن أشارت إليهن فقُمن بمغادرة القاعة واتجهن إلى الاستراحة الموجودة داخل الجامعة لتناول بعض المشروبات تلبيةً لرغبة إحداهن .

وعند دخولهن الاستراحة فوجئت بصورها مُعلقة على جميع جدران الاستراحة مع هذا الكم الكبير من الزهور والورود الذي انهمر فوقها وغناء جماعي من كل المتواجدين في الاستراحة احتفالًا بعيد ميلادها الذي لم تنتبه إلى أنه يصادف ذلك اليوم .

وبعد أن هدأت الأجواء في الاستراحة شعرت بيد على كتفها فاستدارت لتجده يقف أمامها مبتسمًا وحاملًا بين يديه ذلك الخاتم الذهبي الرقيق والذي يحمل الحرف الأول من اسمها ثم يضعه في رقة بأحد أصابعها قبل أن يطبع عليه قُبلة أكثر رقة جعلتها تُلقي بنفسها بين ذراعيه فالتقطها وقام بالدوران بها وسط صيحات جميع الطلبة في الاستراحة .

وبعد أن عاد الهدوء إلى الاستراحة وأوقفها بين يديه أشار إلى أحد الاتجاهات فنظرت هناك فإذا بها تجد صورة مميزة لها كان قد التقطها لها في أحد الأيام في غفلة منها، ووجدته قد كتب تحتها بعض كلماته الرقيقة التي تقول :

ولمّا يا سمرا تبتسمي يتعطل قانون الجذب
وتطلع شمس غير الشمس تخلي كل شيء يتحب
أنا اتعلمت على إيدك معاني جمالها فوق الوصف
لقيت في عينيكي كل الصدق لقيت في هواكي معنى الحق
ومهما أعيش سنين وسنين وأقابل كل يوم حلوين

مفيش غيرك عليها يليق أنادي وأقول يا روح القلب

انتهى ذلك اليوم الجميل بعد أن جلسا سويًا عقب هذا الاحتفال وأخبرته بأن هذا هو أجمل يوم عاشته طوال حياتها، ولأول مرة تُعلن عن حبها له أثناء تواجدها معه، بعد أن نطقتها بكل خجل وهي تنظر حولها دون هدف سوى الهروب من لقاء عينيه وهي تقولها له، وبعد أن قام بتوصيلها بالقرب من منزلها تركته وانصرفت بعد أن اتفقا على أن يتحدثا ليلًا في الهاتف .

" Two Espresso and one Juice please "

انتبهت فور سماعها هذه العبارة إلى ذلك الرجل الذي يتحدث إليها وهو يقف أمامها مع زوجته وطفلهما داخل ذلك المطعم الذي تعمل فيه في إحدى البلاد الأوروبية التي سافرت إليها سرًا مُختبئة داخل مخزن بضائع في إحدى السفن البحرية، وتسببت تلك الأغنية الشهيرة التي ترددت اليوم داخل المطعم في أن تعود بها إلى ذكريات ماضيها وحبيبها الذي كان دائمًا يردد لحن هذه الأغنية .

حبيبها الذي اقتحم حياتها حين كانت طالبة في الجامعة واستطاع أن يستحوذ على قلبها وعقلها ويجعلها تذوب فيه عشقًا إلى الدرجة التي جعلتها تفقد معه أغلى ما لدى أي فتاة ظنًا منها بأنه لا يستطيع الحياة بدونها كما كان دائمًا يقول لها، ولكنها كانت واهمة وتأكدت من ذلك عندما بدأ يتغيب عن لقائها متعللًا بانشغاله في أشياء مختلفة، وبعد عام كامل قضته في توسل دائم له بألّا يتخلى عنها بعد ما وقع بينهما صارحها في منتهى القسوة بأنه لا يرغب في الاستمرار معها مُخبرًا إياها بأن موعد

إعلان خطوبته وإحدى فتيات عائلته قد اقترب، وهذا يتطلب منها ألّا تُعاود الاتصال به .

حينها لم تجد شيئًا تفعله بعد أن خسرت كل قيمتها في الحياة سوى أن تقوم بالفرار من أهلها وبلدها لأنها لا تستطيع مواجهتهم بما حدث لها .

قدّمت القهوة والعصير إلى هؤلاء الزبائن ثم عادت عدة خطوات للخلف ووقفت أمام تلك المرآة الجانبية تمسح دموعًا غير موجودة على خديها في محاولة منها للخروج من هذه الحالة الحزينة، ثم مرّرت أصابعها عبر خصلات شعرها الذي خلعت عنه حجابه تنفيذًا لتعليمات العمل داخل هذا المطعم، ثم عادت إلى مكانها لتواصل عملها وهي ترسم على شفتيها تلك الابتسامة الخالية من كل ألوان الحياة .

٢٣- الذنب

اجتمعت الأسرة كلها في صباح أول أيام اجازة الدراسة الصيفية لتحديد كيف يقضونها، فجلس هو وشقيقته التوأم بعد أن أنهوا امتحانات السنة الثانية من دراستهما الجامعية وشقيقه الأصغر الذي أنهى امتحانات السنة الثانية من دراسته بالمرحلة الإعدادية ووالدتهم وكذلك والدهم الذي تبدأ من بعد غد اجازته السنوية من العمل والتي تمتد لأسبوعين قادمين .

وكما يحدث كل عام في هذا الاجتماع بدأت المشادات بينه وبين توأمه وشقيقه الأصغر حول اختيار المكان الذي يقضون فيه الاجازة .

فهو كالعادة يرغب في الذهاب إلى القرية التي يسكن فيها عمه لقضاء الاجازة بين أشجار وزهور الريف الجميلة وشمسه الدافئة، وشقيقته التوأم ترغب في السفر لإحدى المدن السياحية للاستمتاع بالبحر والرحلات الجبلية والسهرات البدوية، بينما يرغب شقيقه الأصغر في البقاء بمنزلهم في القاهرة حيث يقضي نهار يومه في اللعب مع أصدقائه ويسهر ليلًا لاستكمال اللعب على الإنترنت .

وكعادة والديه تركوهم يحددون بأنفسهم برنامج قضاء إجازتهم واكتفيا بمتابعة نقاشاتهم وهذا الشد والجذب بين ثلاثتهم والذي استطاع هو كعادته الانتصار فيه وإقناع توأمه وشقيقه الأصغر برأيه، ووعدهما بأن يُوفّر لهما في القرية الكثير من الألعاب الجميلة والمُسلية، ووعد شقيقته برحلات صيد ممتعة في البحر الذي يمر في إحدى القرى المجاورة لقريتهم، كما وعد شقيقه بأن يُعلّمه في هذه الاجازة ركوب الخيل .

وفي صباح اليوم التالي كانوا يضعون حقائبهم ومتعلقاتهم داخل سيارة والدهم الذي جلست والدتهم بجواره ثم دلفوا إلى السيارة لينطلق بعدها والدهم في طريقهم إلى القرية لقضاء أسبوعي الاجازة هناك .

وطوال الطريق لم يتوقفوا عن الغناء والمرح ومشاكساتهم لبعضهم تارة ولوالديهم تارة أخرى .

وعقب وصولهم وقبل أن يستريح من تعب السفر انطلق إلى قبر جدته ليُسلّم عليها ويجلس بجوار قبرها يروي لها أبرز الأحداث التي مرّ بها خلال العام المُنقضي، ثم يُخبرها بأنها قد وحشته كثيرًا ويشتاق كثيرا لجلساته معها التي كانت تروي له فيها عن ماضيها مع أبيه وأخوته وعن جدّه وكيف كان طيب القلب عطوفًا رغم ما كان يبدو عليه من الشدة والصرامة، وكذلك حكاياتها له عن عروس البحر والندّاهة وغيرها من أساطير الزمن القديم .

ومع بداية اليوم الثاني لهم في القرية كان وفيًا بوعوده مع أخوته وبدأ بالشقيق الأصغر فأجلسه على الحصان الذي يمتلكه عمّه وبدأ يسير به داخل الحقل الذي كان خاليًا من الزرع في هذا التوقيت من العام، واستمر على ذلك أربعة أيام استطاع بعدها الصغير أن يسير بالحصان أمامه لبعض الأمتار بدون أن يُمسك به وسط صيحات تشجيع منه للصغير تُقابلها صيحات ظفر يُطلقها الصغير مع خطوات الحصان وهو يمتطيه بمفرده .

وقبل أن يتملّك الملل شقيقته كان يأخذها في رحلة صيد في القرية المجاورة قضوا فيها ساعات النهار كلها بين الصيد وأكل الفواكه من بعض الأشجار وقضاء فترة الظهيرة تحت ظل أحد الأشجار الضخمة للاحتماء

من الشمس الملتهبة والتي كانا خلالها يتذكران بعض الأحداث التي مرّت بهما في صغرهما عندما كانا يعيشان مع والديهما هنا في الريف قبل الانتقال إلى المدينة .

وشهد هذا الحديث أيضًا اختلافهما فهي كانت سعيدة بانتقالهم للعيش في القاهرة حيث الحياة السريعة والرحلات وصيحات الموضة وكذلك الجامعة وأصدقائها وحفلاتهم، كانت تحب هذا النوع من الحياة، وكان هو على العكس منها تمامًا يعشق الهدوء والقراءة ويميل إلى الابتعاد قليلًا عن الازدحام الفجّ الموجود في القاهرة، لذلك فهو يُحب دائماً أن يأتي إلى قريتهم للاستمتاع بالهدوء وجمال الطبيعة بعيدًا عن العالم الافتراضي الذي أغرق سكان القاهرة داخله بسبب ثورة التكنولوجيا التي اجتاحت العالم كله .

كان يشرح لها أسباب حُبه للريف ولقريتهم وهي تستمع إليه مُبتسمة ثم غمزت له بإحدى عينيها وهي تنظر إليه في مكر وتسأله إذا كان هناك أسباب أخرى تجعله يُحب الريف والقرية غير الهدوء وجمال الطبيعة، فابتسم في خجل وهو يُغطي عينيه بكفه فقد كان يعرف ما ترمي إليه بسؤالها هذا .

فهي تعرف أنه قد عاش قصة حبه الأولى داخل هذه القرية مع إحدى الفتيات التي بحُكم عادات الريف تزوجت من غيره وهي في سن صغيرة، لتنتهي قصة حُبه التي لم تستمر سوى لاجازتين من اجازات الدراسة الصيفية .

-" إحنا خلاص هنتحرك .. برضه مش هتيجي معانا "

ألقت عليه شقيقته سؤالها وهي شبه متأكدة من إجابته فاستفاق من ذكرياته ورفع إليها عينيه مُشيرًا لها برأسه بعلامة الرفض، فربتت على كتفه في عطف وهي تحاول أن تبتسم له ثم غادرت غرفته بعد أن طلبت منه أن ينتبه لنفسه ويعتني بروحه خلال فترة غيابها مع والديها .

وعندما ركبت السيارة خلف والديها وبدأوا في الابتعاد عن المنزل كان هو يقف في شرفة غرفته يُتابعهم بنظره وهم يتجهون لحضور إحدى المناسبات في القرية بعد عامين من آخر مرة زار فيها القرية عندما ذهبوا لقضاء إجازتهم الصيفية فيها بعد أن استطاع إقناعهم بذلك .

وتذكر اليوم الذي ذهب فيه مع شقيقته في رحلة صيد كما وعدها، فاستغل شقيقه الأصغر غيابهما وانشغال والديه في مجالسة أقاربهم وذهب إلى الحظيرة وحلّ وثاق الحصان وارتقى فوقه ظنًا منه بأنه قادر على السيطرة عليه وحده .

وبعد أن سار به الحصان بعض الوقت وشعر بضعف من فوقه انطلق به مُسرعًا حتى سقط من على ظهره فوق مجموعة من الصخور التي تسببت في اندفاع الدماء من رأسه بغزارة .

وعندما انتبه والداه لغيابه وبدأوا في البحث عنه ووصلوا إليه كانت الدماء التي سالت منه كافية لأن تصعد روحه الطاهرة إلى خالقها فلم تفلح حينها محاولات أطباء القرية في إنقاذه .

ومنذ ذلك الحين وحتى الآن وهو لا يستطيع أن يُسامح نفسه ويرى أنه كان السبب مرتين في وفاة شقيقه، مرة عندما استغل حبهما له وأقنعهما

بالسفر إلى القرية لقضاء اجازتهم فيها رغم أن شقيقه كان يرغب في أن يظلّوا في القاهرة ولو أنه استجاب لرغبته لما حدث له ما كان .

والمرة الأخرى عندما قام بتعليمه ركوب الخيل ولم ينتبه إلى أن ذلك قد يدفع شقيقه للخروج بالحصان وحده ظنًا منه بقدرته على ذلك .

وخلال عامين بعد الحادث حاولت شقيقته مع والديهما إقناعه بأنه ليس له ذنب في وفاة شقيقه وإنّما هو أجله الذي قدّره الله له ولكنهم فشلوا في ذلك، فقد كان يُحب شقيقه جدًا للحد الذي كان يراه فيه أنه ابنه على الرغم من أن الفارق في العمر بينهما لم يكن كبيرًا لهذه الدرجة .

ومن بعد وفاته أقسم ألّا يذهب إلى هذه القرية مرة أخرى بعد أن فقد شقيقه فيها .

وبعد أن غابت السيارة عن نظره أغلق زجاج الشرفة ثم التفت إلى صورة ضاحكة لشقيقه مُعلّقة فوق جدار غرفته وظل يبكي في صمت لدقائق كثيرة ثم خرجت كلماته مُرتعشة من بين شفتيه وهو يقول له :

-" وحشتني أوي .. نفسي أجيلك "

٢٤- الصبر

ضحكت كثيرًا وهي تستمع إلى تلك النكات التي يحكيها لها بطريقته الكوميدية وهما يقفان فوق ذلك الكوبري يتناولان أحد المشروبات الساخنة وينظران إلى النيل أسفلهما، وبعد أن انتهيا من المشروب همّت بإلقاء الكوب الفارغ في مياه النيل إلّا أنها تنبهت لوجوده وهذا الأمر يُغضبه بشدة فأعطته الكوب ليضعه مع كوبه داخل تلك السلة المخصصة لهذا الغرض ثم يلتفت إليها ويقول

-" عارفة بقى .. أنا أمي عليها شوية حمص شام إنّما إيه .. حاجة كده إلتهابات، لمّا هتدوقيه مش هتعرفي تشربيه بره تاني، وبعد ما نتجوز هتروحيلها كل يوم تقوليلها يا حماتي اعمليلي حمص شام، أو زي ما بيسمّوه حلبسة "

استدارت لتستند بظهرها على سور الكوبري ونظرت إليه وهي تقول بابتسامة

" يا أخويا بس نتجوز ومش عاوزة حمص الشام خالص "

ثم أمسكت ياقة قميصه تُداعبه وهي تقول

-" علشان أنا اللي دماغي بقت حلبسة خالص، ٣ سنين يا ربي ومش عارفين نتجوز "

ربت بحنان على كفها الممسك بياقته وهو يحاول أن يبُث داخلها بعض الأمل ويقول

-" إن شاء الله يا حبيبتي هانت .. بكره ربنا يقدرني وأعمل المعرض اللي بحلم بيه وأعرض فيه كل لوحاتي، ونتجوز وكمان نبقى مش عارفين نودّي الفلوس فين من كُترها "

زفرت وهي تُفلت قميصه من يدها وتضعها على رأسها وتنظر إلى أعلى وتقول

-" إمتى بس، يا حبيبي انت بقالك سنتين بتسعى في موضوع المعرض ده ومفيش نتيجة، ورافض تقطع الاجازة وترجع شغلك "

نظر إلى النيل طويلًا ثم التفت إليها قائلًا

-" أرجع شغلي ! عاوزاني أرجع تاني موظف بيروح الصبح يقعد على مكتب ومش عارف هيعمل إيه، وآخر الشهر أقبض مرتب مش عارف على إيه، لا اللي أنا بعملِه طول الشهر ينفع يتقال عليه شغل بجد، ولا اللي بقبضه آخر الشهر ينفع يتقال عليه مرتب بجد .. يعني حتى لو رجعت للوظيفة مش هنعرف نتجوز "

قالت له في حماس محاولةً إقناعه

-" لأ هينفع صدقني .. إرجع وظيفتك وشوف شغلانة بعد الضهر وربنا هيعينّا وندبّر أمورنا ونتجوز بقى "

أجابها في استنكار

-" شغل بعد الضهر كمان، والمعرض ؟ ولوحاتي وفنّي ؟ حلمي اللي نفسي فيه من صغري، أكون فنان مشهور وأرسم لوحات تلف العالم، حلمي اللي انت عارفاه من أول يوم اتقابلنا فيه، واللي دعمك ليه كان من أسباب حبي ليكي، إنك مؤمنة بأفكاري "

نظرت إليه في ضعف وهي تقول

-" أنا عمري ما شكّيت في عظمة فنّك ومؤمنة فعلاً بأفكارك، بس فنّك ده ما بينجحش هنا "

انفعل وعلا صوته وهو يُشيح بيده قائلًا

-" مش ذنبي إن الفن الحقيقي مبينجحش هنا، مش أنا السبب إن الإسفاف والابتذال بس همّ اللي ليهم سوق وليهم كل الدعم، أنا مش غلطان علشان مبعملش فن أقلع فيه هدومي وأشتم وأسوّق لأفكار أقل ما تُوصف بيه إنها قذرة، ومش جريمتي إني مُصرّ أقدم الفن بالطريقة اللي المفروض يتقدم بيها، فن يهذب سلوكيات الناس ويبرز الحلو اللي جوّاهم، أنا برسم لوحات هتعيش لسنين كتيرة "

ابتسمت في مرارة وهي تقول

-" تهذب سلوكيات الناس! هتهذب سلوكيات الناس باللوحات اللي بترسمها وفي ١٠٠ فيلم ومسلسل بيدمروا سلوكياتهم ويطلّعوا كل الشر اللي جواهم، يا راجل ده حتى الأغاني بقت كلها جنس ومخدرات وقرف "

صمت للحظات ينظر إلى النيل ثم قال

-" مش مهم .. المهم إني بعمل الصح واللي أنا مؤمن بيه "

سألته في رجاء

-" طيب وأنا .. أنا فين من اللي انت بتعمله ؟ "

نظر لها في حنان وقال

-" انت حبيبتي .. صدقيني أنا بحبك وانت عارفة كده كويس، واللي أنا بعمله ده علشاننا وعلشان ولادنا، نفسي أنجح علشان تفتخري بيا، ولمّا نخلف عيالنا ما يتكسفوش يقولوا أبوهم مين .. شوية صبر وأحلامنا هتتحقق يا حبيبتي أنا واثق من ده "

تنهدت وهي تنظر إلى السماء في مكابرة مرهقة ضد البكاء ثم قالت

-" عيالنا .. وإمتى هييجوا عيالنا .. كلها شهور ونتم التلاتين ومش عارفين نتجوز، البنات اللي في سني دلوقتي بيقدموا لولادهم في المدرسة، أنا تعبت .. ونفسي أنا كمان أسمع كلمة ماما بقى "

حاول تهدئتها وهو يقول

-" بإذن الله يا حبيبتي .. زي ما قولتلك شوية صبر "

لم تستطع الصمود أمام دموعها أكثر من ذلك فاستسلمت لها وتركتها تنسال في هدوء على خديها ثم نظرت إليه وقالت

-" بس أنا مش قادرة أصبر "

ثم خلعت دبلته من إصبعها ووضعتها أمامه على سور الكوبري وانصرفت .

-" الإعلان مكتوب فيه إن عدد اللوحات اللي هتتعرض النهارده خمسين لوحة، وأنا عديتهم لقيتهم ٤٩ بس "

انتبه من ذكرياته على صوت حبيبته وهي تقول هذه العبارة فالتفت إليها متعجبًا من حضورها لمعرض لوحاته الثاني هذا العام .

كانت المرة الأولى التي يراها فيها منذ خمس سنوات حين خلعت دبلته وفارقته، وأضافت بفراقها ألمًا جديدًا إلى بقية آلامه التي يعانيها، وبعدها بعام استطاع أن يعرض أُولى لوحاته في معرض صغير للمبتدئين وفازت لوحته بالمركز الأول، وتوالت مشاركاته في محافل فنية ببعض الدول الغربية عن طريق إرسال اللوحات بالبريد حتى ذاع صيته وتحقق له ما كان يتمنى، وأصبح من أشهر الرسامين وله جمهور يتوافد من عدة دول لحضور المعرض الذي يُقيمه مرتين كل عام .

نظر إليها وقد انطفأت كثيرًا ملامحها فابتسم لها مُعبرًا عن سعادته لرؤيتها، ثم استجاب لها عندما طلبت منه أن يرافقها جولتها داخل المعرض، وخلال سيرهما أخبرته بأنها تزوجت وأنجبت طفلين ولكنها انفصلت عن زوجها منذ عام ونصف، ولم يكن من الصعب عليه أن يستقبل إشارتها بين كلماتها بأنها مازالت تُحبه وترغب في العودة إليه دون أن يظهر عليه شيء، وعندما انتهت جولتهما ووقفا يستكملان حديثهما لم يكن لديها قدرة على تحمل طريقته شبه الرسمية التي يتعامل بها معها فنظرت إليه قائلة :

-" **باين عليك خلاص نسيت .. ألف مبروك على المعرض** "

ثم انصرفت وظلّ هو يتابعها ببصره حتى اختفت، فتحرك في هدوء إلى مكتبه داخل المعرض ودخل إليه وأغلق الباب ثم نظر إلى تلك اللوحة رقم خمسين التي رسمها لها وقال مخاطبًا إياها في الصورة

-" **أنا لسه زي ما أنا .. بحبك، وانت لسه زي ما انت .. ما بتصبريش** "

٢٥- الـفـن فـي بـلادنـا

انتهى عرض الفيلم وأضاءت قاعة السينما الموجودة في أحد المراكز التجارية الكبيرة، فنهضت هي وابنتها وهبطا إلى أحد طوابق المركز التجاري وتحديدًا إلى ذلك المكان صاحب العلامة التجارية العالمية الشهيرة، والذي اعتادا أن يتناولا فيه القهوة سويًا من حين لآخر.

كانت في قمة سعادتها فبالأمس تخرجت ابنتها من الجامعة وتحديدًا كلية الطب، وأصبحت هي بشكل رسمي تحمل لقب (أم الدكتورة) لذلك قررت أن يكون اليوم كله لابنتها وحدها دون باقي أخوتها، خاصةً أنهم احتفلوا بها جميعًا بالأمس في المنزل .

وبعد أن جلسا في انتظار القهوة استأذنتها ابنتها في إجراء مكالمة هاتفية لخطيبها فابتسمت ورسمت بيديها قلبًا في الهواء في إشارة منها لابنتها بالموافقة وطلبت منها أن تبلغه سلامها، وعندما قامت ابنتها من مكانها تابعتها ببصرها للحظات ثم أغمضت عينيها وعادت بها ذكرياتها إلى ما يقرب من خمسة وعشرين عامًا، عندما كانت في مثل عمر ابنتها تقريبًا، كانت حينها فتاة يافعة رزقها الله الكثير من الجمال وأحاطه بسوار من الخُلق الحسن، وعلى الرغم من أنها كانت طالبة متوسطة المستوى من الناحية الدراسية إلّا أن ذلك كان بسبب شغفها بالفن وحلمها أن تكون ممثلة، لذلك كان مسرح الجامعة هو أول مكان بحثت عنه عندما التحقت بكلية التجارة، ومما أكد على موهبتها كان نجاحها طوال سنوات الكلية في الحصول على جائزة أفضل ممثلة على مستوى الجامعة .

وبعد انتهاء دراستها الجامعية وعلى الرغم من معارضة أسرتها إلّا أنها كانت تُصر على العمل في مجال الفن مؤكدة لهم أنها ستكون ممثلة ناجحة ونجمة مشهورة بسبب موهبتها الكبيرة خاصةً وهي ترى ضعف قدرات ومواهب من يتصدرون الأعمال الفنية تحت مُسمى النجوم والأبطال .

وبدأت بعد آخر أيام امتحاناتها على الفور في السعي نحو حلمها وراحت تبحث عن شركات الإنتاج الفني وتحاول التواصل معهم لمقابلة المسئولين فيها لتعرض عليهم موهبتها في التمثيل، وأثناء هذا السعي كانت تحمل بداخلها الكثير من الأمنيات والأحلام لما بعد دخولها هذا الوسط الفني الذي تعشقه لما تراه فيه من رُقي وأناقة ومودة بين الفنانين وبعضهم خلال لقاءاتهم الإعلامية، وكذلك ما يُعرض عن هؤلاء النجوم من مواقفهم الإنسانية على الشاشات، ولكنها وبعد عامين من السعي لدخول هذا الوسط تغيرت نظرتها تمامًا وتحطمت تلك الصورة الملائكية التي رسمتها لهؤلاء النجوم .

فعلى الرغم من موهبتها الكبيرة في التمثيل إلّا أنها وجدت أرباب هذه المهنة قد وضعوا معايير مختلفة غير مهارة التمثيل لاختيار المواهب الشابة وخاصة النساء منها .

فها هي تؤدي أحد المشاهد أمام واحد من أشهر المنتجين الفنيين والمعروف إعلاميًا براعي المواهب الشابة، وبعد انتهائها من الاختبار يصفق لها في حرارة مُعلنًا لها بأنها ممثلة موهوبة بحق وسيكون لها مستقبل فني رائع، ولكنه يطلب منها أن توقع له على عقد يجعله هو صاحب القرار في مشوارها الفني الذي لم يبدأ، ويُلزمها في أحد بنود العقد أن تدفع له رقمًا

فلكيًا من المال إذا خالفت العقد أو قامت مستقبلًا بالتعاون مع منتج غيره.

وها هو المخرج الكبير والذي يتباهى دومًا بصناعته لنجوم الفن يُثني على أدائها في أحد الاختبارات التي أجراها لها، ويُخبرها بأنها ستكون ضمن فريق عمل مسلسله القادم، ولكنه يطلب منها أن تخلع الحجاب الذي ترتديه لأن العمل في مجال التمثيل يحتاج أن تُظهر جزءا من جسدها أمام الكاميرات تحت مُسمى الواقعية في الأداء كما يحتاج أيضًا أن تُظهر جزءا أكبر من جسدها أمام المخرج وحده تحت مُسمى الثمن .

مرّ عامان عليها وهي على هذا الحال تتنقل بين القائمين على مجال الفن والمسيطرين عليه، وفي كل مرة تلتقي أحدهم تتلقى صفعة تهدم جانبًا من ذلك الصنم الذي شيدته في خيالها لهذه المهنة والتي كانت تنعتها بالمهنة التي تُربي الأجيال وترتقي بأخلاقهم .

وبعد أن تملّكها اليأس واكتشفت حقيقة هذا الوسط والتي تختلف تمامًا عمّا يُظهره أهله أمام الأضواء، أعلنت براءتها من كل أحلامها في أن تكون ممثلة، واكتفت أن تكون واحدة من الملايين الذين يكتفون بمشاهدة الأعمال الفنية وتُبهرهم أحاديث الفنانين عن حُبهم للجمهور واهتمامهم بتقديم الأعمال الراقية لهم، ولكنها كانت تختلف عن هذه الملايين بأنها اكتشفت حقيقة هؤلاء النجوم والذين لا يختلفون كثيرًا في الواقع عمّن يروّجون المخدرات في عبوات الدواء .

تذكرت كل هذا وتذكرت أيضًا شقيقها وما صار معه، فقد كان شاعرًا يُجيد كتابة القصائد ولقد كان يمتلك مئات القصائد الجميلة حصيلة كتابته

على مدار سنوات وقد سبقها في المحاولة حيث أنه لم يترك أحدًا يمكن أن يساعده في خروج أشعاره إلى الناس إلّا وذهب إليه ولكن كل محاولاته باءت بالفشل مع اختلاف الأسباب، فهذا يخبره بأن كلمات قصائده ذات معانٍ عميقة ومُعقدة ولا تصلح لهذه الأيام التي لا يرغب الناس فيها لسماع وقراءة مثل قصائده، وهذا يطلب منه تعديل بعض الأبيات في قصائده حتى تتماشى مع ما يسمونه بالذوق العام للجمهور، وآخر يطلبها منه صراحة بأن يترك تلك القصائد ويستغل موهبته في كتابة أغاني خفيفة في معانيها قبل كلماتها ليستطيع أن يتعاون معه، وغيرهم الكثير ممن أفسدوا عقول الناس وأذواقهم تحت مسمى الفن الحديث .

ثم جاء هذا اليوم عندما شاءت الظروف أن يلتقي شقيقها مصادفة بواحد من أكبر الشعراء والذي كان شقيقها يعتبره مثله الأعلى في كتابة الشعر، واستغل شقيقها هذه الفرصة وتحدث إليه وأخبره بأنه يكتب شعرًا ويريد مساعدته وعرض عليه بعض كتاباته والتي جذبت انتباه الشاعر الكبير فحدد له موعدًا وطلب منه أن يزوره في مكتبه .

ومازالت تذكر الفرحة التي كان عليها شقيقها حين عاد إلى المنزل وأخبرهم بما حدث وأنّه بعد أيام سيذهب للقاء الشاعر الكبير في مكتبه ويضع قدمه على أولى درجات سُلم النجاح والشهرة .

وخلال هذه الأيام كان شقيقها يعرض عليها ملابس مختلفة لتساعده في اختيار أفضلها ليرتديها عندما يحين اللقاء .

كانت أيام توقف فيها شقيقها عن الشعور بأي شيء أو التفكير في أي شيء سوى لقائه المنتظر مع شاعره المفضل وقدوته الفنية والذي تربّى على أشعاره وقصائده وكان سببًا رئيسيًا في حبه للشعر.

وحان يوم اللقاء، وفي ذلك اليوم نهض شقيقها مبكرًا أو إذا شئت قل بأنه لم يتذوق طعم النوم في هذه الليلة ثم ارتدى ثيابه وهو يؤكد معها على أناقته ويردد جزءا من إحدى القصائد المشهورة للشاعر الكبير ثم غادر المنزل بعد أن طلب من والدته وشقيقته أن يدعوَا له بالتوفيق.

ومرّت ساعات وهم يتلهفون لعودته ومعرفة ماذا حدث في هذا اللقاء، ولكن شقيقها تأخر كثيرًا ولم يعد، وعند منتصف الليل وعندما شعروا بالقلق قام والده ليرتدي ثيابه ويخرج للبحث عنه فإذا به يفتح باب المنزل ويدخل وهو يحمل كل حزن الدنيا في عينيه، وعندما حاولوا أن يسألوه عن سبب تأخره وماذا حدث توسل إليهم أن يتركوه يدخل إلى غرفته لينام وفي الصباح سوف يُخبرهم بكل شيء.

الحالة التي كان عليها وطريقته في الحديث معهم أنبأتهم بأن أفضل ما يفعلونه هو أن يستجيبوا لطلبه، وبالفعل تركوه لينام بعد أن عرضت عليه شقيقته أن تقوم بإعداد الطعام له ولكنه رفض.

وفي الصباح كانوا جميعًا يترقبون خروجه من غرفته، وعندما استيقظ وخرج إليهم لم يكن يبدو عليه أنه أغمض عيونه ولو للحظات.

وعندما جلس يتناول القهوة كعادته عند استيقاظه دخلت شقيقته لتعيد ترتيب غرفته كما تفعل كل صباح، ولكنها فوجئت به وقد مزّق كل أشعاره وكتاباته عن آخرها فخرجت إليه مُسرعة وجلست أمامه باكية

تسأله عن السبب الذي دفعه للقيام بذلك، حينها نظر إليهم جميعًا وأخبرهم بما صار معه بالأمس .

فبعد أن ذهب إلى مكتب الشاعر الكبير وجلس معه وعرض عليه مجموعة أخرى من أشعاره ورأى الإعجاب في عينيه غمرته الفرحة وهو يظن أن الشاعر الكبير سيساعده في ظهور قصائده للناس والأضواء ويتحقق حلمه، فإذا بالشاعر الكبير يطلب منه أن يبيعه كل أشعاره وكتاباته ليضع عليها اسمه هو وتخرج للناس كواحدة من سلسلة إبداعات الشاعر الكبير وذلك مقابل مبلغ كبير من المال .

كانت تتذكر هذه الأحداث وكأنها حدثت منذ دقائق وتذكرت أيضًا حالة شقيقها بعدها بعد أن مرّت شهور على هذا اللقاء حين فاجأهم بأنه قرر الهجرة إلى الخارج لأنه لم يعد يرغب في البقاء هنا، ورغم كل محاولاتهم لإثنائه عن قراره إلّا أنه أصرّ على الهجرة وبالفعل هاجر وتركهم، وأصبحوا لا يرونه إلّا شهرًا واحدًا كل عدة سنوات .

قطع عليها استرسالها في ذكرياتها عودة ابنتها لتخبرها بأنها أنهت حديثها الهاتفي مع خطيبها وتُبلغها سلامه، ثم جلست ليتناولا القهوة وسألتها عن رأيها في الفيلم الذي شاهدوه اليوم فجاوبتها بأن الفيلم مثل باقي أفلام هذه الفترة، لا يُقدم جديدا سواء على مستوى الأفكار أو الأداء، ولكن ابنتها ردت عليها لتخبرها أن مخرج هذا الفيلم من أكثر المخرجين المفضلين لديها، وذلك ليس فقط لإبداعه الفني وإخراجه المتميز ولكن لأنه في كل حواراته ولقاءاته الإعلامية يُعلن اهتمامه ودعمه الدائم للمواهب الشابة من أجل إيجاد أجيال متتالية من الممثلين المتميزين .

وهنا لم تستطع هي كتمان تلك الضحكة الساخرة التي انطلقت منها بطريقة تعجبت منها ابنتها فنظرت إليها متسائلة عن سبب هذه الضحكة التي لم تتعود عليها منها، فأخبرتها والابتسامة الساخرة مازالت تعلو شفتيها بأنها تعرف هذا المخرج وتقابلت معه في أحد الأيام وتأكدت خلال لقائها معه أنه بالفعل يدعم الشباب الموهوب ويهتم بهم لدرجة أنه يُحب كلمة (موهبة) لمجرد أنها مؤنثة .

٢٦- الـوريــث

وصل إلى الإسكندرية مساء هذا اليوم، وتحديدًا ذلك الفندق الشهير الذي اعتاد أن يقضي فيه اجازته السنوية من عمله والتي تبدأ من هذا المساء وتمتد لخمسة عشر يومًا .

وفي صباح اليوم التالي وبعد أن تناول الإفطار وطالع بعض الأخبار، استبدل ثيابه وتوجه إلى شاطئ البحر الخاص بذلك الفندق وقضى ما يقرب من الساعتين يستمتع داخل مياه البحر الصافية .

ثم خرج واستلقى فوق أحد الأسرّة الشاطئية وقد أسدل قبعته فوق وجهه ليحميه من أشعة الشمس ويترك لها باقي جسده لتغمره بدفئها.

ولقد استرخى في وضعه هذا تمامًا حتى ذهب في غفوة من النوم لم يفق منها إلّا على صيحة إحدى السيدات وهي تصرخ مشيرة بيدها إلى البحر فانتفض مُسرعًا ينظر إلى حيث تشير يدها فوجد فتاة تصارع الغرق بعد أن أخذها الموج إلى ما بعد العُمق المسموح به .

وقبل أن يتخذ أمن الشاطئ أي ردة فعل كان قد اقتحم مياه البحر وشق طريقه إلى الفتاة التي تغرق ليصل إليها في سرعة خرافية ثم يحملها بين يديه ويخرج بها إلى الشاطئ وقد غابت عن وعيها،

وفي مهارة فائقة بدأ يقوم بإسعافها بعد أن أرقدها فوق رمال الشاطئ .

وبعد دقيقتين سعلت لأول مرة ثم خرج بعض الماء من فمها فأطلق هو تنهيدة طويلة أفرغ فيها كل انفعاله ثم جلس بجوارها يفتح عينيها بيده في

رفق شديد ويضرب خديها بأطراف أصابعه، ولم يزل على هذا الحال حتى استفاقت ثم نظرت إليه وإلى الناس حولها وهي لم تدرك بعد ماذا حدث .

فابتسم لها ثم نظر إلى الواقفين وطلب منهم في أدب شديد أن ينفضوا من حولهما بعد أن طمأنهم أن الأمر قد انتهى وأنها أصبحت بخير.

وبعد أن استعادت كامل وعيها ساعدها على النهوض ثم دعاها لتناول كوب من الليمون معه داخل استراحة المشروبات على الشاطئ لتهدئة أعصابها.

وبعد أن جلسا وتبادلا الأسماء سألها قائلًا :

هو: وانت ليه دخلتي كل ده في البحر

هي: أنا مكانش قصدي، أنا كنت بعوم وما أخدتش بالي إني عديت الحاجز وفجأة رجلي نزلت في مكان فاضي فمعرفتش ألحق نفسي

هو: الحمدلله جات سليمة، تلاقي البحر كان زعلان منك فقال يعاكسك شوية

هي: يزعل مني أنا ! مستحيل، ده أنا والبحر عشرة عمر وحبايب من سنين طويلة

هو: عشرة عمر ويعمل فيكي كده، أومال لو لسه متعرف عليكي من ساعة كان عمل إيه ؟!

هي مبتسمة: كان هيعزمني على لمون

هو بعد ضحكة عالية: وانت قاعدة في الفندق كام يوم؟ علشان نرتب المواعيد اللي هتغرقي فيها علشان أعمل حسابي

هي ضاحكة: لا متخافش، أنا مش نازلة في الفندق لأني أنا من إسكندرية، أنا بآجي أنزل البحر هنا علشان أهرب من زحمة الشواطئ العامة والفوضى اللي فيها

هو مندهشاً: من إسكندرية وتغرقي كده، عيب في حقك على فكرة

هي مبتسمة: باب النجار مخلّع

هو: قصدك باب النجار بيتدلّع

هي متعجبة: إيه ؟!

هو بسرعة: بقوللك يارب اللي يزعللك يولّع

كررت له شكرها على إنقاذه لحياتها وقبل أن تغادر الفندق تبادل معها رقم الهاتف، ثم وجهت له الدعوة لتناول القهوة في منزلها مع أسرتها لشُكره على شهامته فوعدها بتلبية الدعوة .

ظل يُتابعها بعينيه وهي تبتعد في خطوات رشيقة حتى اختفت من أمام نظره فعاد يستلقي على رمال الشاطئ وينظر مبتسمًا إلى البحر الممتد إلى آخر بصره وقد ارتسمت ابتسامتها فوق سطحه أمام عينيه وملامح وجهها البريء ترفض أن تُفارق ذهنه .

وفي المساء أمسك هاتفه واتصل بها مُتعللًا بالاطمئنان عليها، ولكنه من داخله كان يعلم أن السبب الحقيقي وراء اتصاله بها هو أنه طُوال اليوم لم يتوقف عن التفكير فيها ويرغب في سماع صوتها .

ولعدة أيام متتالية كان يُبدع في اختيار الأسباب للاتصال بها والحديث معها والتعرف عليها وهو لا يستطيع تحديد طبيعة ما بداخله نحوها بدقة

إلّا أنه كان يجد نفسه في شوق دائم للحديث معها ويشعر بسعادة تنتابه لمجرد سماع صوتها .

وفي إحدى المحادثات بينهما تعمّد بطريقة غير مباشرة أن يُذكّرها بدعوة القهوة التي وجهتها له في أول يوم التقاها، وبالفعل وصل إلى مُبتغاه وقامت بتكرار الدعوة له للحضور إلى منزلها فوافق على الفور .

وفي المساء كان يجلس داخل منزلها معها هي ووالداها وشقيقتها الكبرى وزوجها .

وقد وجه له الجميع الشكر على إنقاذه لحياتها من الغرق، وبعدها أخبرهم أنه واحد من الفريق الذي سيُمثل مصر في بطولة دول البحر المتوسط للسباحة والتي ستُقام بعد عام ونصف في إيطاليا .

وبعد انقضاء السهرة شكرهم على حُسن الضيافة وأعرب لهم عن سعادته بمعرفتهم ثم استأذنهم للانصراف .

وبعدها دخلت هي غرفتها وقد تملّكها الإعجاب بشخصيته اللبقة وكذلك مهاراته التي يمتلكها بخلاف مهنته كطبيب فقد كان رياضيًا، مثقفًا، وشاعرًا، كان به اختلاف واضح عن الكثير من أبناء جيله .

وفي آخر أيام إجازته طلب منها أن يلتقيا قبل أن يعود إلى القاهرة، وخلال لقائهما فوجئت به يُصارحها بأنه يشعر نحوها بإعجاب وعاطفة لم يسبق له وأن شعر بهما تجاه امرأة قبل ذلك وأنه يطلب الزواج منها .

وقبل أن تُجاوبه طلب منها أن تأخذ بعض الوقت لتفكر في الأمر جيدًا وأنه سينتظر اتصالها لتخبره بقرارها، ثم ودّعها وانصرف تاركًا لها هذا الانفعال الذي ظهر بشكل مضحك على ملامح وجهها وهي تتلفت

حولها دون هدف محدد ثم تبتسم وهي تضم عنقها بين كتفيها ثم تنصرف في هدوء .

مضى أسبوع بعد عودته للقاهرة لم يقم فيه بالاتصال بها ولكن كان يرسل لها كل يوم رسالة يُعبّر لها فيها عن رغبته في استكمال حياته معها ولم تخلُ رسائله من بعض أشعاره التي كانت كلماتها تمس قلبها وتُذيب مشاعرها مثل تلك التي قال فيها وهو يصفها :

ذات الثوب الأحمر ذات الشعر الأشقر
ذات الطلّة الملكية ذات الحركة العفوية
من تأسر بعيونها وحديث مثل السكر
الدافئة .. الناعمة .. الغضة البيضاء
الهادئة .. الهامسة .. هدية السماء
رشيقة القوام وحنونة الخطوات
ع الأرض وكأنها تخشى على الحصوات
من فاز منها بنظرة أضحى من السعداء

وفي اليوم الثامن كانت تتصل به وتخبره بموافقتها على الزواج منه، وفي خلال أقل من عام تزوجا، وحينها احتوى غضبها بمهارته حيث كانت ترغب في أن تقضي أول أيام زواجهما خارج مصر ولكنه أصر على أن يبدآ حياتهما بعد الزواج في نفس الفندق الذي شهد أول لقاء بينهما .

ولقد زال غضبها سريعًا بفضل ما وجدته فيه من حنان وحب صادق لها، كما أنه وعدها بتحقيق رغبتها في قضاء أيام أخرى في إحدى الدول المشهورة سياحيًا .

وأثناء سيرهما على شاطئ البحر داخل الفندق في أحد الأيام داعبها وهو يُشير إلى البحر ويُذكّرها بهذا اليوم الذي كادت أن تغرق فيه مُدعيًا أنها لا تُجيد السباحة .

ولقد أثارت كلماته هرمونات العِند داخلها فتركت يده واتجهت إلى البحر وهي تصيح بأنها ستذهب الآن إلى نقطة أبعد من السابقة لتُثبت له أنها تُجيد السباحة أفضل منه .

حينها ارتفع صوت ضحكاته وهو يسألها إذا كانت لا تخاف أن تغرق في البحر مرة أخرى، فاستدارت له في دلال ثم أشارت إلى البحر قائلة في ثقة بالغة

-" قبلك كان البحر صديقي، ومعاك البحر بقى مِلكي "

ابتسم لها ثم جلس على ركبتيه يشاهدها وهي تسبح في ثقة واطئمنان لوجوده، وعندما خرجت من الماء وجدته قد رسم اسمها على الرمال ثم كتب تحت اسمها يقول :

إني لأحسد هذا البحر حين أرى
قطرات مائه قد لامست قدماكي
إني لأقسم في كلامي بالذي
خلق الجمال وجعل مقامه عيناكي

فوقفت للحظات تردد كلماته في هيام ثم تعلقت في عنقه فحملها بين يديه ودار بها كثيراً وضحكاتها تتردد في السماء وموجات البحر ترتفع فرحًا بغرامهما .

-" أهلاً بحضرتك يا مدام .. ابن حضرتك مستواه بيزيد يوم عن يوم "

التفتت إلى مدرب السباحة المسئول عن تدريب ابنها في هذا النادي ثم ابتسمت له وتمتمت بكلمات الشكر له بعد أن أعادتها عبارته من ذكرياتها مع زوجها ووالد ابنها الوحيد والذي لم ير والده .

والده الذي تعرفت عليه حين أنقذها من الغرق وعاشت معه أجمل سنة ونصف في عمرها كله حيث استمرت خطوبتهما ما يقرب من عام ثم تزوجا، وبعدها بشهرين كانت قد حملت في ابنها الوحيد والذي مازالت تذكر سعادة زوجها حين سمع الخبر من الطبيب، وكيف أخبرها يومها بأنه يدعو الله أن يكون المولود ذكرًا حتى يقوم برعايته ويُصبح بطلًا في السباحة ويتفوق عليه .

وبعدها بعدة أشهر سافر زوجها إلى إيطاليا للمشاركة في بطولة دول البحر المتوسط للسباحة وحصل على الميدالية الذهبية مع الفريق المصري، وعند عودته إلى القاهرة كان أول ما فعله حين قابلته في المطار أن ألبسها الميدالية الذهبية ووضع يده على بطنها مُحدِّثًا الجنين داخلها ليخبره بأنه يريد منه حين يكبر أن يحصل على الميدالية الذهبية على مستوى العالم كله ليفتخر به أمام الدنيا كلها .

ولكنه للأسف لم يعش طويلًا ليرى ابنه ويُحقق معه حلمه فقد مات بعد عودته بأسابيع قليلة، لتُفاجأ بعدها بأنه ترك لها رسالة يُوضح لها فيها أنه قد اشترك في هذه البطولة رافضًا تعليمات الأطباء بعدم المشاركة لإصابته بمرض في القلب يتطلب منه الراحة وعدم بذل مجهود كبير .

ولكنه لم يستطع أن يتنازل عن تحقيق شيء يجعلها فخورة به ويرى بسببه نظرة الاعتزاز التي كان يراها في عينيها كلما حقق نجاحات كبيرة في بطولات السباحة المحلية .

ثم أوصاها في رسالته بأنه إذا مات ولم يستطع أن يرعى ابنه فعليها أن تفعل هي وتحقق ما كان يتمناه ويصبح ابنهما بطلًا عالميًا في السباحة، ويومها بعد العودة من جنازته وقراءة رسالته وقفت أمام صورته ووضعت يدها على بطنها وهي تتحدث إليه قائلة

-" عهد عليّا يا حبيبي ابنك يبقى زي ما اتمنيت "

ثم دمعت عيناها وهي تهمس له وتقول

-" بس أنا مش هنزل البحر تاني علشان انت مش موجود "

٢٧- القهر

وقف صامتًا على سطح منزله ينظر إليها في ألم وهي تخطو في بطء متأبطة يمين عريسها والموسيقى تصدح من حولهما مُعلنةً بدء حفل زفافها إلى رجل غيره، تلك التي لم ير قلبه فتاةً سواها ولم يخطر بباله في أي لحظة أن تكون لغيره، وتذكر كيف بدأت قصة حبهما منذ الصغر حيث تجاورا ونشآ في نفس الحي، وتشارك والداهما في التجارة لسنوات طويلة، الأمر الذي زاد في توطيد العلاقة بين الأسرتين وجعل الزيارات المنزلية تتبادل بينهما بشكل دائم أتاح لهما اللقاء كثيرًا فنشأ بينهما ذلك التعلق الطفولي والذي سرعان ما مرّت السنوات وتحول مع نضوجهما إلى غرام ربط فؤاديهما ببعض وملأ ذكرياتهما بالكثير من المواقف المؤثرة التي علقت بذهنيهما، مثل ذلك اليوم حين كانا في المرحلة الابتدائية وتشاجر من أجلها مع ولدين سخرا من تعثرها الدائم في نطق حرف الراء، وتلقّى يومها ضربًا كثيرًا ظلّ بسببه طريح الفراش لمدة يومين كانت تزوره خلالهما وتضحك عندما تنظر إلى الإصابات التي بوجهه، الأمر الذي كان يُثير غضبه ويتهمها بأن ما حدث له كان بسببها وأنه أخطأ عندما دافع عنها وكان الأفضل أن يترك الولدين يسخران من اعوجاج لسانها لأنها تستحق ذلك ولا تُقدّر ما فعله لأجلها، كما تذكّر سعادتها البالغة حين أخبرته ذات مرة أنها تسعد كثيرًا حين ترى الصبية يعتلون أسطح المنازل ليلهوا بطائراتهم الورقية ويرسلونها بعيدًا في الهواء، وبعدها بيومين جاءت مع أسرتها لزيارتهم ليفاجئها بأنه قد صنع لها طائرة ورقية كبيرة لتستمتع بإرسالها في

الهواء ولم يكتف بذلك بل إنه صمّم الطائرة باستخدام أوراق مُلونة تراصت على وجه الطائرة لتصنع الحرف الأول من اسمها باللغة الإنجليزية، ثم علت وجهه ابتسامة جافة وهو يتذكر كيف أخبرها لأول مرة أنه يحبها، كان ذلك في السنة الأولى لهما بالجامعة عندما طلبت منه شراء بعض المذكرات من المكتبة حتى لا تتعرض للزحام والمضايقات، ويومها اشترى المذكرات ثم وضع في إحداها ورقة كتب عليها كلمة واحدة وهي

(**بحبك**) ثم أعطاها إياها ليُفاجأ بها في اليوم التالي تأتي إليه والغضب يعلو وجهها وعندما همّ بتفسير ما فعله إذا بها تُقطب بين حاجبيها وتسأله قائلة :

" هو انت أخرس؟ "

فبُهت من المفاجأة واعتلته الدهشة ونظر إليها مستفسرًا فأكملت حديثها

-**" باعتهالي في ورقة، يعني ماعندكش لسان تقولهالي بيه "**

فتلعثم وهو يقول

-**" أنا كنت أقصد يعني ... "**

قاطعته وهي تضرب أحد كفيها بالآخر وتقول

-**" لا حول ولا قوة إلّا بالله، انطق يا ابني .. قُول "**

فارتسم الفرح على قسمات وجهه وهو يسألها

-**" يعني انتِ ...؟ "**

فأومأت له برأسها وهي تصنع بخديها تجاعيد مضحكة وتقول

-" أيوه أنا ... "

فلمعت عيناه وهو يقول

-" أومّال ما قولتيليش ليه؟ "

رفعت حاجبيها في استنكار وهي تصيح

-" أقوللك! إنت كنت عاوزني أنا اللي آجي أقوللك! في إيه يا ابني مالك؟!"

ثم تلاشت ابتسامته وظل الجفاف يسري في كل ملامحه وهو يتذكر كيف نشب الخلاف بين والديهما بسبب التجارة إلى الدرجة التي وصلت بهما إلى التقاضي أمام المحكمة وأسفر هذا الخلاف عن قطيعة كاملة بين الأسرتين، الأمر الذي جعل والده عندما طلب منه الزواج بحبيبته يثور ويصيح في وجهه بغضب شديد باستحالة إتمام هذه الزيجة ورفضه التام أن يضع يده في يد والدها مرة أخرى أو أن يكون بينهما رابط مهما كانت الدوافع، وقد كان هذا هو موقف والدها أيضاً الذي أقسم أن يُزوجها في أقرب فرصة حتى يُنهي هذا الأمر إلى الأبد ويقطع أي أمل لديهما، ولم تمر السنة إلّا وقد أبرّ والدها بقسمه وحدد موعد زواجها من ابن أحد أصدقائه التجار، وحينها اتصلت به وهي تبكي وتُخبره بعجزها عن مُعارضة والدها، وتماسك هو أثناء المكالمة التي لم تستمر طويلًا وفور انتهائها انفجر في بكاء العاجز عن حماية حُبه من الضياع، وعندما عُقد قرانها قبل الزفاف بأسبوع جلس إلى جهاز الحاسب الآلي الخاص به وبدأ في حذف كل صورها التي لديه وهو ينتحب وينعي غرامه المفقود، وقد احتفظ بصورة واحدة لها التقطها وهي تبتسم له ذات مرة وقال مُحدثاً الصورة

-" أنا عارف إنه مش من حقي، بس أعمل إيه، غصب عني بتوحشيني "

ثم نظر إلى والدته التي كانت تجلس إلى جواره وقال لها والدموع تُغرق وجهه

-" خلاص كده يا ماما .. مش هقدر أكلمها تاني ولا أسمع ضحكتها "

فضمته والدته إلى حضنها في شفقة وقبّلت رأسه وهي تقول

-" يا حبيبي كل شيء في الدنيا نصيب .. ادعيلها ربنا يسعدها "

ثم ربتت على ظهره وخرجت من الغرفة وظل هو على حالته يبكي أمام صورتها .

-" مش هتروح الجنازة يا حبيبي .. ده واجب "

انتبه على سؤال والدته الذي انتزعه من ذكرياته التي كان يسترجعها وهو يقف على سطح منزله يتابع الرجال وهم يحملون جثمان حبيبته ويسيرون في طريقهم لدفنها بعد أن توفاها الله بذلك المرض الخبيث الذي احتل جسدها لمدة عامين .

فالتفت إلى والدته في غضب وخرجت كلماته في بطء ومرارة وهو يقول لها

-" واجب .. هو ده المهم عندكم، الواجب إني أروح أواسي الناس اللي حرموني منها زمان، أسلّم على الراجل اللي أقسم بالله إنه يفرّق بيني وبينها "

ثم صمت لثوانٍ محاولًا منع نفسه من الانفعال أمام والدته وهو يقول

-" هو الواجب عندكم إني أروح آخد بخاطر الراجل اللي اتجوزها وهو عارف إنها مش عاوزاه، بس اتجوزها علشان مصالحهم مع أبوها الله ينتقم

منه .. جوزها اللي معرفش قيمة النعمة اللي كانت بين إيديه وياما ظلمها وهانها لحد ما المرض سكنها "

ثم أشاح بوجهه عنها وهو يستطرد في استنكار

-" إيه يا ماما حرام عليكم بقى "

ثم تركها وغادر المنزل وذهب إلى خارج قريتهم وجلس إلى شاطئ إحدى الترع طويلًا حتى تأكد من انتهاء الجنازة والعزاء ثم نهض وعاد إلى قريتهم وذهب إلى قبرها بعد أن انفض الجميع من حوله وجلس بجواره يبكيها ويبكي نفسه في موتها، وظل طويلًا يتحدث إليها ويخبرها بأنه لم يغضب منها عندما تزوجت من غيره لأنه كان على يقين بأن ذلك قد حدث رغمًا عنها، وأنه لم يساوره الشك أبدًا في إخلاصها لحبهما، ثم قام من جلسته ونظر إلى قبرها وهو يحادثها قائلًا :

-" ظلمهم زمان حرمني أكلمك وأسمع ضحكتك، والموت دلوقتي استكتر عليّ حتى إني أشوفك من بعيد "

ثم ألقى عليها السلام وانصرف .

٢٨- وحـشـتـيـنـي يـا أمـي

-" وحشتيني يا أمي "

نطقها بكل الشوق الذي يملؤه وهو يحتضن والدته ويغمرها بقبلاته فور عودته للمرة الأولى منذ سافر إلى الخارج قبل خمس سنوات، وظل طويلًا يختبئ في صدرها كالطفل الصغير وهي تضمه إليها وتُفرغ عليه حنينًا إليه أضناها طوال فترة غيابه .

وبعد أن هدأ استأذنها في الصعود لغرفته للحصول على قسط من الراحة بعد رحلة طيران شاقة استغرقت ما يقرب من عشرين ساعة.

وفي المساء جلس مع والدته يتناولان العشاء سويًا وهو يخبرها بأنه افتقد كثيرًا مذاق طعامها، وبعد العشاء اقترب منها وضمته إليها في حنان وهي تمرر أصابعها فوق رأسه وتمسح بيدها على وجهه وتُقبله كثيرًا، ثم سألته في رفق عن السبب الذي جعله يأتي وحده بدون زوجته، كانت تخشى أن يكون قد أصابها مكروه أثناء سفرهما ولكنه طمأنها وأخبرها أن زوجته بخير وأنها هي من رفضت المجيء معه لقضاء أول إجازة لهما بعد انقضاء أول خمس سنوات على هجرتهما والتي لم يستطيعا خلالها زيارة مصر، فأعادت عليه والدته سؤالها عن السبب الذي دفع زوجته لذلك، فقام من حضنها وجلس بين يديها وأخبرها أن زوجته قررت عدم الرجوع إلى مصر أبدًا وأنها أوصته إذا ماتت فليدفنها هناك في الخارج، فهي تكره أن تعود إلى مصر في حياتها وحتى بعد وفاتها.

وعندما رأى هذا الانقباض والضيق في عيون والدته طلب منها ألّا تتعجب من قرار زوجته فهو نفسه لولا تواجدها في مصر لما عاد إليها، ثم نظر إليها في أسى واستعاد معها ما مرّا به في مصر ودفعهما ليقررا الهجرة منها والعيش خارجها إلى الأبد، تذكر مع والدته سنوات مضت حين تزوج بعد تخرجه من الجامعة والتحاقه بوظيفة إدارية في إحدى المؤسسات لا تتناسب على الإطلاق سواء مع مجال دراسته أو مع كفاءته وقدراته المميزة والتي تفوق أقرانه في نفس مجاله والتي كانت واضحة تمامًا خلال سنوات دراسته وما قدّمه من أبحاث نالت استحسان أساتذته .

ورغم ذلك كان لديه من الرضا ما جعله يؤمن بأن هذه الوظيفة هي نصيبه خاصةً بعد أن مرّ على زواجه عام رزقه الله بعدها بولده الذي أسماه على اسم والده المُتوفى .

ولقد عوّضه هذا الطفل عن كل أحلامه التي كان يتمناها في حياته العملية وشتّتها سياسة المؤسسات في تعاملها مع المواهب والأفذاذ، والنفسية غير السوية لأصحاب القرار داخل هذه المؤسسات الذين يجدون متعتهم في إجهاض تطلعات الشباب لغد أفضل، وقد عاش مع زوجته وطفلهما بالفعل حياة سعيدة أغلقوا فيها على أنفسهم واستمتعوا بكل ما هو متاح لديهم ولم يعطوا الفرصة لشيء أو لأحد أن يُدنّس طُهر أيامهم، وقد كانت زوجته بالفعل خير شريك ونعم الزوجة فلم يشعر معها أبدًا بما يسمعه من كثير من الرجال حول ضغوط الحياة الزوجية وفرارهم الدائم من منازلهم، حتى أن أصدقاءه كانوا يتعجبون دائمًا من قضائه كل هذا الوقت مع زوجته وولده .

ومضت أربع سنوات وهم على هذه الحالة الطيبة والحياة السعيدة التي لم يشُبها ما يُعكّر صفوها اللهم إلّا بعض الأزمات المالية أحيانًا وكانت تنكسر أمام ما هم فيه من تفاهم وحب .

إلى أن جاء ذلك اليوم الذي استيقظا فيه في منتصف الليل على صرخات ألم متتالية تخرج من طفلهما الوحيد فانتفض مذعورًا وحمله وهرول به إلى المستشفى وهو يتوسل إلى الله أن يحفظه له، وبعد يومين من التحاليل والفحوصات أتاهم الطبيب ليُخبرهم بأن الطفل مُصاب بأحد الأمراض المزمنة والتي تحتاج إلى عدة شهور من العلاج يتبعها عملية جراحية كبيرة.

عندها أظلمت الدنيا أمامه وتحول كل ما كان يعيش فيه من راحة وسعادة إلى كابوس بشع لا يرى فيه سوى آلام ابنه وعجزه عن تدبير تكاليف علاجه، فخلال أول ثلاثة أشهر من رحلة العلاج كان قد استنفد كل ما يملكه من مال ومدخرات من أجل ضمان بقاء طفله في المستشفى، وفي نفس الوقت كان يحاول إيجاد حل سريع يساعده في الحصول على قرار حكومي يضمن له أن تتكفل الدولة بنفقات العلاج التي أصبحت فوق طاقته .

وخلال هذه المحاولات ناشد كل من استطاع أن يصل إليه من أصحاب النفوذ والعلاقات أملًا في أن يلقى عندهم الدعم ظنًا منه أن ما يراه من رعاية الدولة لمرضى أهل الفن والرياضة سيتم تطبيقه على طفله ولكن للأسف لم تنجح محاولاته كلها سوى في الحصول على توصية من أحد نوّاب البرلمان جعلته يحصل لابنه على سرير في إحدى المستشفيات الحكومية لا يتناسب على الإطلاق مع مرض ابنه وحالته التي أصبح

عليها، والتي أخبره الطبيب بوصولها إلى مرحلة حرجة تستلزم إجراء العملية الجراحية في أقرب وقت .

ومرّت الأيام وبمرورها كانت حالة ابنه تزداد سوءا ويزداد سخطه على كل ما حوله، حتى جاء اليوم الذي خرج إليهم الطبيب المُعالج لطفلهم ليُخبرهم بأن الله قد استرد أمانته في ولدهم وناشدهم أن يطلبوا من الله أن يُعوضهم عنه خيرًا ودعا لهم بالصبر.

وإلى الآن لا يستطيع أي مخلوق أن يتخيل ما كان بداخله من قهر وهو يرى ابنه الوحيد يموت أمام عينيه وهو عاجز عن مساعدته وحمايته من الموت .

وتذكر أيضًا كيف ساءت حالة زوجته النفسية بعد وفاة ابنهما وظل لشهور يحاول التخفيف عنها متظاهرًا أمامها بالقوة وهو الذي لو ترك لنفسه الأمر لانهار بلا رجعة .

وبعد مرور العام الأول على وفاة ابنهما لم تكن زوجته قد استطاعت أن تتعافى مما هي فيه، لذلك وأثناء جلوسه في أحد الأيام أتته وجلست بين يديه ثم طلبت منه والدموع تختنق في عينيها أن يتركا مصر ويغادراها إلى أي مكان آخر في الدنيا .

وعلى الرغم من مفاجأة طلبها له إلّا أن رجاءها المتكرر له أن يفعل كان قد لامس رغبة داخله في الهجرة من مصر كان يكتمها لذلك فبعد أيام قليلة انهارت مقاومته الوهمية لرغبتها ووافقها على قرار السفر، وبدأ السعي في إنهاء إجراءات السفر والتي كان الله فيها رحيمًا بهما وهو العليم بما هما فيه فقد تيسرت لهما أمور السفر وسارت على ما يُرام .

وفي خلال هذا كله لم يكن لديه شيء يُعيق سفره إلّا والدته والتي وإن لم تتفوه بمعارضتها لسفرهما إلّا أن عيونها كانت تعلن هذه المعارضة وبشدة، لذلك عندما طلب منها السفر معهما نظرت إليه في عطف وأخبرته بأنه يعلم أنها لا توافق على سفره هو وزوجته فكيف يطلب منها أن تسافر هي معهم، ثم أخبرته أنه إن كان يرى حياته في الخروج من هنا فإنها لا ترى حياتها إلّا هنا .

وأمام إصرار والدته وضعفه هو وزوجته لم يستطيعا إلّا أن يسافرا وحدهما بعد لحظات وداع مع والدته استمر وجعها داخله طويلا .

وخلال الخمس سنوات التي قضاها بالخارج تقدم كثيرًا في عمله الذي التحق به هناك وكذلك زوجته التي كانت تعمل في نفس تخصصه، وساعدهما ذلك النجاح في العمل على تجاوز محنة وفاة ابنهما ولكن بقيت آثارها داخلهما خاصةً بعد أن تسببت هذه المحنة في إصابة زوجته بأزمة نفسية صنعت صعوبة لديها في أن تنجب مرة أخرى حتى الآن .

وعندما عاد إلى مصر كرر رجاءه لأمه أن تسافر معه ويعيشوا سويًا ولكنها كررت رفضها لمجرد التفكير في الأمر مع دعائها له بالراحة والنجاح في كل وقت وفي أي مكان .

-" وحشتيني يا أمي "

نطقها والدموع تسيل على خديه عندما أيقظته من غفوته لمسة حنونة من يد زوجته لينتبه إلى صورة والدته التي نام وهي بين يديه يتذكر أحداث الأسبوع الماضي الذي قضاه في مصر عندما سافر لزيارة والدته وقضاء

اجازته معها والتي كانت شهرًا كاملًا إلّا أن والدته يبدو أنها كانت تنتظر عودته لتودعه، فبعد وصوله إلى مصر بخمسة أيام فارقت الحياة .

ولأنه لم يكن له في مصر سواها فقد أنهى اجازته وعاد إلى زوجته بعد أن وجد في وفاة والدته تفسيرًا لتلك الحالة التي كانت عليها معه خلال هذه الأيام الخمسة وتلك النظرة التي كانت منها إليه دائمًا، وكأنها كانت تخبره بأنه عندما يسافر هذه المرة لن يراها مرة أخرى .

٢٩- سعيكم مشكور

فتحت نافذة الغرفة في صباح ذلك اليوم لتسمح للشمس أن تُلقي أشعتها الدافئة داخل الغرفة ويسقط بعضها على عينيه وهو نائم فتوقظه .

فتح عينيه في تكاسل وهو يمُدّ ذراعيه لأعلى دون أن يستجيب لطلبها وهي تدعوه للنهوض من الفراش مُتعللًا بأن اليوم هو اجازته الأسبوعية من العمل، وقد استفزها رفضه هذا فنثرت على وجهه بعض قطرات الماء البارد التي جعلته يقفز من الفراش ثم يُمسكها بين يديه ويتهمها بالإزعاج فتملصت من بين يديه وهي تتهمه بالكسل، ثم أكملت فتح ستائر الغرفة وهي تُخبره في دلال دون أن تنظر إليه أنها لو كانت تعلم أنه كسول لهذه الدرجة ما كانت لتقبل بالزواج منه، ثم التفتت له برأسها فقط وهي تغمز إليه بإحدى عينيها قائلة :

-" بس أعمل إيه بقى .. النصيب "

ثم أطلقت ضحكة رقيقة وهي تملأ صدرها من هواء الصباح ثم تطلب منه تغيير ملابس نومه حتى تنتهي من إعداد طعام الإفطار، فسألها قبل أن تُغادر الغرفة عن والده فأخبرته أنه قد استيقظ مُبكرًا وتناول معها قهوته الصباحية التي اعتادت أن تُعدّها له ويجلس الآن في شرفة غرفته يُطالع الأخبار في إحدى الصحف، ثم وقفت على باب الغرفة وسألته في خبث قائلة :

-" هو انت ليه مش نشيط وحلو زي عمي كده ؟ "

تظاهر بالانقضاض عليها فأسرعت تجري إلى المطبخ وهي تُحذره بإخبار والده إن أمسك بها .

وقف داخل الغرفة يبتسم وهو يستبدل ثيابه وفي داخله يحمد الله على هذه الزوجة الصالحة، ويدعو الله أن يُكافئ والده خيرًا لأنه هو الذي رشحها له ليتزوجها .

ثم ازدادت ابتسامته عندما تذكّر نفسه حينها وهو يُجادل والده رافضًا الزواج منها بحجة أنها ابنة عمّه ولا يشعر نحوها سوى بما يشعر به نحو شقيقته الصغيرة ولكن والده مازال يُقنعه بمحاسنها له كزوجة حتى استجاب لهذا الضغط الودود من والده وتزوجها .

وبمرور الوقت ولحُسن خُلقها ورجاحة عقلها طابت له عشرتها والحياة معها، وتحولت هذه الزوجة من ابنة عمّه التي تزوجها إرضاءً لوالده إلى أغلى النساء وأحبّهن إلى قلبه، وأصبح لا يستطيع الاستغناء عنها أبدًا .

-" الفطار هيبرد .. الفطار بيبرد .. الفطار بِرد "

سمع صيحاتها المتتالية وهي تُنادي عليه من خارج الغرفة فخرج إليها مُسرعًا ليجدها تخرج من غرفة والده وهي تدفعه فوق هذا المقعد المتحرك الذي يستخدمه، فاتجه إليهما وقبّل يد والده ورأسه ثم عاونهما في الالتفاف حول مائدة الإفطار .

وخلال تناولهما الإفطار لم تخلُ جلستهم من مشاكساتها له والاستقواء عليه بوالده ودعمه المستمر لها وانحيازه دائمًا إلى صفها ضده، وهو يبتسم من قلبه قبل شفتيه وهو يرى والده يضحك من حديثها والنكات التي يُلقيها عليه وزوجته تتظاهر بأنها ليست مُضحكة .

بعد الانتهاء من تناول طعام الإفطار اتجهت زوجته لاستكمال أعمالها المنزلية بعد أن أعدّت لهما الشاي، وجلس هو مع والده يتجاذبان أطراف الحديث ويتناقشان حول الأوضاع العامة حولهم، ثم اقترب من والده وأمسك كفه بين راحتيه ليُخبره بأنه قريبًا سينتهي من إجراءات سفره إلى إحدى الدول الأوروبية ليُجري فيها تلك العملية الجراحية التي يتوقعون أنها ستكون السبب في شفائه ويعود بعدها قادرًا على الوقوف والحركة بدون هذا المقعد المتحرك.

وكعادة والده طلب منه أن يدّخر مجهوده وأمواله ويرضى بهذا الوضع كما رضي هو به، ولكنه جاوبه بنفس الكلام الذي يقوله في كل مرة وهو يخبره بأنه لن يترك سبيلًا لشفائه إلّا وسيذهب إليه، وأن كلّ ما يفعله له الآن لن يُساوي جزءا ضئيلًا من فضله عليه، ثم استأذنه في الخروج لمدة ساعة لأمر خاص بأحد أصدقائه ثم العودة لينال منه في مباراة شطرنج مثل عادتهما .

-" برضه سيبتني ومشيت علشان ما تعملش العملية .. طيب كنت خليك جنبي وما تعملهاش "

خرجت منه هذه الكلمات وسط دموعه وهو يقف أمام صورة والده بعد أن عاد من جنازته، مُتعجبًا من وفاة والده الذي كان في الصباح يتناول معه الإفطار ويُجادله في أمر السفر لإجراء العملية الجراحية، ثم خرج لمدة ساعة ليعود بعدها فيجده قد رحل عن عالمنا، وكأنه لم يجد وسيلة ليُحافظ له بها على أمواله سوى أن يُغادر هذه الحياة كلها في هدوئه المعتاد .

وتذكّر أثناء وقوفه أمام صورة والده هذه السنوات الطويلة التي عاشها معه هو وشقيقته وحدهم بعد أن تركتهم والدته عندما وقعت تلك

الحادثة لوالده والتي على إثرها أصبح مُلازمًا لمقعده المتحرك ولا يستطيع الحركة، وكان هو حينها في السابعة عشر من عمره ويكبر شقيقته بعامين، وزادت دموعه وهو يتذكر حياتهم قبل حادثة والده، كان مُهندسًا يعمل في قطاع البترول وتزوج والدته في سن صغير .

وقد كان والده ميسور الحال للدرجة التي ساعدته على توفير حياة كريمة لهم فسكنوا في هذا المنزل الفاخر وعاشوا في رغد لا ينقصهم شيء ولا يتحملون عبء شيء، فقد وهب والده كل حياته له وشقيقته ووالدته ولم يكن يُفكر في أي شيء خاص لذاته هو، وهذا هو السبب الذي جعله وشقيقته بعد الحادث يُصرّان على البقاء مع والدهما ويرفضان الذهاب للعيش مع والدتهما التي لم تستطع تقبُّل الحياة مع والدهما بعد الحادث وطلبت منه الطلاق، وتركتهم وذهبت لتستكمل حياتها بعيدًا عنهم .

وعندما بلغت شقيقته التاسعة عشر من عمرها تزوجت من ابن عمها الذي هو شقيق زوجته واستكملت دراستها الجامعية معه بعد الزواج، وعاش هو مع والده وحدهما لمدة أربع سنوات حتى تزوج وعاش هو وزوجته مع والده .

-" الله يرحمه .. كان بيحبك أوي "

نطقت زوجته هذه الكلمات وهي تجذبه برفق من يده وتضمه إلى صدرها فأجهش بالبكاء وهو يتأوه متألمًا لفراقه، وظلّت هي تُربت على ظهره في شفقة وتواسيه بكلماتها الرقيقة، وتطلب منه التماسك والتسليم بقضاء الله حتى هدأ بعض الشيء .

حينها أجلسته على طرف الفراش وجلست إلى جواره وأمسكت كفه بين راحتيها ثم همست له في هدوء لتُخبره بأن والدته وزوجها قد حضرا وينتظرانه خارج الغرفة ليُقدما له العزاء في وفاة والده، فانتفض غاضبًا وهو ينظر إليها وسط دموعه فأسرعت تضمه مرة أخرى إلى صدرها ليهدأ وهي تطلب منه ألّا ينفعل، وترجوه بحبه لوالده أن يكبح غضبه بذكرالله ويلتقيهما في هدوء وألّا يصدر منه أي سلوك عدائي تجاهها، فقد كانت تعلم أنه وإن كان لا يحمل لها شرًا بحُكم أنها والدته إلّا أنه لا يشعر نحوها بأي عاطفة، حتى أنه لم يحاول زيارتها طوال هذه السنوات بل ورفض كل محاولاتها لرؤيته التي كانت تبذلها وتستعين فيها بشقيقته ولكنه كان مُصرًا على موقفه حيث كان يراها مُذنبة في حق والده بعد تخلّيها عنه في محنته واستجابتها لأنانيتها التي جعلتها تختار البُعد عن زوجها الذي كان يُحبها وعن أولادها وتحرمهم حنانها ورعايتها في مقابل أن تذهب لتستكمل حياتها بالزواج من شاب يكبُر ابنها بسنوات قليلة .

رفع وجهه إليها وهي لا تزال ترجوه أن يهدأ ويتماسك فربّت بيده على كتفها مُطمئنًا إياها، ثم مسح دموعه ووقف وشد قامته، ثم خرج من الغرفة في هدوء ووقف ينظر إلى أمه وزوجها اللذين وقفا بمجرد رؤيته دون أن تجد والدته ما تقوله أمام ما تراه في عينيه .

وبعد لحظات من النظرات الصامتة بينه وبين والدته تقدّم إليها في بطء ففتحت له ذراعيها لتحتضنه ولكنها فوجئت به يتخطاها ويذهب إلى باب المنزل ثم يفتحه على مصراعيه، ويلتفت إليهما وهو يُشير بيده لهما أن يخرجا قائلًا :

-" سعيكم مشكور "

٣٠- صديق البحر

سار بجوار جدّه على شاطئ البحر في صباح أحد أيام الربيع المشرقة بعد احتفالهم في القاهرة منذ أيام بعيد ميلاده التاسع عشر، وفي ذلك اليوم كان البحر هادئًا وتنساب أمواجه في نعومة تتناسب مع نسمات الهواء الرقيقة في هذا التوقيت من العام، وبعد دقائق من الصمت سأل جده قائلًا :

- لماذا تحب البحر لهذه الدرجة يا جدي ؟

التفت إليه جده في هدوء ثم ابتسم وهو يلف ذراعه على كتفه ويحثه على استكمال السير بنفس خطواتهم البطيئة التي تلائم عمره الذي تخطى الستين بعدة سنوات ثم قال له :

هل تعلم أنك أقرب أحفادي إلى قلبي فأنا أرى فيك كثيرًا مني وتُذكّرني دائمًا بأيام شبابي، وأكون سعيدًا جدًا في كل مرة نتحدث فيها سويًا وألمس فيك ذلك الشغف للتعلم والاستفادة من تجاربي التي مررت بها طوال حياتي، كما أنك الوحيد في أحفادي الذي يحمل نفس اسمي، لذلك سأخبرك لماذا أحب البحر كثيرًا ويصعب عليّ جدًا البعد عنه ولو لأيام قليلة .

البحر يا حفيدي الغالي هو أوفى صديق عاشرته في عمري كله، لم أخبره سرًا وأفشاه، لم أشكُ له ضعفي يومًا وعايرني، لم آته في يوم والدنيا تضيق بي إلّا واستقبلني بصدر رحب وفتح لي ذراعيه لأُلقي في أحضانه كل ما يجثم على صدري من هموم .

أتذكر في أحد الأيام مررت بضائقة مالية عجزت عن الخروج منها واستنفدت فيها كل السبل، وعندما تيقنت ألّا مخرج لي من هذه الأزمة تركت كل شيء وجئت إلى البحر وأخبرته بكل ما أنا فيه لعلّه يخبرني ماذا أفعل .

وما إن انتهيت من حديثي معه حتى ثارت أمواجه بشكل عنيف جدًا أجبر الطيور التي تتحرك على سطحه وتتغذى على السمك الصغير أن تفرّ إلى أعلى الجو خوفًا من الغرق .

ثم بعد دقائق هدأت الأمواج تمامًا وكأن شيئًا لم يكن، فعادت الطيور مرة أخرى لتحصل على رزقها وتلتقط الأسماك الصغيرة التي أخرجها الموج الثائر إلى السطح، وكأن البحر يحمل لي رسالة من الله مفادها أن كل ضيق يحمل داخله فرجاً من عند الله .

فنهضت من مكاني في حالة غير التي جئت بها ثم ذهبت إلى المسجد فتوضأت وصليت، وعندما سجدت شكوت لله كل ما أنا فيه وأخبرته بأنني لا حول لي ولا قوة ولا ملجأ لي إلّا هو سبحانه، ولم ينتهِ اليوم إلّا وألهمني الله عز وجل إلى حل مشكلتي، وما نمت ليلتها إلّا وقد أخرجني الله مما كنت فيه .

كما أن البحر هو أول من أخبرته عن جدتك وحبي لها، فقد كان شاهدًا على كل فصول ومشاهد قصتي معها منذ أول يوم رأيتها فيه مصادفةً في أحد الأيام وخطفتني عيونها بنظرة لم أكن رأيتها قبل ذلك في أي أنثى، ذلك اليوم الذي لم أفعل فيه شيئًا سوى أنني تتبعت خطواتها حتى أعرف من هي .

ثم ظللت على هذه الحالة لمدة ثلاثة أشهر أتابعها فقط دون أن أخبرها بأي شيء، حتى جاء ذلك اليوم الذي عُدت فيه من العمل مبكرًا عن موعدي لشعوري ببعض الإجهاد، وعندما دخلت إلى المنزل فوجئت بها تجلس إلى جوار أمي فلم أصدّق عيني وظللت ثابتًا في مكاني أنظر إليها في دهشة حتى سمعت أمي تناديني وتطلب مني السلام عليها وعلى والدتها والتي اكتشفت فيما بعد أنها صديقة والدتي منذ طفولتهما .

وأذكر في ذلك اليوم أنني وبمجرد أن غادرا منزلنا جلست بين يدي أمي وسألتها من هؤلاء وما علاقتها بهم، ولم تنتهِ جلستي مع أمي إلّا وقد أخبرتها بقصتي مع هذه الفتاة وطلبت منها مساعدتي في الزواج منها .

وعندما أخبرتني أمي برضاها عن هذا الزواج وأنها سوف تخبر أبي عند عودته من العمل، تلاشى كل ما كنت فيه من إجهاد وخرجت مسرعًا وجئت إلى البحر وأخبرته بكل ما حدث وحينها ظلت أمواجه تتراقص وتنثر على وجهي ماءها فرحًا لفرحتي .

وطوال فترة خطوبتنا كنت آتي إلى البحر وأخبره بكل شيء كل لقاءاتنا وأحاديثنا، حتى عندما أصابتها بعض الآلام ودخلت بسببها إلى المستشفى هرعت إليه وأخبرته بأني أتألم لألمها، وطلبت منه أن يبتهل إلى الله أن يشفيها من أجلي .

وفي يوم زفافنا لم أستطع الذهاب إلى بيتنا قبل أن آخذها بفستانها الأبيض وأذهب بها إلى البحر ليشهد على زفافنا ويبارك لنا .

وطوال حياتنا لم يمُر علينا حدث إلّا وكنت آتيه وأخبره به، حتى أنه هو من اختار اسم أبيك وباقي أخوته فكنت كلما رزقني الله بطفل أكتب كل

الأسماء التي اخترناها له ثم أذهب إلى البحر وأُلقي فيه الأسماء فتعود لي الأمواج حاملة إحدى الورقات فيصبح ما فيها هو اسم الطفل .

وعندما رزقني الله بك أنت كأول أحفادي لم أرغب أن أشارك والديك فرحة اختيار اسمك، ولكن هذا لم يمنعني أن آخذك قبل أن تتم أسبوعك الأول في الحياة وأذهب بك إلى البحر لأخبره بأن صديقه الشاب الذي كان يأتيه ليروي له عن حبيبته قد صار جدًا وله حفيد .

توقف جده عن السير والحديث فالتفت إليه فإذا به يراه يحاول منع دموع عينيه من السقوط، وقبل أن يسأله ما به استكمل جده حديثه قائلًا :

هل تعلم يا بُني أنه حين مرضت جدتك مرضها الأخير لم يرَ وجعي على آلامها سوى هذا البحر الذي كنت أطلب منه التضرع إلى الله أن يشفيها، ولكن يبدو أن الله قد حكم عليّ حينها أن تنتهي حياتي وتبقى أنفاسي فلم يستجب لدعوات البحر وماتت جدتك، وحينها أتيت إلى البحر غاضبًا ومعاتبًا له أنه لم يدعُ الله كما طلبت منه، وظللت أصيح فيه وأنهره وأتهمه بأنه ليس صديقًا وفيًا، وحينها ظل ساكنًا وكأنه ينتظر أن تنتهي ثورتي .

وبعد أن أفرغت كل ما بداخلي من انفعالات وجعي جلست على الرمال، فتحركت أمواجه في هدوء وظلت تلامسني على استحياء وكأنها تخبرني بأن هذا هو قضاء الله وقدره ولا شفاعة لمخلوق في الموت

-" ولكنهم يصفون البحر دائمًا بالغدر يا جدي "

ألقى هذه الكلمات على جده مستفسرًا فابتسم جده وهو يجيبه قائلًا :

-لو أعطيتك سيارة حديثة ومتطورة جدًا ولكنك تجهل كل شيء عنها وعن كيفية استخدامها، ثم طلبت منك أن تقودها، ماذا سيحدث عندما تتحرك بها ؟

أجاب على الفور: من المؤكد أن تقع لي حادثة

سأله جده مرة أخرى: وهل السبب في الحادثة سيكون ضعف السيارة أو قلة جودتها ؟

أجابه ثانيةً: لا .. ولكن أنا السبب لأنني لا أعلم كيف أتعامل معها وأستفيد من إمكانياتها

ابتسم جده مرة أخرى وقال له: هكذا البحر يا ولدي، هو الصديق الوفي لكل وفي، وجمال البحر لا يراه إلّا من أحبه بصدق .

احتضن جده وهو يقول له: لذلك يحبك البحر يا جدي كما تحبه .

ثم ابتعد خطوتين عن جده ونظر في عينيه مبتسمًا وقال له :

-" أحببت من أكثر يا جدي، البحر أم جدتي ؟ "

ضحك جده طويلًا ثم خرجت من صدره تنهيدة حارة وهو يُربت على وجه حفيده وقال له :

-" لا يجوز أن تقارن بين حب الصديق وحب الروح "

انتبها في هذه اللحظة بأنهما قد ابتعدا كثيرًا فاستدارا عائدين إلى المنزل .

-" سيدي .. هل ستتناول القهوة هنا في الشرفة أم في حجرة مكتبك؟ "

انتزعته هذه العبارة التي ألقتها عليه مساعدة والدته في المنزل من ذكرياته التي كان غارقًا فيها، فالتفت إليها مبتسمًا واستأذنها أن تأتي له بالقهوة هنا

في الشرفة، وعندما انصرفت أخرج من جيبه صورة جده وأغمض عينيه وبدأ في قراءة الفاتحة له، وعندما انتهى كانت هي قد أتت له بالقهوة فتناولها منها ثم شكرها .

وبعدما تناول أول رشفة منها تنفس بعمق ثم أخرج شوقه الطاغي لجده في هذه التنهيدة المصاحبة لقوله

- (آآآآآآه وحشتني يا جدي .. وحشتني يا صديق البحر)

٣١- لـيـزا

انتهى من عمله في ذلك اليوم مبكرًا وغادر مكتبه، وكعادته كل يوم خميس مرّ على أحد المطاعم الشهيرة والذي اعتاد أن يحضر منه الغداء ويذهب به إلى المنزل فيتناوله مع زوجته وابنته الوحيدة التي بلغت السابعة من عمرها، ثم يخرجوا لقضاء فترة المساء في إحدى الحدائق العامة ثم واحدا من المراكز التجارية الشهيرة حيث تقوم الزوجة بتفقد محلات الملابس وتلهو الصغيرة بألعاب الأطفال، قبل أن يختتموا سهرتهم بمشاهدة فيلم في السينما .

وعندما عاد إلى المنزل نادى زوجته ولكنها لم تُجبه فنظر فوجد هاتفها فعلم بأنها قد ذهبت إلى جارتها تجلس معها بعض الوقت ظنًا منها بأنه سيتأخر كعادته، فاستغل عدم وجودها وقام بتجهيز الطعام بنفسه ليفاجئها عند رجوعها .

ثم دخل غرفة ابنته ليناديها لتناول الغداء فوجدها قد نامت وبين ذراعيها ترقد دميتها المفضلة والتي تُسميها (**ليزا**)، فجلس في هدوء شديد واستند بظهره إلى المقعد ونظر إلى ابنته وهي نائمة يتأملها بعينين قد احتضناها بكل حب الدنيا، وعاد به الزمن إلى ثلاثة عشر عامًا قد مضت منذ أول مرة التقى زوجته في النصف الثاني من عامهما الدراسي الأول في الجامعة .

وتذكر كيف بدأت معرفتهما ببعض بسبب خلاف وقع بينهما في أحد الاختبارات التي أجراها الدكتور للطلبة في شكل مجموعات وقد ضمتهم مجموعة واحدة، وابتسم حين تذكر كيف كان منفعلًا وهو يؤكد لها بأن

إجابته هي الصحيحة وكيف كانت هي هادئة مبتسمة وهي تشرح له القصور الموجود في إجابته، وزادت ابتسامته حين تذكر بأنها في النهاية هي التي كانت على صواب .

ومنذ ذلك الحين أصبحا صديقين ويومًا بعد يوم كانت تجذبه إليها دون أن تشعر بهدوئها وثقتها بنفسها وذلك الذكاء الطيب الذي يظهر جليًا في تصرفاتها وتُزينه تلك البراءة التي لا تفارق عيونها .

وعندما تيقن من صدق مشاعره نحوها لم يستهلك الكثير من الوقت في أفعال صبيانية ليخبرها بحبه لها، وإنما سلك أقصر وأفضل الطرق فذهب إليها وقال لها بدون مقدمات كلمات معدودة مازال يتذكرها حتى الآن وهي

-(بحبك – تتجوزيني – أجيب أهلي وآجيلكم إمتى)

وكما يتذكر هذه الكلمات جيدًا فهو مازال أيضًا يتذكر ذلك اللون الأحمر الذي تخضب به وجهها كله وتلعثم كلماتها وهي تحاول أن تُجيبه ولكنها فشلت في إخراج كلمات مفهومة فاكتفت بإيماءة قبول من رأسها ثم انصرفت مسرعة .

وظل هو واقفًا يتابعها وهي تبتعد في خطوات غير منتظمة، وبعدها كيف استطاع إقناع أهله باتخاذ خطوات رسمية لارتباطه بها وهو مازال في بداية دراسته الجامعية .

ولا ينسى ذلك البريق الذي أضاء عيونها خجلًا عندما غمز لها بإحدى عينيه خلسة عندما سمع والدها وهو يعلن موافقته على زواجهما .

ومر أمامه شريط طويل من الذكريات والمواقف المختلفة بينهما .

فها هو يغضب منها ويثور مُنفعلًا لأنها قامت بالسلام على أحد زملائهم في الجامعة بيدها .

وهذا هو المكان الذي شهد أول عيد ميلاد لها بعد ارتباطهما وكيف تعاون فيه مع زميلاتها ليفاجئها بحفلة بسيطة تتناسب مع إمكانياته المادية حينها، وعلى الرغم من أنه هو من أراد مفاجأتها في هذا اليوم إلّا أن المفاجأة الحقيقية كانت من نصيبه هو مع رد فعلها الرقيق الذي صدر منها وتلك النظرة المليئة بالجود التي أخبرته فيها بمدى سعادتها وتقديرها لما يفعله من أجلها مهما كان بسيطًا .

ثم ابتسم أكثر عندما تذكر أول هدية أحضرتها له وكانت كرة مطاطية يستخدمها عند غضبه ليفرغ فيها انفعالاته، وتذكر ما دار بينهما حينها :

هو بانفعال: إيه اللي انت جايباه ده؟ هو أنا مجنون ولّا بشد في شعري؟

هي بابتسامة: إنت أجمل مجنون شافته عيوني

هو: بس برضه إيه ده؟ يعني انت شايفة إني عصبي للدرجة دي؟

هي بغمزة من عينيها: لا طبعًا .. لكن دي علشان تعمل بيها تمارين لإيديك اللي بتسندني في الحياة .

وتذكر عندما حدث بينهما في يوم من الأيام خلاف انتهى بمشادة كلامية أغلقت هي على إثرها هاتفها طوال اليوم، وفي اليوم التالي وعند نزولها من المنزل وجدته جالسًا مع حارس البناية التي تسكن فيها، وعندما رآها قام إليها ودار بينهما حوار قصير:

هي في دهشة: إنت إيه اللي جابك هنا؟ وبتعمل إيه وإيه اللي معاك ده؟

هو:

- بعمل إيه .. قاعد من بعد الفجر مع عم أبوأحمد بنتناقش في أسباب الحملة الفرنسية على مصر ودور كليبر في فوز فرنسا بكاس العالم

- إيه اللي جابني .. لقيت تليفونك مقفول فقولت أكيد فصل شحن ومش معاكي شاحن فجيبتلك ٦ شواحن علشان تليفونك ما يفصلش تاني، لأني لّما تليفونك اتقفل اكتشفت حقيقة مهمة جدًا في الدنيا دي

هي: حقيقة إيه دي بقى؟

هو: إن الدنيا في غيابك بتبقى دنيا جميلة

هي: إيه !!

هو: وفي وجودك بتبقى جنة

هي: يعني إنت عاوز إيه دلوقتي؟

هو: أنا عاوز خمسين جنيه تمن اللب والسوداني اللي جيبتهم لعمي أبوأحمد علشان يخليني أقعد معاه وأستناكي

و.............

و.............

و.............

و.............

والكثير والكثير من المواقف والمحطات التي مرت بهما رآها في هذه الدقائق وهو يتأمل ابنته النائمة .

ثم نهض وانحنى يطبع قبلة حانية على جبينها ووجنتيها ثم غادر الغرفة وأغلق بابها في هدوء .

وعندما أصبح خارج الغرفة شعر ببعض الشعيرات الصناعية التي تعلقت بشفتيه من (**ليزا**) فانتبه واستيقظ من حالته التي يمر بها كل يوم عند عودته من العمل منذ ما يقرب من عام، منذ حادثة السيارة التي وقعت لهم ونجا هو منها وفقد فيها زوجته وابنته الوحيدة، ولم يتبق منهما معه سوى دمية ابنته والتي ترقد في سريرها .

٣٢- أنا قلبي واجعني

انتهى من صلاته وظل جالسًا على سجادة الصلاة يذكر الله، فأتت زوجته من خلفه وربتت على كتفه في حنان ثم جلست أمامه واحتضنت كفه بين يديها ثم نظرت إليه وقالت له :

-" سيؤتينا الله من فضله "

ظل صامتًا وظلت هي تتأمل ملامح وجهه، كانت تعلم أنه حزين ويسكنه الألم لأن الله لم يرزقهما أطفالًا حتى الآن وقد مرت ست سنوات على زواجهما وهي التي تعلم مقدار حبه للأطفال ورغبته في إنجاب ذرية من ظهره، ولكن ماذا تفعل؟

إنهما لم يتركا طبيبًا يمكن أن يكون لديه العلاج إلّا وذهبا إليه، ما سمعا عن وسيلة تساعدهما على الإنجاب إلّا واستخدماها، طرقا كل الأبواب وسارا في كل الطرق لعلّ الله يرزقهما بالأولاد ولكنه النصيب، فعلى الرغم من تأكيد كل الأطباء على أن كليهما ليس به أي شيء يمنعه من الإنجاب إلّا أنهما لم يُنجبا .

كانت تُحبه كثيرًا وترى فيه الكفاية من الدنيا فهو ليس فقط زوجها وابن خالتها ولكنه حبيبها الأول والأخير فهي لم تعرف من عالم الرجال سواه، فهو بحكم نشأتهما في مكان واحد كانت منذ طفولتها قريبة منه وهو الذي يكبرها بعشر سنوات وقد كبُرت أمام عينيه وكان هو مثلها الأعلى في كل شيء .

كانت معجبة بكل تفاصيله وسلوكياته وأفكاره، وكانت كلما تقدم بها العمر وزاد وعيها ازداد ذلك الإعجاب حتى صار حبًا تملّك كل ما فيها فأصبحت لا ترى سواه ولا تتمنى شيئًا في الحياة إلّا البقاء إلى جواره .

وحتى الآن هي لا تجد حرجًا في أن تعلن أنها هي من بدأت وأخبرته بحبها له، ولكنه كان رجلًا بكل ما تحمله الكلمة من معاني، حينها استقبل كلماتها بقدر كبير من الود تختلط به دهشة كبيرة من تلك الطفلة التي تربت على يديه وقد نضجت وكبرت وأصبحت تعرف الحب وتشعر به .

وهي إذا كانت تحبه عندما ذهبت إليه وأخبرته بما في قلبها فإن ذلك الحب تضاعف كثيرًا عندما رأت كيف تعامل معها حينها، فقد استمع إليها حتى انتهت من كلامها وأخبرته بكل ما بداخلها ثم رفع عينيه إليها يتأملها في صمت لدقائق طويلة، ثم أخبرها بأنه يحترم جدًا صراحتها ويُقدّر مشاعرها لأقصى درجة وكذلك هو لا يحلم بمن هي أفضل منها تحمل اسمه وتكون أمًا لأولاده، ولكن لكي يتخذ القرار الأصلح لكليهما فإنه يطلب منها أن تعطيه بعض الوقت لتقييم الأمر من كافة جوانبه، وخلال هذه الفترة طلب منها أن تعاهده ألّا تتحدث معه في هذا الأمر حتى يخبرها بقراره، ولحُبها الشديد له عاهدته بذلك وبذلت كل جهدها في الالتزام بوعدها له، وساعدها هو على ذلك عندما سافر إلى القاهرة لعدة أيام وأغلق هاتفه فلم تستطع أن تتواصل معه أو تعرف شيئًا عن أخباره، ومرت أيام وهو غائب ولا تدري ماذا جرى معه والشوق يملؤها لرؤيته حتى وإن كان مازال يفكر لكنها اشتاقت لعينيه .

وفي مساء ذلك اليوم كانت تجلس في غرفتها تتطلع إلى السماء وإلى ماء النيل الذي يجري مواجهًا لمنزلهم ويفصل بينهما الطريق، وإذا بها تراه قادمًا

من بعيد يسير بهدوئه المعتاد فانتفض قلبها داخل صدرها فرحًا لرؤيته، وعندما وصل إلى المنزل كانت تجلس بجوار والدته بعد أن قفزت درجات السلم في لهفة كادت بسببها أن تتعثر مرتين وتسقط على وجهها لولا أن الله سلّم، وعندما دخل ألقى السلام على والدته وقبّل يدها ثم ألقى عليها السلام فردت عليه السلام وهي تتطلع إلى عينيه تحاول أن تعرف منها شيئًا ولكنه كان يُجيد إخفاء ما يدور بداخله ويمنعه من الظهور في عينيه، فاكتفت باحتضانه بعينيها حتى دخل إلى غرفته .

وفي مساء اليوم التالي دخلت عليها والدتها غرفتها وهي تبتسم وتنظر إليها في سعادة ثم جلست إلى جوارها واحتضنتها طويلًا وضمتها إلى صدرها ثم أخبرتها بأن ابن خالتها قد طلب من والدها أن يتزوجها .

حينها شكرت الله أن والدتها أخبرتها بهذا الأمر وهي تحتضنها فقد احتاجت إلى عدة دقائق حتى تستطيع السيطرة على انفعالاتها وتقوى على الحديث مع والدتها، حتى أن والدتها ظنّت بأنها لا توافق على هذا الطلب فأبعدتها برفق عن صدرها ونظرت إليها متسائلة عن رأيها .

حينها نظرت إلى والدتها في صمت قرأت فيه والدتها قبولها فابتسمت ودعت الله أن يرزقها الفرح والسعادة معه، وبعد أن تم عقد القران وتزوجا عاشت معه كل أشكال السعادة، فقد كان رجلًا يراعي فيها الله قبل أن يراعي أنها من دمه، ورأت منه أمورًا جعلتها تحمد الله كثيرًا على أن رزقها إياه، ومقابل ذلك كانت تبذل كل ما تستطيع لإراحته وإسعاده .

ولكنها الدنيا التي تأبى دائمًا أن ترى حبيبين في سعادة وتتركهما دون أن تتدخل لتعكر صفو حياتهما، فمع كل توافقهما الذي جعلهما يعيشان في

هدوء وسعادة إلّا أن الله ابتلاهما في أمر يصعب تحمله وهو أنهم لم يُنجبا أطفالًا .

وكم كان الأمر مؤلمًا لها ألّا تصبح أمّا ولها أولاد تسمع منهم كلمة ماما مثل باقي النساء فقد كانت تتمزق شوقًا لذلك الأمر ويزداد وجعها أكثر لأن الشخص الذي لا تستطيع الإنجاب منه ليس زوجًا فقط ولكنه حبيب عمرها كله، غرامها الأوحد، الرجل الذي عاشت طفولتها وصباها بين يديه وعندما صارت فتاة ما مسّ قلبها قبل جسدها رجل سواه، لذلك كان الأمر أصعب عليها كثيرًا من مجرد امرأة متزوجة ولا تُنجب .

ومع كل هذا الحزن الذي يملؤها كانت تعلم أن ما بداخله يفوق ما هي فيه آلاف المرات، فهي تعلم كم يحب الأطفال ويتمناهم، فهو الذي كان يخبرها في الماضي بأنه يريد إنجاب العديد من الأولاد والبنات كما كان يخبرها بأنه يتمنى أن يكون أول مولود بنتًا وبنفس ملامحها وصفاتها .

كانت تتألم لعدم إنجابها منه ولكنها كانت تتألم أكثر لألمه، فلم يكن من السهل أبدًا عليها أن ترى ما تراه في عينيه عندما يحتضن أطفال أخوته عندما يجتمعون سويًا في منزل العائلة أو نظرته للأطفال في الطريق أو أي مكان يذهبان إليه، كانت حينها تكتم في صدرها ألف آه لأنها تعجز عن تحقيق ما يسعده وهو الذي لم يدّخر جهدًا في إسعادها وتلبية رغباتها .

لذلك عندما جلست بين يديه في ذلك اليوم بعد انتهائه من الصلاة تواسيه ورفع لها عينيه وأخبرها برغبته في الزواج بأخرى من أجل أن يرزقه الله منها بالذرية، حينها بذلت مجهودًا يفوق ألف رجل حتى تظل على هدوئها

واستجمعت كل طاقتها لترسم على شفتيها ابتسامة رضا وهي تُخبره بأنها لا تعارض هذا الأمر فهو من حقه .

ثم بالغت في إظهار عكس ما بداخلها وهي تُخبره بأن الله سيرزقه الكثير من البنين والبنات وسيكون أول مولود له بنتًا تُشبهها تمامًا لأنها تعلم أنه يحبها، ثم قبلت يده واحتضنت وجهه بين كفيها وطبعت قبلة رقيقة على جبينه ونهضت لتذهب إلى غرفة أخرى متعللة بترتيبها، وسارت الخطوات التي تفصل بين الغرفتين في صعوبة كمن يحمل ثقل الجبال على كتفه، وما إن دخلت إلى الغرفة حتى أغلقت بابها وانهارت فوق أقرب مقعد وجدته وتركت كل ما منعته أمامه من دموع ينهمر من عينيها وهي تضع يدها على فمها خشية أن تُصدر صوتًا يجعله ينتبه لبكائها فتُسبب له بعض الضيق .

انتزعها من كل هذه الذكريات صوت باب المنزل وهو يُفتح مُعلنًا قدومه من العمل فقد كان يأتيها يومًا ويذهب يومًا إلى زوجته الثانية وأولاده، فأسرعت تمسح بعض الدمعات التي كانت تبلل وجنتيها ثم أسرعت إليه واحتضنته طويلًا حتى لا يرى أثر الدموع في عينيها، ثم عاونته كعادتها على استبدال ثيابه، وبعد أن تناولا الطعام جلسا يتجاذبان أطراف الحديث واطمأنت منه على حال أولاده، وبعدها أخلد هو إلى النوم وجلست هي تتأمله وتتذكر الكثير من الأحداث التي مرت عليهما وكيف رفضت مجرد التفكير في البعد عنه بعد زواجه من أخرى، فزواجه من غيرها وإن كان أوجعها ولكن البعد عنه سيقتلها .

ظلت تتأمله طويلًا ثم قامت فعدّلت الغطاء من فوقه حتى لا يشعر بالبرد، ثم مالت على جبينه لتقبله وهي تقول له وهو نائم ولا يسمعها أنت حبيبي.

ثم استدارت تغادر الغرفة ولكنها توقفت عند الباب والتفتت إليه وقالت بصوت باكي

-" بس أنا قلبي واجعني "

٣٣- الصدق

وقفت أمام المرآة في غرفتها تضع اللمسات الأخيرة لزينتها التي لم تُسرف خلالها في استخدام مساحيق التجميل إرضاءً لزوجها الذي دائمًا يُخبرها بأنه يراها أجمل كلما كان استخدامها لهذه المساحيق بسيطًا، ثم ارتدت فستانًا رقيقًا للغاية ذا أكمام قصيرة جدًا تبتعد عن كتفها قليلًا كاشفًا عن ذلك العُقد الذي يرقد حول رقبتها، كما كان ينسدل ليُحيط بخصرها في دقة قبل أن يُكمل طريقه ليغطي منتصف ساقها .

ثم وضعت قدميها داخل حذائها ذي الكعب المتوسط سُمكًا وارتفاعًا، وبعدها تركت شعرها القصير ينتظم حول رأسها في شكل شبه دائري لتكتمل لها تلك الإطلالة الرائعة التي جعلتها تُشبه نجمات السينما في خمسينات القرن العشرين .

وذلك في نفس الوقت الذي انتهى فيه زوجها من ارتداء ربطة العنق التي اختارتها له بنفس لون فستانها، فوقفت تنظر إليه في إعجاب وتتغزل في وسامته مما جعله يبتسم ثم يطلب منها الخروج من الغرفة ليذهبا إلى حفلة عيد زواجهما السابع، والتي بسببها أرسلا ولديهما ليبيتا هذه الليلة في منزل جدهما، وهنا جاء عليها الدور لتضحك ثم تُحيط عُنقه بذراعيها في ودٍ قائلة :

-" بذمتك .. اللي يشوفنا بالشياكة دي هيصدق إننا مش هنخرج من بيتنا، وإننا هنحتفل بعيد جوازنا في الأوضة التانية، مجانين إحنا .. صح ؟ "

ابتسم مرة أخرى ثم ضمها برفق إلى صدره وهمس لها قائلًا :

-" مش مهم حد يشوفنا، ومش مهم رأي الناس .. المهم إننا ما نحرمش نفسنا من السعادة بإيدينا، لو ماينفعش نلبس الفستان الجميل ده بره البيت يبقى نسهر بيه جوه البيت، ونحتفل ونستمتع بحياتنا "

رفعت وجهها إليه مبتسمة، ثم داعبت أنفه بأنفها وهي تقول

-" دايما مُقنع يا حبيبي .. يالا بينا "

تأبطت ذراعه ثم خرجا من الغرفة واتجها إلى الغرفة الأخرى التي قضت ساعات النهار في إعدادها للاحتفال بشكل رومانسي يليق بالمناسبة التي يحتفلان بها، وكذلك يليق بإطلالتهما الكلاسيكية الجميلة .

جلسا إلى جوار بعضهما يتناولان العشاء على تلك الطاولة التي تضيئها الشموع ويتمايلان مع نغمات تلك الأغنية العاطفية التي تتردد في أنحاء الغرفة بهدوء، ثم رفعت كأس العصير إلى فمها وهي تُذكّره بحفل زفافهما فاقترب بفمه من الجهة الأخرى للكأس وشربا منه سويا .

وبعد انتهاء العشاء قامت إلى جهاز الموسيقى واختارت الأغنية التي رقصا على أنغامها في ليلة زفافهما ثم مدت إليه يدها تدعوه للرقص فابتسم وهي تُمسك بكفه ثم نهض وكررا ما فعلاه منذ سبع سنوات حين قاما بأداء رقصة هادئة بأرواح هائمة لم يشعرا خلالها بكل ما كان يُحيط بهما حينها من البشر والصخب .

وبعد أن انتهيا من الرقص أوقفت جهاز الأغاني ثم عادا ليجلسا على الأريكة وقد وضعت رأسها على صدره وأحاط هو كتفها بذراعه ثم بدآ يستعيدان ذكرياتهما سويًا على مدار ثمان سنوات هي خطوبتهما لمدة عام

وسبع سنوات من الزواج عاشاها في حب وتفاهم وولدين يملآن حياتهما بالبهجة والسرور.

-**" ما تعبتيش من حِملي عليكي طول السنين دي، ما زهقتيش من عجزي "**

ألقى عليها هذا السؤال بعد دقائق من الصمت مرّت عليهما ففتحت عينيها ثم رفعت رأسها من على صدره في بطء، ثم نظرت إليه قائلة :

-**" أتعب معاك .. أزهق منك انت "**

ثم طبعت قُبلة حنونة على عينه اليمنى وهي تقول :

-**" هو في حد بيتعب من الأمان "**

ثم قبّلت عينه اليسرى وهي تقول :

-**" في حد يزهق من الحنية "**

تنهد في أسى وهو يقول لها :

-**" الأمان ؟ فين الأمان مع اللي في حالتي دي ؟ "**

أخذت يده بين يديها وطبعت قُبلة طويلة على باطن كفه قبل أن تنظر إليه وتقول :

-**" وهو انت فاكر الأمان في القوة وبس .. الأمان بجد هو إني مش بقدر أنام إلّا في وجودك جنبي، الحنية الحقيقية هي إن مهما الدنيا توجعني أول ما انت تطبطب عليّا يزول وجعي "**

استمع إلى كلماتها وعقله يعود إلى ما حدث منذ أربع سنوات عندما كان يعمل في وزارة الآثار، وفي إحدى الحملات الاستكشافية وأثناء عملية

التنقيب انهارت فوقه إحدى الصخور وأصابته في رأسه إصابة بالغة تسببت في فقدانه التام لبصره .

وتذكّر حينها كيف طلب من زوجته وألحّ عليها أن ينفصلا ولا تحكم على نفسها بقضاء بقية عمرها مع شخص في مثل حالته وكان لديهما حينها طفل واحد، ولكنها رفضت التخلي عنه وتمسكت بالحياة معه لأنها لم تُحب ولن تُحب في هذه الدنيا سواه .

-" ليه بقى مش بتطبطب عليّا دلوقتي "

أفاق من ذكرياته على عبارتها التي نطقتها وهي تمسح بأناملها الرقيقة تلك الدموع التي سالت منه في هدوء، فأمسك بيدها وقبّلها ثم ربّت على رأسها في حنان وضمّها في حرارة إلى صدره وهو يقول

-" ربنا يخليكي ليّا يا أغلى ما ليّا "

استقرت في حضنه مرة أخرى وهي تتمتم :

-" ويحفظك ليّا يا حبيبي "

ثم عادت ترفع رأسها إليه وهي تقول :

-" فاكر يا حبيبي لمّا كنت تقرا الشعر اللي كان بيكتبه صاحبك وتيجي تقولهولي .. لسه فاكر منه حاجة ولا نسيته "

ابتسم في امتنان وهو يدرك أنها تحاول إبعاد ذهنه عن ذكرياته المؤلمة فقال لها :

-" طبعاً فاكره .. لأنه ما يليقش غير عليكي انت وبس يا حبيبتي "

ثم أخذ نفسًا طويلًا قبل أن يُمرر أصابعه على خديها في حب وحنان قائلًا:

يا ضيّ الشمس في عيوني يا ضلمة روحي في غيابك
يا كل الحلو في حياتي يا غُربة كل من سابك
أمان الدنيا جه عندك وسلّم نفسه لإيديكي
توهبيه للي ترضِي عليه ويرضيكي
وأنا قلبي ما يطمن .. إلاّ وهو في جنابك

ظلّا لعدة ساعات على نفس هذه الحالة من الهيام والمشاعر الصادقة بينهما، ثم طلب منها أن يناما فأطفأت الشموع ثم احتضنت كفّه وهي تساعده على النهوض والذهاب إلى غرفتهما، وبعد أن عاونته على استبدال ثيابه قامت هي أيضًا باستبدال ثيابها ثم استلقيا بجانب بعضهما، وبعد أن تأكدت من انتظام أنفاسه أنه قد راح في سُبات عميق استدارت إليه ثم اتكأت على مرفقها ونظرت إلى وجهه تتأمل ملامحه بكل الحب الذي بداخلها له، ثم بدأت تتحدث إليه وكأنه يسمعها قائلة :

-" أنا عارفة إني مش بقدر أوصللك أنا بحبك قدّ إيه، بس أنا بحبك أكتر من كل الدنيا، إنت أول راجل أحبه وآخر راجل أحبه، وأقوللك على حاجة .. انت أجمل راجل في الدنيا كلها، وعلى فكرة أنا لمّا رفضت أبعد عنك مش كنت بعطف عليك زي ما انت فاكر، أنا رفضت لإني مقدرش أعيش من غيرك .. أنا لو بِعدت عن حضنك أموت "

ثم ضمته إلى صدرها وقبّلت رأسه وهي تهمس في أذنه وهو نائم :

-" أنا بحبك "

ثم استلقت بجواره على ظهرها وهي تبتسم وتقول لنفسها :

-" قال أبعد عنك وأعيش حياتي من غيرك .. وهو أصلًا في حياة غيرك "

-" عاوزة حاجة تاني يا ست هانم "

انتزعتها هذه العبارة من ذكرياتها بعد أن ألقاها عليها العامل الذي يقوم بنقل أثاث المنزل، بعد أن قررت تركه والانتقال مع ولديها للعيش في منزل آخر غير هذا المنزل الذي مات فيه زوجها وحبيبها ووالد ابنيها، بعد ما حدث في ذلك اليوم المشؤوم الذي ذهبت فيه لإحضار الولدين من المدرسة وتركته وحده في المنزل، وحدث تسرب للغاز داخل الشقة وعندما حاول أن يخرج منها معتمدًا على نفسه تعثرت قدمه في أحد الكراسي فسقط على الأرض وغاب عن الوعي بعد أن اصطدمت رأسه بالحائط أثناء سقوطه، وعندما عادت وفوجئت بما حدث استدعت على الفور طاقم الإنقاذ والذي عندما حضر وجد زوجها قد استنشق كمية كبيرة من الغاز أدّت إلى مصرعه .

شكرت عامل نقل الأثاث وبعد أن انصرف خرجت من الشقة، وقبل أن تُغلق الباب وقفت تنظر إليها طويلًا ثم قالت لها

-" أنا بكرهِك، انت اللي خدتيه مني .. بكرهِك "

ثم أغلقت الباب في عنف وانصرفت .

٣٤- المـوت شـاطـر

دخلت إلى غرفتها في هذه الليلة لتنام في فراشها وحيدة لأول مرة منذ عشر سنوات عقب عودتها مع طفليها من تشييع جثمان زوجها إلى مثواه الأخير بعد أن اختطفه الموت من بينهم، ذلك الزوج والأب الذي كان لهم بمثابة الظل من كل أشعة الحياة الحارقة، والذي ما كانت تملّ أبدًا من إخباره بأنها في وجوده لا تخشى أي شيء في هذه الدنيا ولا تحمل همًا وأنها تؤمن تمامًا بقدرته على حمايتهم من أي مكروه وذلك بفضل تقواه لله فيهم وفي نفسه، ولعلّ هذا هو ما جعل النوم يواجه صعوبة بالغة في السيطرة عليها على الرغم من أنها كانت في غاية الإرهاق من ذلك اليوم الطويل الذي بدأ من الصباح الباكر وهم يتسلمون جثمانه من المستشفى ثم يتوجهون به إلى المقابر ليواروه التراب وجلوسها بعدها لساعات طويلة أمام قبره تبكيه .

ومع أن شقيقتها الصغرى عادت معها إلى منزلها ونامت مع طفليها في غرفتهما حتى تعطيها الفرصة لتنال قسطًا من الراحة إلّا أنها جلست على فراشها تبكي في صمت وهي مازالت عاجزة عن التسليم بأنه رحل عنها ولن تراه مرة أخرى .

أسندت رأسها إلى مقدمة سريرها وأغمضت عينيها وهي تتذكر حياتها معه وكيف عاشت أجمل سنين عمرها معه رغم أن زواجهما لم يكن نتيجة قصة حب سابقة مثل التي كانت تسمع عنهم، فقد رآها لأول مرة حين ذهب ليخطبها بعد أن قامت إحدى قريباته بإخباره عنها ورشحتها أن تكون زوجة له .

وترددت في ذهنها تلك الكلمات التي كانت أول ما تحدث به إليها عند وصولهما للمنزل يوم زفافهما، حينها كانت لا تزال بفستانها الأبيض عندما أجلسها ثم جلس أمامها واضعًا بينهما المصحف الشريف ثم نظر إليها وأخبرها بأنه يُدرك أنهما لم يكن بينهما شيء من قصص الغرام التي يتحاكى بها العشاق في هذه الأيام ولكنه يُشهد الله على نفسه أنه وخلال عام مضى على خطوبتهما لم يرَ منها إلّا خيرًا يدعو الله أن يدوم، وأنه يرجو من الله أن يُعينهما على أن يعيشا معًا في حب وخير ويجعلها زوجة له في الجنة كما هي في الدنيا .

واعتصر الحزن قلبها وارتفع صوت نحيبها وهي تتذكر كيف أخفى عنها مرضه لمدة عامين لكي لا تتألم لأجله وما علمت بمرضه إلّا منذ عدة شهور عندما تمكّن منه المرض وبسط سلطانه على جسده، وعندما عاتبته على ذلك ابتسم لها وقبّل يدها وهو يخبرها بأنه لم يشأ أن يؤلمها لأن لا شيء يُعينه على تحمّل هذا المرض سوى ابتسامتها .

لا تدري كم من الوقت ظلّت تسترجع فيه حياتها معه ولا كيف نامت وهي جالسة على هذه الهيئة، ولكنها أفاقت على يد شقيقتها وهي تمسح دموعها في هدوء ففتحت عيونها ونظرت إليها متسائلة فأخبرتها شقيقتها بأن الطفلين قد ناما وهي أتت إلى غرفتها لتطمئن عليها، ثم طلبت منها أن تستلقي على فراشها لتستطيع أن تنام .

استيقظت في الصباح فقامت وتوضأت ثم عادت إلى غرفتها لتصلّي في نفس المكان الذي كثيرًا ما كانت تُصلّي فيه خلف زوجها .

وبعد الصلاة تناولت المصحف الخاص به وجلست تقرأ نفس الآيات التي قرأتها معه في ليلة زفافهما، ثم ختمت قراءتها بالدعاء له بالرحمة وأن يسبقها بإذن الله إلى الجنة .

وبعدها قامت ووقفت أمام صورته التي تسكن على أحد جدران الغرفة وأعادت عليه كلماته لها قبل وفاته والتي أوصاها فيها على نفسها وعلى طفليهما، ثم كررت له وعدها الذي قطعته على نفسها أمامه بأن تفعل كل ما طلبه منها وأن تبذل كل جهدها وحياتها لينشأ الطفلان كما أراد .

ثم ابتسمت في صعوبة وسط دموعها وهي تؤكد له بأنها ستأتي إلى قبره بعد سنوات ومعها ولده وقد أصبح مهندسًا وابنته وقد صارت طبيبة كما كان يتمنى .

وقد كانت بالفعل على قدر المسئولية والوعد، واستطاعت الوفاء بعهدها معه بعد أن سخّرت كل عمرها وقوتها لرعاية طفليهما وتحققت أمنية زوجها وأصبحت البنت طبيبة وتزوجت من أحد زملائها وهاجرا معًا إلى إحدى البلاد التي تقع في أقصى الأرض بحثًا عن مستقبل أفضل لهما كما هو حال الكثير من أبناء جيلها .

وتخرّج الإبن من كلية الهندسة وبدأ حياته العملية وبعدها بسنوات تزوج وعاش هو وزوجته معها بعد أن طلبت منه أن يُقيم مع زوجته في منزل مُستقل ويتركها وحدها ولكنه رفض، واصفًا نفسه بالجحود إذا تركها بعد كل ما تحملته من أجله هو وأخته .

وقد أظهر الولد صورة أخرى من عطفه وبرّه بوالديه حين رزقه الله بطفلين فأسمى الولد على اسم أبيه وأسمى البنت على اسمها هي، كما أنه

في أول مرة يمتلك مبلغًا كبيرًا من المال قام بإنهاء إجراءات سفرها لأداء فريضة الحج دون أن يخبرها بشيء حتى فاجأها بإدراج اسمها في قائمة حُجاج العام فاحتضنته دون أن تقول أي كلام وهي ترى فيه مكافأة الله لها على صبرها وتقوى زوجها الحبيب .

وكانت دائماً ترى في ابنها الكثير من صفات زوجها، إذا تحدث وإذا ضحك أو غضب، كما كان يمتلك نفس طيبته وحنانه سواء معها أو مع زوجته وأولاده، وكانت تبتسم دائمًا وهي تراه يحث أولاده الصلاة ويقوم بتعليمهم بعض الأيات اليسيرة من القرآن كما كان يفعل والده معه ومع أخته .

-" يالّا يا ماما .. أنا جهزّت كل حاجة "

اتكأت على عصاها وهي تستدير إلى زوجة ابنها عندما سمعت عبارتها وأومأت لها برأسها ثم أعادت صورة ابنها التي كانت في يدها إلى موضعها وهي تتذكر كيف أخذه الموت منها كما أخذ أبيه في الماضي بنفس المرض وفي نفس عمره .

وقد أثبت ولدها حينها أنه نسخة طبق الأصل من أبيه عندما أخفى عنهما مرضه كثيرًا حتى علما بذلك في آخر أيامه، تمامًا كما فعل والده معها قبل ذلك وكأن الزمان يُعيد عليها شريط أحزانها الذي كانت تظن مُخطأةً أنه انتهى .

نظرت إلى زوجة ابنها والتي انتهت من إعداد ما يحتاجون للذهاب إلى قبر ولدها الذي يرقد فيه بجوار أبيه ثم سقطت دموع عينيها بعد محاولات فاشلة منها للتماسك وعدم البكاء فاحتوتها زوجة ابنها في صدرها وهي

تبكي على بكاءها ولا تجد ما تقوله لتواسيها به فمُصابهما واحد، ولم يخرجا من حالتهما إلّا على صوت حفيدها وأخته وقد أمسكا بملابسها .

وعندما ذهبا إلى قبر زوجها وولدها وقفت تنظر إليه وهي تخبرهما بأن ألم فراقهما قد زاد عليها ولم تعُد تتحمله وأنها قد اشتاقت كثيرًا للقائهما .

لم تتحدث كثيرًا إليهما ثم جلست تبكي في صمت حتى انتهت زوجة ابنها من قراءة ما تيسر لها من القرآن ثم عاونتها على النهوض من مكانها واستعدّا لمغادرة المقابر فألقت نظرة أخيرة على قبرهما تختم بها زيارتها لهما ثم التفتت إلى زوجة ابنها ودموع العجز تملأ عيونها وقالت لها :

-" تعرفي إن الموت شاطر أوي .. أنا أزرع سنين وهو يُحصد على الجاهز "

الفهرس

١- اللقاء هناك ٧
٢- قطر الحياة.. ١٧
٣- أول مرة توجعني يا صاحبي ٢٤
٤- صاحبة الورد.. ٣٠
٥- لا تُحدث ضجيجًا وأنت تحتضر.. ٣٦
٦- عيد الحُب ٤٣
٧- سؤال الصغير.. ٤٩
٨- غاليتي.. ٥٤
٩- أفكار للبيع.. ٦٢
١٠- الرهان ٦٦
١١- أفتقدك.. ٧١
١٢- الأمانة.. ٧٦
١٣- غصب عني ٨١
١٤- رحلت ٨٦
١٥- الوجه الآخر ٩٤
١٦- الوجع ١٠٠
١٧- نصف العُمر.. ١٠٤

١٨- إبـنـهـا ١٠٩

١٩- المكافأة ١١٧

٢٠- الـنـزيـف ١٢١

٢١- الإسـلام الـحـقـيـقـي ١٢٧

٢٢- الـعـسـل الـمُـر ١٣٤

٢٣- الـذنـب ١٤٠

٢٤- الـصـبـر ١٤٥

٢٥- الـفـن فـي بـلادنـا ١٥٠

٢٦- الـوريـث ١٥٧

٢٧- الـقـهـر ١٦٥

٢٨- وحـشـتـيـنـي يـا أمـي ١٧٠

٢٩- سـعـيـكـم مـشـكـور ١٧٦

٣٠- صـديـق الـبـحـر ١٨١

٣١- لـيـزا ١٨٧

٣٢- أنـا قـلـبـي واجـعـنـي ١٩٢

٣٣- الـصـدق ١٩٨

٣٤- الـمـوت شـاطـر ٢٠٤